

حَدِثَاتٌ فِي الْإِسْلَامِ اليهودية والنصرانية

تأليف
الدكتور عود بن عبد العزيز الخلف
عضو هيئة التدريس بكلية الدعوة وأصول الدين
بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

إخوان السلف

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
١٤١٨هـ / ١٩٩٧م

مكتبة أضواء السلف - لصاحبها عيسى المزني

الرياض - شارع سعدية أبي وقاص - بجوار بئره - ص ب ١٢١٨٩٢ - الرمز ١١٧١١
ت ٤٥ - ٢٣٢١ - محمول ٥٥٤٩٤٣٨٥

للموزعون المعتمدون لمنشورنا

- المملكة العربية السعودية: مؤسسة الجريسي.
- قطر: مكتبة ابن القيم - ت ٨٦٣٥٣٣.
- باقي الدول: دار ابن حزم - بيروت - ت ٧٠١٩٧٤.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَسْتَهْدِيهِ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ، وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .
بَلَّغَ الرِّسَالَةَ ، وَأَدَّى الْأَمَانَةَ ، وَجَاهَدَ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ حَتَّى أَتَاهُ الْيَقِينُ ، فَجَزَاهُ اللَّهُ عَنَّا خَيْرَ مَا جَزَى نَبِيًّا عَنْ أُمَّتِهِ ، وَبَعْدَ :

فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَرْسَلَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ وَأَنْزَلَ مَعَهُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ، وَيَهْدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، فَكَانَ النَّاسُ فِيهِ فَرِيقَيْنِ مُؤْمِنٍ ، وَكَافِرٍ .

○ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُونَ فَهُمْ فِرْقَةٌ وَاحِدَةٌ عَلَى سَبِيلِ الْحَقِّ . يَهْتَدُونَ بِنُورِ اللَّهِ ، وَيَحْتَكُمُونَ إِلَى شَرْعِهِ فَطَرِيقَهُمْ نُورٌ عَلَى نُورٍ ، إِلَى أَنْ يَبْلُغُوا غَايَةَ الْأَمْرِ وَنَهَايَتَهُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَجَنَّتُهُ .

○ وَأَمَّا الْكَافِرُونَ فَهُمْ عَلَى سَبِيلٍ مُتَشَعِّبَةٍ مُتَفَرِّقَةٍ ، يَجْمَعُهُمُ الْكُفْرُ وَتَفَرِّقُهُمُ الطَّرِيقَةُ وَالنَّهْجُ .

* فَمِنْهُمْ الْمَلْحُدُ الَّذِي يَتَعَامَلُ عَنْ رَبِّهِ ، وَيَتَخَبَّطُ الدُّنْيَا عَلَى غَيْرِ هُدًى مِنْ شَرْعِ الْهَيْ .

* وَمِنْهُمْ الْوثنِي الَّذِي ضَلَّ عَنْ رَبِّهِ فَعَبِدَ مَا لَا يَغْنِي وَلَا يَسْمَنُ مِنْ جُوعٍ .

* وَمِنْهُمْ الْيَهُودِيُّ الَّذِي أَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى قَلْبِهِ وَسَمِعَهُ وَجَعَلَ

على بصره غشاوة ، أعماه الكبر والحسد وتخبطه الشيطان حتى أعرض عن الحق ، وتمرغ بالباطل وجابه ربه بكل خلق رذيل وطبع مشين ، فاستحق غضب الله ولعنته ، وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون .

ومنهم النصيراني عابد الصليب ، اتخذ إلهه هواه حتى عدّ الوثنية دينًا حقًا والشرك توحيدًا ، وقال في الله قولًا عظيمًا ، يضاهي بذلك قول الذين كفروا من قبل وضلّوا عن سواء السبيل ، وزنّ له الشيطان سوء عمله فرآه حسنًا ، فإنّ الله يضلّ من يشاء ويهدي من يشاء وما ربك بظلام للعبيد ، والمسلم صاحب دعوة وحق ، لا يغره كثرة الهالكين ولا قلة السالكين ، إذ هو يسير بنور الله عز وجلّ وهديته ، والمسلم داعية مُشفق ناصح ، وطبيب ذكيّ حاذق ، ينصح للخلق رغبةً في نجاتهم ويصف الدواء للمريض رجاء الشفاء ، ولن يصف الدواء من لم يعرف الدواء ، لهذا صار لزوما على المسلم الداعية أن يعرف شيئًا من أديان الناس ، فإنّ لذلك عدّة فوائد .

أولاً : إن ذلك عامل مساعد للدّاعية يسهّل له دعوة أصحاب الأديان المنحرفة بإبراز مواضع الانحراف والفساد في دياناتهم ، ثم نقلهم إلى ما يُقابلها في الدين الإسلامي ، ويبرز لهم نصاعة الإسلام وسلامته من التحريف في مصادره ، وانسجامة مع الفطرة البشريّة السليمة في عقيدته وعبادته وتشريعاته .

ثانياً : إن النصيرين غزوا كثيرًا من مناطق المسلمين ، يثبّون سُموهم ويتصيّدون الجهلة من المسلمين والبسطاء لتنصيرهم ، فبمعرفة المسلم لديانة هؤلاء النصيرين يستطيع أن يبيّن للمسلمين فساد دعوتهم ، والانحراف الدّيني الذي هم عليه ، وخبث مقاصدهم ونيّاتهم .

ثالثًا : إن النظرة الفاحصة الواعية لما عليه الأديان غير الإسلام تزيد المسلم يقينًا بدينه ، إذ يظهر له تميّز الإسلام ورفعته ، وأنه الدين الذي قام ولا يزال على التوحيد الخالص ، والعبادة الحقّة لله عزّ وجلّ والشّرع الصّالح للبشر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، كما يتّضح له سلامة مصادر الإسلام من التّحريف الذي وقع في مصادر الأديان الأخرى .

رابعًا : الوقوف على تحريف أصحاب الأديان الباطلة لأديانهم وابتداعهم فيه تصديق لخبر الله عزّ وجلّ عنهم ، كما أن الإيمان بخبر الله عنهم يُصبح إيمانًا مفصّلًا بعد أن كان إيمانًا مُجملاً .

خامسًا : معرفة واقع هذه الأديان وتاريخها يتبيّن به المسلم مدى الانحراف الذي وقع فيها ، وأسبابه ، فيجتنب هذه الأسباب ، ويحرص على المحافظة على السّنة ، ونبذ البدعة ، إذ البدعة من أبرز أسباب الانحراف في العبادة والتّشريع لدى الأديان الأخرى .



مَدَّخَل إِلَى دَرَاَسَةِ الْأَدْيَانِ

- أَوَّلًا : تَعْرِيفُ الدِّينِ .
- ثَانِيًا : تَقْسِيمُ الْأَدْيَانِ .
- ثَالِثًا : بَاعِثُ التَّدِينِ .
- رَابِعًا : نَشْأَةُ عِلْمِ الْأَدْيَانِ .
- خَامِسًا : بَيَانُ أَنَّ التَّوْحِيدَ سَبَقَ الشِّرْكَ .

أولاً : تعريف الدين

الدين في اللغة :

مشتق من الفعل الثلاثي دان وهو تارةً يتعدى بنفسه ، وتارةً باللام ، وتارةً بالياء ، ويختلف المعنى باختلاف ما يتعدى به .
 - فإذا تعدى بنفسه يكون : « دانه » بمعنى ملكه ، وساسه ، وقهره وحاسبه ، وجازاه .

- وإذا تعدى باللام يكون : « دان له » بمعنى خضع له ، وأطاعه .
 - وإذا تعدى بالياء ، يكون « دان به » بمعنى اتخذه ديناً ومذهباً واعتاده وتخلق به ، واعتقده^(١) .

فيظهر من هذا أن الدين يتضمن علاقة بين اثنين فيها انقياد وخضوع وتسلط وقهر من أحدهما للآخر .

الدين في الاصطلاح :

اختلف في تعريف الدين اصطلاحاً اختلافاً واسعاً حيث عرّفه كل إنسان حسب مشربه ، وما يرى أنه من أهم مميزات الدين .
 فمنهم من عرّفه بأنه « الشرع الإلهي المتلقى عن طريق الوحي » ، وهذا تعريف أكثر المسلمين .

ويلاحظ على هذا التعريف قصره الدين على الأديان السماوية فقط ، مع أن

(١) انظر : لسان العرب (٢ / ١٤٦٧) ، وانظر : كتاب « الدين » محمد عبد الله دراز ص ٣٠ .

الصَّحِيحُ أَنَّ كُلَّ مَا يَتَّخِذُهُ النَّاسُ وَيَتَعَبَّدُونَ لَهُ فَهُوَ دِينٌ ، سِوَاءَ كَانَ سَمَاوِيًّا ،
أَوْ غَيْرِ سَمَاوِيٍّ ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٨٥] .

وقوله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [الكافرون : ٦] ، فَسَمَّى مَا عَلَيْهِ
مُشْرِكِي الْعَرَبِ مِنَ الْوَثْنِيَّةِ دِينًا .

أَمَّا غَيْرُ الْمُسْلِمِينَ فبَعْضُهُمْ يَخْصُصُهُ بِالنَّاحِيَةِ الْأَخْلَاقِيَّةِ كَقَوْلِ « كَانَتْ » : بِأَنَّ
الدِّينَ هُوَ الْمَشْتَمِلُ عَلَى الْاعْتِرَافِ بِوُجُوبَاتِنَا كَأَمْرِ بِالْهِيَّةِ » .

وبَعْضُهُمْ يَخْصُصُهُ بِنَاحِيَةِ التَّفَكُّرِ وَالتَّأَمُّلِ ، كَقَوْلِ « رُودَلْف آيُوكِن » : « الدِّينُ
هُوَ التَّجَرُّبَةُ الصُّوفِيَّةُ الَّتِي يُجَاوِزُ الْإِنْسَانُ فِيهَا مُتَنَاقِضَاتِ الْحَيَاةِ »^(١) .

إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ التَّعْرِيفَاتِ الَّتِي نَظَرْتُ إِلَى الدِّينِ مِنْ زَاوِيَةٍ . وَتَرَكْتُ أَوْجَهَا
وَزَوَايَا عَدَّةً .

وَأَرْجَحُ التَّعْرِيفَاتِ أَنْ يُقَالَ :

الدِّينُ : هُوَ اعْتِقَادُ قَدَاسَةِ ذَاتٍ ، وَمَجْمُوعَةُ الشُّلُوكِ الَّتِي يَدُلُّ عَلَى
الْخُضُوعِ لِتِلْكَ الذَّاتِ ذُلًّا وَحُبًّا ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً .

فَهَذَا التَّعْرِيفُ فِيهِ شُمُولٌ لِلْمَعْبُودِ ، سِوَاءَ كَانَ مَعْبُودًا حَقًّا . وَهُوَ اللَّهُ عَزَّ
وَجَلَّ ، أَوْ مَعْبُودًا بَاطِلًا وَهُوَ مَا سِوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

كَمَا يَشْمَلُ أَيْضًا الْعِبَادَاتِ الَّتِي يَتَعَبَّدُ النَّاسُ بِهَا لِمَعْبُودَاتِهِمْ سِوَاءَ كَانَتْ
سَمَاوِيَّةً صَّحِيحَةً كَالْإِسْلَامِ ، أَوْ لَهَا أَصْلٌ سَمَاوِيٌّ وَوَقَعَ فِيهَا التَّحْرِيفُ وَالتَّنْسِخُ

(١) انظر هذه التعريفات في كتاب « الإنسان والأديان » للدكتور محمد كمال جعفر ص ١٦ - ١٨ .
وانظر للاستزادة كتاب الدين د . محمد دراز ص ٣٣ - ٣٦ .

كاليهودية ، والنصرانية .

أو كانت وضعيّة غير سماويّة الأصل كالهندوكيّة ، والبوذيّة وعموم الوثنيّات .
كما يبرز التعريف حال العابد إذ لا بد أن يكون العابد متلبّسًا بالخضوع ذلًّا
وحبًّا للمعبود حال العبادة ، إذ ذلك أهم معاني العبادة .

ويُبيّن التعريف أيضًا هدف العابد من العبادة ، وهو إمّا رغبة أو رهبة ، أو
رغبة ورهبة معًا ؛ لأنّ ذلك هو مَطْلَب بني آدم من العبادة . والله أعلم .



ثانيًا : تقسيم الأديان

تنقسم الأديان التي يدين بها البشر باعتبار النّظر في المعبود إلى قسمين :

القسم الأوّل : أديان تدعو إلى عبادة الله وَخْدَهُ لا شريك له .

وهي في الدّرجة الأولى الإسلام ، ثم يليه اليهوديّة ، ثم النّصرانيّة التي واقع ديانتها المحرّفة الشّرك إلّا أنّها تزعم عبادة الله ذو الثلاثة أقانيم - كما سيأتي تفصيل ذلك .

القسم الثاني : أديان وثنيّة شُركيّة تدعو إلى عبادة غير الله عزّ وجلّ .

وهي : الهندوكية والبوذية وغيرها من الشّركيات القديمة والحديثة .

كما تنقسم باعتبار المصدر في الأصل إلى قسمين أيضا :

١- أديان سماويّة ، وهي : الإسلام واليهوديّة والنصرانيّة .

٢- وأديان وضعيّة ، وهي : سائر الأديان الشّركيّة .



ثالثًا ، تباعث التّدين

قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا ﴾ [النحل : ٣٦] .
وقال عزّ وجلّ أيضًا : ﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر : ٢٤] .
قال ابن كثير رحمه الله عند الآية الأولى : « وبعث في كلّ أُمَّةٍ أي من كلّ قرنٍ وطائفةٍ رسولًا ... » .

ثم قال : « ... فلم يزل تعالى يُرسلُ إلى النّاس الرّسل بذلك منذ حدث الشّرك في بني آدم في قوم نوح الذين أُرسل إليهم نوح عليه السّلام »^(١) .
فهذا فيه دلالة واضحة على أنّ البشر ما أنفكوا عن رُسلٍ يدعونهم إلى الله ويشرّعون لهم الشرائع التي يتعبدون لله بها . كلّما اندرست معالم التّوحيد ، وانطمست أنواره في نفوسهم .

وذلك يعني أنّ التّجمّعات البشريّة لم تخلُ من دين تتديّن به وتضبط كثيرًا من نواحي حياتها وفقه .

وهذا ما أكّده أيضًا علم الآثار والبحوث الاجتماعية في التّجمّعات البشريّة ، إذ يصرّح كثيرٌ من ذوي هذه الاختصاصات : أنّ الجماعات البشريّة القديمة والحديثة ، المتحضّرة وغير المتحضّرة كان لها دين تتديّن به .

يقول هنري برجسون^(٢) : لقد وُجِدَت وتُوجدُ جماعات إنسانيّة من غير علوم

(١) تفسير ابن كثير (٢ / ٥٢٢) .

(٢) هو فيلسوف يهودي الأصل وشاع أنّه اعتنق النصرانية في أخريات حياته ولكن فلسفته كلها تدلّ على أنّه لم يكن يهوديًا ولا نصرانيًا ولا ذا دين مطلقًا ، وإنّما كان دهرّيًا يرى الحياة قوة مندفعة تخبط خبط عشواء . انظر حاشية الدّين ص ١٤٣ .

وفنون وفلسفات ، ولكن لم توجد جماعةٌ بغير ديانة ^(١) .

فهذه الدلالات المؤكدة ، والحقيقة التي لا تقبل الجدل في أنَّ النزعة الدِّينية متعمقةٌ في الإنسان ومغروزة فيه تجعل الباحث والناظر في ذلك يتساءل عن الباعث على هذا التَّدِين ما هو ، مع أنَّ الدِّين ليس من الماديَّات ، ولا من الشهوات التي تتعلَّق بها النفوس ، بل الدِّين له تبعات ، ولوازم تجعل الإنسان في كثيرٍ من الأحيان يذُلُّ دمه من أجله فضلاً عن ماله ووقته وعواطفه ، ويتحكَّم في كثيرٍ من تصرفات الإنسان وعلاقاته . فكثير في بيان الباعث القليل والقال والاستنتاجات ، والتخمينات ، وإليك بعض هذه الأقوال وهي كُلُّها لغير المسلمين :

فقال بعضهم : إنَّ الدَّافع إلى التَّدِين الخوف من الطَّبيعة حوله بما فيها من برق ورعد وزلازل وبراكين وحيوانات متوحشة ، جعلت الإنسان في الأزمان المتقدمة وهو الضَّعيف الذي لا حول له ولا طول مع هذه الأحوال المتغيرة حوله يبحث عن قوَّة غيبيَّة لها سيطرة وتأثير في هذه الطَّبيعة حوله ، ولها قدرة على حمايته ، وحفظه فألَّهُ وعبد ما يرى أنَّه أقوى ، وأقدر على حمايته ممَّا حوله من المخلوقات ، كالشَّمس ، أو القمر أو البحر ونحو ذلك ^(٢) .

وقال بعضهم وهو « ماكس ميللر » ^(٣) : إنَّ العقل هو الباعث على التَّدِين ،

(١) نقلا عن كتاب « الدين » د / محمد دراز ص ٨٣ وانظر الإنسان في ظل الأديان / د . محمد نجيب ص ٢٥ .

(٢) هذا قول الإنجليزي جيفونس في كتابه « المدخل إلى تاريخ الديانات » نقلا عن كتاب الدين د . محمد دراز ص ١٢٥ .

(٣) هو ألمانيٌّ من علماء اللغات ومن الدَّارسين المتعمِّقين في دراسة الأساطير .

وذلك أنَّ العقل ميزة الإنسان عن الحيوان ، وهو باعث على النَّظر والتفكير في هذه المخلوقات ، والإعجاب بها وتعظيمها ، ومن هنا أخذ العقل يفكر فيما وراء الطبيعة ، وأدَّاه عقله مع اللغة المستخدمة في الحديث عن الجمادات^(١) إلى صبغها بصبغة الأحياء ذوات الأرواح ، ممَّا جعله يعبدها ويتخذها إلهًا^(٢) .

وهناك قول ثالث في الباعث قال به « دور كايم » الفرنسي^(٣) وهو أنَّ الحاجة الاجتماعية هي الباعث على التدُّين ، وذلك أنَّ المجتمعات البشرية تحتاج إلى نظم وقوانين تحفظ الحقوق وتصون الحرمات ، ويؤدِّي كُلُّ إنسان واجبه بمراقبة داخلية ، ممَّا جعل بعض الأفذاذ وذوى القيادة يتولَّد في أذهانهم الدِّين ، ويثبِّثونه في جماعتهم ، فتقبله الجماعة لحاجتها لذلك^(٤) .

هذه الأقوال يظهر منها واضحًا ادِّعاء أنَّ الدِّين مصدره الإنسان وأنَّ باعثه أمرٌ من الأمور المتعلقة بالطبيعة حول الإنسان ، أو دوافع داخلية في الإنسان . ولا تحتاج هذه الأقوال إلى كثير عناء في إبطالها وردِّها ، إذ أنَّ هذه البواعث المذكورة كثيرًا ما تكون غير موجودة ، ومع ذلك يكون التدُّين ظاهرًا واضحًا يصدم دعاة الإلحاد ويهدم تخوِّصاتهم . ولا يعدو ما ذُكِرَ هنا من باعث التدُّين يحتاج أن يكون تخوِّصًا وفرضًا باطلًا ، إذ أنَّ الحديث عن باعث التدُّين إلى سبر أغوار النَّفس البشرية ، ودراسة تاريخية متعمِّقة ، تشمل الإنسان الأوَّل ،

(١) المراد أنَّ اللغة تتحدَّث عن بعض الجمادات وكأنَّ لها إرادة وفيها روح كقولهم النهر يجري والشمس تطلع والمطر ينهمر ونحو ذلك .

(٢) انظر « الدين » ص ١١٤ . كتاب « الله جلَّ جلاله » للعقاد ص ١٧ .

(٣) هو أميل دوركايم عالم اجتماع فرنسي تُوِّفِّي ١٩١٧ م . انظر المنجد في الأعلام ص ٢٩٠ .

(٤) انظر « الدين » ص ١٥٠ وكذلك كتاب الإنسان في ظل الأديان ص ٣٩ .

وتسير معه سيراً متأنياً ، كاشفة عن مشاعره وأحاسيسه وتقلباتها حسب الظروف والأحوال التي تحيط به ، إذ أن الدين له أوقات يظهر بها ويتضح جلياً في حياة الإنسان ، وهي أوقات الأزمات والمخاوف التي يقع فيها الإنسان . كما أن له أوقاتاً يكمن فيها ولا يظهر ، وهي أوقات الرخاء والغنى ، إذ يقع الإنسان فيها فريسة سهلة للغفلة والبعد عن الدين . كما أن الباحث يجب أن يكون في حال بحثه خالياً من المؤثرات البيئية والدينية والثقافية ، وذلك من أجل أن يكون حكمه على الظواهر التي يقع عليها سليماً من المؤثرات الخارجية وأني للباحث أن يتخلص من ذلك^(١) . فهذه الأمور تجعل الوصول إلى باعث التدئين الحقيقي من الصعوبة والعسر ما لا يتمكن منه الإنسان .

ونحن المسلمين نعتقد أن الباعث على التدئين : هو الفطرة ، ونعتمد في ذلك على الوحي الإلهي والنور الرباني ، فإن القرآن والسنة نصاً على أن الإنسان خلق مفطوراً على الإقرار بالخالق والعبودية له والبراءة من الشرك^(٢) . يدل على ذلك قول الله عز وجل : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم : ٢٠] . وقوله سبحانه : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٢ ، ١٧٣] .

(١) انظر في الرد على هذه التخوضات كتاب الدين ص ١١٤ - ١٦٤ .

(٢) أكثر الشلف على أن المراد بالفطرة الإسلام . انظر فتح الباري (٣ / ٢٤٨) .

فهذه الآية تشهد للآية قبلها ، وتبين كيف جعل الله ذلك في فطر بني آدم ، وأنه أخرجهم من أصلاب آبائهم وأخذ عليهم بذلك العهد والميثاق .

فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يقول الله تعالى لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا : « لو كانت لك الدنيا وما فيها أَكُنْتَ مُفْتَدِيًا بِهَا ؟ فيقول : نعم ، فيقول : قد أردت منك أَهْوَنَ من هذا وأنت في صُلْبِ آدَمَ : أن لا تُشْرِكَ ولا أدخلك النار فأبيت إِلَّا الشُّرْكَ » (١) .

وأخرج الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا قال : « إِنَّ اللَّهَ أَخَذَ الْمِيثَاقَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِنِعْمَانٍ - يعني عرفة - فأخرج من صلبه كُلَّ ذُرِّيَّةٍ ذَرَأَاهَا فَنَثَرَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ كَالذَّرِّ ، ثُمَّ كَلَّمَهُمْ قَبْلًا قَالَ : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ... ﴿ الْآيَةُ [الأعراف : ١٧٢] ﴾ (٢) .

ومن الأدلة الدالة على أَنَّ الإنسان مَفْطُورٌ عَلَى الدِّينِ الْحَقُّ حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ « كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ ، أَوْ يُنَصْرَانِهِ ، أَوْ يُمَجْسَانِهِ كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ تُنْتَجِ الْبَهِيمَةُ هَل تَرَى فِيهَا جَذْعَاء » (٣) .

وحديث عياض بن حمار الجاشعني ، رضي الله عنه : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

(١) خ ك الأنبياء ب ٢ (١٠٦ / ٤) م . ك المنافقين ب ١٠ (٤ / ٢١٦٠) .

(٢) مسند أحمد (٢٧٢ / ١) وذكر ابن كثير في تفسيره (٢٤١ / ٢) روايات عديدة في هذا

المعنى ورجح وقفها على ابن عباس رضي الله عنه .

(٣) أخرجه خ الجنائز ب ٩٢ . انظر فتح الباري (٢٤٦ / ٣) .

قال ذات يوم ، في خطبته : « أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أَعْلَمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ ، مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا : كُلَّ مَالٍ نَحَلْتَهُ عَبْدًا حَلَالًا ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي اخْتِفَاءً كُلَّهُمْ ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ ، وَخَرَّمْتُ عَلَيْهِمْ مَا أَخْلَلْتُ لَهُمْ ، وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يَشْرَكُوا بِي مَا لَمْ أَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا ... الْحَدِيثُ »^(١).

فهذه الأدلة صريحة في بيان أَنَّ الإنسان مَفْطُورٌ عَلَى الإِقْرَارِ بِالْخَالِقِ ، وعبوديته وهذا هو التَّدِينُ وذلك باعته - وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا .

كما دَلَّتْ هذه الأدلة أيضا على أمرين :

أحدهما : أَنَّ هذه الفطرة والإِقْرَارَ بِالْخَالِقِ إِلَهًا وَرَبًّا ، قابلة للتأثر والتغير ، والانحراف بفعل مؤثرات خارجية ، ولذلك نعتقد بأنَّ السَّبَبَ فِي وجود الوثنيات السابقة في الأمم البائدة ، واللاحقة في الأمم الحاضرة هو هذه المؤثرات التي وردت في هذه النصوص

ثانيهما : أَنَّ المؤثرات التي تؤدي إلى انحراف الفطرة على ضوء هذه الأدلة ثلاثة ، وهي :

١- الشَّيَاطِينُ : وهي المؤثر الخارجي الأصلي والأوَّل في هذا الأمر كما دَلَّ على ذلك حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه .

٢- الأَبَوَانِ : ويقوم المجتمع بدور الأبوين في حال فقدتهما وهذا المؤثر هو أقوى المؤثرات ، وأخطرها لشدة التصاق الأولاد بأبائهم وقوة تأثيرهم عليهم . وقد قدمت الشَّيَاطِينُ عَلَى الآبَاءِ ، لِأَنَّ الشَّيَاطِينِ هِيَ المؤثر الخارجي الأوَّل في انحراف الآباء أَنْفُسِهِمْ .

(١) أخرجه م . ك الجنة ب ١٦ (٤ / ٢١٩٧) حم (٤ / ١٦٢) .

٣ - الغفلة : وهي المؤثر الثالث في انحراف هذه الفطرة كما دلّت على ذلك آية سورة الأعراف .

ولسائل أن يسأل : ماهي فائدة الفطرة والحال هذه من تأثرها بهذه المؤثرات الخارجية التي تؤدّي إلى انحرافها ، ولا يكاد الإنسان ينفك عن واحد من هذه الصّوارف ، أو كلّها ؟

والجواب عن ذلك أن يُقال : إنّ حكمة الله اقتضت جعل الفطرة بهذه الحال ليتحقّق الغرض من ابتلاء الإنسان بالخير والشرّ ومن ثمّ جزاؤه على عمله إذ لو كانت الفطرة لا تتأثر بشيء لما وقع الكفر والانحراف في بني آدم ، بل صاروا غير قابلين للكفر فلا يتحقّق الابتلاء ، ولله الحكمة البالغة .

ومع ذلك فإنّ لهذه الفطرة فوائد عديدة منها :

أولاً : أنّ هذه الفطرة غرزت في نفس البشريّة التّدين والتّعبد لله عزّ وجلّ فإذا لم يهتد الإنسان إلى الله عزّ وجلّ فإنه يُعبد نفسه لأيّ معبود آخر ليشبع في ذلك نهمته إلى التّدين ، وذلك كمن استبدّ به الجوع فإنه إذا لم يجد الطّعام الطّيب الذي يناسبه فإنه يتناول كلّ ما يمكن أكله ولو كان خبيثاً ليسدّ به جوعته .

وهذا ما يفسّر لنا وجود التّدين عند عموم البشر وقد يكون الدّين والمعبود في كثير من الأحيان باطلاً .

ثانياً : أنّ هذه الفطرة جعلت في جبلة الإنسان قبول العبودية والانسجام مع لوازمها ، وهذا من الأمور المهمة للإنسان ، لأنّ كلّ ما لا يتفق مع الفطرة فإنّ النّفس تنفر منه ولا تستجيب لمتطلباته .

ثالثاً : أنَّ هذه الفطرة مرجحة للحق ، فإذا تعرّف الإنسان على دينين حق وباطل ، فإنَّ الفطرة تميّز بينهما وتميل إلى الحق بل يقع ذلك في قرارة النفس ويتيقن القلب منه ، فإمّا أن يعلن ذلك ويلتزم به ، أو لا يستجيب له بسبب هوى أو خوف ، أو إلف وتقليد ونحو ذلك من الصّوارف عن الحق .

رابعاً : أنَّ هذه الفطرة تهب للمهتدي يقيناً بالحق الذي هو عليه وإن لم يكن عنده من الأدلة النظرية ما يهبه هذا اليقين ، وهذا يفسّر لنا - والله أعلم - عدم ترك المسلم لدينة رغبة عنه وما ذلك إلا لتناسبه مع فطرته ، فيعطيه ذلك يقيناً بأنّه الحق ، وكذلك من اهتدى إلى الإسلام من ذوي الأديان الأخرى الباطلة ، فإنه يتمسك به تمسك الغريق بحبل النجاة ، وما ذلك إلا لتيقنه من أنَّ هذا الدين هو الحق ، لتناسبه وانسجامه مع الفطرة . والله أعلم .



رابعاً : نشأة علم الأديان

الكتابة في الأديان وتفصيل عقائد الناس وعباداتهم وكذلك عقد المقارنات بين الأديان أول ما نشأ في بيئة إسلامية ، إذ المسلمون هم أول من كتب في هذا النوع من العلم وأفرده بالتصنيف . وقد استوحوا هذا من القرآن الكريم الذي ورد فيه كثير من عقائد الناس وعباداتهم السابقة واللاحقة لوقت نزوله ، فقد ورد فيه التفصيل في عقائد اليهود وانحرافاتهم ، وعقيدة النصارى وانحرافهم ، كما أرجع بعض العبادات الفاسدة والأديان المنحرفة بعضها إلى بعض وبين شبههم التي يستندون إليها ، ورد عليها وبين خطأهم وضلالهم ودعاهم إلى قبول الحق والإذعان له . بل عقد القرآن الكريم المقارنات بين الحق والباطل ودعى إلى تمييز الحق ومعرفته بالنظر السليم فقال عز وجل : ﴿ أَزْيَبْتُ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ [يوسف : ١٣٩] .

وقال عز وجل : ﴿ أَيَسْرِكُونَ مَا لَا يُخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ * وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ * وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سِوَاةِ عَلَيْكُمْ أَدْعَاؤُهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ * إِنْ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْتَطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَمَا نُنْظِرُونَ ﴾ [الأعراف : ١٩١ - ١٩٥] .

كما عقد الأنبياء عليهم السلام المقارنات العديدة مع أقوامهم . كما في قصة إبراهيم مع أبيه وقومه ، وشُعَيْب مع قومه ، وغيرهم ، وما ذلك إلا لأن ذكر الأديان والعقائد فيه نصر للحق بإظهار عور الباطل وزيفه ، لأن الإسلام دين لا

إكراه فيه ، بل يعتمد على الدُّعوة والإقناع وتحريك المشاعر والشمُّوبها فوق التَّقليد الأعمى والتَّبعية ، فيلزم لهذه الغاية زيادة التَّوضيح والمقارنة لفتح المجال أَمَامَ العقل للمقارنة والموازنة ، ثم الاختيار والإيمان .

فاستوحى علماء المسلمين من ذلك أَنَّ الكتابة في الأديان منهجٌ دعويٌّ فكتبوا في هذا العلم كتباً عديدة ، ومن أوائل هذه الكتب :

- ١- « المقالات في أصول الديانات » للمسعودي - ت (٣٤٦) هـ .
- ٢- « تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة » لأبي الريحان البيروني ت (٤٠٤) هـ .
- ٣- « الفصل في الملل والأهواء والنحل » لابن حزم - ت (٤٥٦) هـ .
- ٤- « اعتقادات فرق المسلمين والمشركين » للرازي - ت (٦٠٦) هـ .
- ٥- « الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح » لشيخ الإسلام ابن تيمية ت (٧٢٨) هـ .

وغيرها كثير أرسى به المسلمون قواعد هذا العلم ، حيث أوردوا ما يعتقدونه أصحاب الديانات وما يتعبدون به مع التَّأصيل في البعض والاكتفاء بالعرض في البعض الآخر . فكانوا بذلك سابقين لغيرهم في وضع قواعد هذا العلم ، حيث لم يعتن به الغربيون إلا في العصور المتأخرة بعدما يسمى بعصر التَّهضبة في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلادي .

فأرسلوا البعوث من رجال دينهم إلى الشرق والغرب وإلى بلاد الهند والصِّين للاطلاع على دياناتهم - وهذه البعوث لم تكن في الواقع إلا مقدمات للاستعمار .

ثم إنَّ هذا العلم تطوّر ، فأصبح يبحث في نشأة التّديّن عند الإنسان وأوجه التشابه بين الديانات ، وساعدهم على ذلك التّنقيب عن الآثار وتعلّم اللغات القديمة ، فأفادوا من ذلك معرفة ما عيله عبادات الأقوام القديمة ، فأكملوا ما بدأه المسلمون ، مع أنّ المسلمين يتميّزون عنهم بأنّ لهم أصلاً يرجعون إليه فيصحّحون على ضوئه التّنتائج الخاطئة التي قد تتولّد من النّظر في العقائد القديمة ، أعنى بهذا الأصل الوحي الإلهي ؛ القرآن الكريم والسّنة المطهّرة .



خامساً : بيان أنَّ التَّوْحِيدَ سبق الشُّرْكَ

قد تقدّم بيان أنَّه لم تُوجد أُمَّة من الأُمَمِ إِلَّا وكان لها دين تدين به ، وعبادة تلتزم بها ، كما تقدّم بيان أنَّ الأديان نوعان : أديان سماويّة ، وأديان وضعيّة شريكّة . وقد زعم الملحدون : أنَّ الشُّرْكَ كان أسبق في الوجود على الأرض من التَّوْحِيد ، وهو قول مبنيّ على إنكارهم للمخلوق جلّ وعلا ، وزعمهم أنَّ الإنسان إنما وجد من الطَّبيعة حيث كان أنيميا ، ثم تطوّر بفعل الرُّطوبة حتى وصل بعد أزمان عديدة إلى صورة القرد ، ثم تطوّر فصار القرد إنساناً ، فزعموا أنَّ هذا الإنسان . وكان في ذلك الوقت في طور الطُّفولة البشريّة . أخذ يبحث عن إله يعبدّه ، فتوجّه إلى عبادة الآباء والأجداد ، والأشجار ، والحيوانات الضَّخمة ، والشمس ، والقمر ، إلى غير ذلك من الأشياء التي يستعظمها في نفسه ، ثم بدأ هذا الإنسان يتطوّر في عقله وأحاسيسه ، فبدأ يتخلّى عن كثير من الآلهة التي كان يعبدّها حتّى توصّل في عهد الفراعنة إلى التَّوْحِيد ، ولا يعني ذلك عندهم عبادة الله وحده لا شريك له ، وإنما عبادة إله واحد وهو « رع » الذي يُرمز له بقرص الشمس .

وظاهر من هذا القول أنَّ أصحابه يزعمون أنَّ الأديان من صنْع البشر وليست من قبل الله عزّ وجلّ ، والعجيب أن يوافقهم على هذا القول بعض المفكرين والمتنسين للإسلام كالعقّاد في كتابه « الله جلّ جلاله »^(١) وعبد الكريم الخطيب في كتابه « قضية الألوهيّة بين الفلسفة والدين »^(٢) .

(١) انظره في - ص (٧ / ٣٥) من الكتاب .

(٢) انظره - ص (٧٠ - ٩٥) .

وقد زعم أصحاب هذا القول أنَّ لهم عليه دليلين :

أولاً : القياس على الصُّناعة ، فكما أنَّ الإنسان قد تطوَّر في صناعته فهو كذلك تطوَّر في ديانته .

ثانياً : أنَّ الحفريات دلَّتْهم على أنَّ النَّاسَ وَقَعُوا في الشُّرك وتعدَّدِ الآلهة وأنَّ الإنسان عرف التَّوحيد متأخراً^(١) .

وهذا في الواقع قياس فاسد ، واستدلال باطل ، فقولهم إنَّ الدِّين كالصُّناعة قياس مع الفارق لعدة أمور :

أولاً : أنَّ الصُّناعات شيءٌ ماديٌّ ، والأديان شيءٌ معنويٌّ ، فكيف يُقاسُ شيءٌ معنويٌّ غير محسوس على شيءٍ ماديٍّ محسوسٍ فهو كمن يقيس الهواء على الماء .

ثانياً : أنَّ الصُّناعة تقوم على التَّجربة والملاحظة وتظهر النتائج بعد استكمال مقوماتها ، بخلاف الدِّين الَّذي لا يقوم على ذلك ولا تظهر نتائجه في هذه الحياة الدُّنيا .

ثالثاً : يلزم من هذا القياس أنَّ يكون الإنسان في هذا الزَّمن صادق التَّدِين خالص التَّوحيد ، لأنَّ الصُّناعة قد بلغت مبلغاً عالياً من التَّطوُّر ، والواقع خلاف ذلك فإنَّ الإنسان أخط ما يكون من النَّاحية الدِّينية ، إذ الإلحاد متفشٍ في أكثر بقاع العالم .

كما يلزم منه أنَّ لا يُوجد شركٌ في هذا الزَّمن ، والواقع خلاف ذلك ، حيث الشُّرك متفشٍ في الشُّرق والغرب .

(١) انظر : كتاب « الله جلَّ جلاله » للعقاد ص (٧ ، ٢٧) .

أما زعمهم الاستدلال على قولهم بالحفريات ومخلفات الأمم السابقة .
 فيقال : إن هذه الحفريات ناقصة ، فلا دلالة فيها على ما ذكروا سوى
 التخمين ومحاولة الربط بين أمور متباعدة ، وغاية ما تدل عليه الحفريات
 والآثار أن الأمم السابقة وقعت في الشرك ، وهذا لا ننكره بل القرآن والسنة
 نصاً على ذلك وبيناه ، أما عبادة الإنسان الأول وعقيدته فلا يمكن معرفتها من
 خلال الآثار حتى يعترضوا على الإنسان الأول ويجدوا آثاراً تدل على عقيدته
 وعبادته .

ثم إن المؤكد أن الأمم تتقلب في عباداتها ، تنتقل من التوحيد إلى الشرك ، ومن
 الشرك إلى التوحيد ، فمثلاً أهل مكة كانوا على التوحيد دين إسماعيل بن إبراهيم
 الخليل عليهما السلام ، ثم وقعوا في الشرك ، ثم عادوا إلى التوحيد بدعوة سيدنا
 محمد ﷺ ، فمعرفة عبادة أمة من الأمم لا يعني أنها لم تعرف سوى هذه العبادة ،
 بل ذلك يعني أنها كانت على هذه العبادة في تلك الفترة فقط .

وبهذا يظهر جلياً واضحاً فساد هذا القول ، وأن ما استدلوأ به ليس إلا
 تخريصات وتوهمات ، لا تقوم في وجه الحق الواضح البين وهو :

أن الإنسان أول ما عرف التوحيد ، ثم بدأ بالانحراف فتدرج أمره حتى وقع
 في الشرك ، وذلك لأن الإنسان الأول هو آدم عليه السلام كان نبياً يعبد الله
 وحده لا شريك له ، وعلم أبناءه التوحيد إلى أن وقع بنو آدم في الشرك بعده
 بأزمان . وهذا يقر به ويقول به كل من يؤمن بأن الله هو الخالق ، وكل من
 يؤمن بالأديان السماوية الثلاثة الإسلام والنصرانية واليهودية إلا من تابع قول
 الملحدين منهم .

ومن الأدلة زيادة على هذا : قوله تعالى : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢١٣] .

قال ابن عباس رضي الله عنه فيما روى عنه ابن جرير بسنده : (كان بين آدم ونوح عشرة قرون ، كُلُّهم على شريعة من الحق فاختلَفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين)^(١) .

ويؤيد هذا قراءة أُتِيَّ بن كعب وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا ﴾ الآية [البقرة : ٢١٣] .

ويؤيده أيضا قوله عز وجل في سورة يونس : ﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا ﴾ [يونس : ١٩] .

فهذا ينص على أن بني آدم عبدوا الله عز وجل فترة من الزمن وهي عشرة قرون^(٢) كما يذكر ابن عباس رضي الله عنه ، ثم أنهم انحرفوا عن هذا النهج القويم فبعث الله إليهم الرسل ليردوهم إلى التوحيد .

وفي رواية أخرى عن ابن عباس رضي الله عنه يُبيِّن لنا كيف بدأ وقوع بني آدم في الشرك . فقد أخرج البخاري بسنده عنه أنه قال في معنى قول الله عز وجل : ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [نوح : ٢٣] ، قال : « هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلمَّا هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون

(١) تفسير ابن جرير (٢ / ٣٣٤) .

(٢) يلاحظ أن القرن لا يعني بالتأكيد مائة سنة كما هو عليه الحال في تعارف الناس الآن فقد يعني

ذلك الجيل كما في الحديث (خير القرون قرني ...) .

إليها أنصابا ، وسَمَّوْها بأسمائهم ، ففعلوا فلم تعبد ، حتَّى إذا هلك أولئك
ونُسي العلم عُيِدَتْ » (١) .

فهذا كان مبدأ وقوع بني آدم في الشُّرك وانحرافهم عن توحيد الله عزَّ وجلَّ
ولا يعني استدلالنا هذا أنَّ هذا الأمر لم يثبت إلَّا عن طريق الوحي - وإن كان
كافيا في هذا - بل إنَّ هذا القول أثبتته علماء ، في الآثار وباحثون في الأديان
من الغربيين وغيرهم .

يقول الباحث « آدمسون هيوبل » المتخصِّص في دراسة الملل البدائية : « لقد
مضى ذلك العهد الَّذي كان يتهم الرُّجل القديم بأنَّه غير قادر على التَّفكير فيما
يتعلَّق بالذَّات المقدَّسة أو في الله العظيم ، ولقد أخطأ « تيلور » حيث جعل
التَّفكير الدِّينيَّ الموحدَ نتيجةً للتَّبَدُّم الحضاريِّ والسُّموِّ المعرفيِّ ، وجعل ذلك
نتيجة لتطوُّر بدأ من عبادة الأرواح والأشباح ثم التَّعدُّد ثم أخيرا العُثور على
فكرة التَّوحيد » .

ويقول الباحث « اندري لانج » من علماء القرن الماضي : « إنَّ النَّاس في
أستراليا وأفريقيا والهند لم ينشأ اعتقادهم في الله العظيم على أساس من
الاعتقاد المسيحيِّ ، وقد أكد هذا الرَّأي العالم الاسترالي « وليم سميث »
حيث ذكر في كتابه « أسس فكرة التَّوحيد » مجموعة من البراهين والأدلة
جمعتها من عدَّة مناطق وأنجَّاهات توكَّد أنَّ أوَّل تعبُّد مارسه الإنسان كان تجاه
الله الواحد العظيم » .

ويقول الدكتور الحاج « أورانج كاي » من علماء الملايو في أندونيسيا : « عندنا

(١) انظر : صحيح البخاريِّ مع الفتح (٨ / ٦٦٧) .

في بلاد أرخبيل الملايو دليلٌ أكيد على أنَّ أهل ديارنا هذه كانوا يعبدون الله الواحد ، وذلك قبل أن يدخل الإسلام إلى هذه الديار ، وقبل أن تدخل النصرانية .

وفي عقيدة جزيرة كلمنتان باندونيسيا لوثة من الهندوسية ورائحة من الإسلام ، مع أنَّ التوحيد كعبادةٍ لأهل هذه الديار كان هو الأصل قبل وصول الهندوسية أو الإسلام إليها .

وإذا رجعنا إلى اللغة الدارجة لأهل هذه الديار قبل استخدام اللغة السانسكريتية أو قبل هجرة الهندوسية أو دخول الإسلام تأكدنا من أنَّ التَّصوُّر الاعتقادي لأجدادنا حسب التُّطق والتَّعبير الموروث هو أنَّ الله في عقيدتهم واحدٌ لا شريك له ^(١) .



(١) كتاب التفكير الديني في العالم قبل الإسلام - ص (٢٨ - ٣٠) بتصرف .

البَابُ الْأَوَّلُ اليَهُودِيَّةُ

- الفصل الأول : تعريف كلمة يهود .
- الفصل الثاني : مجمل تاريخ اليهود .

الفصل الأول

تعريف كلمة يهود

- اليهود لغة .
- اليهود اصطلاحاً .

الفصل الأول

تعريف كلمة يهود

اليهود لغة :

اختلفَ في كلمة يهود هل هي عريئةٌ مشتقةٌ أم غير عريئة .
فقال البعض : إنها عريئةٌ مشتقةٌ من اليهود وهو التوبةُ والرَّجوع .
قال عز وجل في ذكره لدعاء موسى عليه الصلاة والسلام : ﴿ إِنَّا هُذْنَا
إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف : ١٥٦] ^(١) .

وقال البعض : إنها غير عريئة وإنما هي نسبة إلى يهوذا أحد أسباط بني إسرائيل .
أو إلى دولة يهوذا التي كانت في فلسطين بعد سليمان - عليه السلام - وهذا
أرجح فيما يظهر في هذه النسبة لأن هذا الاسم وهو اليهود لم يذكره اليهود
في كتابهم ^(٢) إلا في سفر عزرا الذي يتحدث عن فترة سبي شعب دولة يهوذا
إلى بابل - كما سيأتي ذكره ^(٣) .

وكانت الأسفار قبله تُطلق عليهم اسم الشعب وإسرائيل ، ولكن بعد السبي
صاروا يلقَّبون بـ اليهود ، وما ذلك إلا لأنهم شعب دولة يهوذا .
ويظهر من هذا أن تلقيبهم باليهود كان من قبل ملوك الفرس الذين صار
اليهود تحت حكمهم بإسقاطهم لدولة بابل - كما سيأتي ^(٤) .

(١) وانظر القاموس المحيط ص ٤٢٠ .

(٢) المراد بكتابهم ما يسميه النصارى بـ : العهد القديم وهو التوراة والأسفار الملحقة بها .

(٣) انظر ص ٣٧ .

(٤) انظر ص ٣٧ .

اليهود اصطلاحاً :

هم الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ أَتْبَاعُ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

وقد وردت تسميتهم في القرآن بـ « قوم موسى » ، و « بني إسرائيل » نسبة إلى يعقوب عليه الصَّلَاة وَالسَّلَامُ . وكذلك « أهل الكتاب » ، و « اليهود » .
إِلَّا أَنَّ الْمَلَا حِظَّ أَنَّ هَذِهِ التَّسْمِيَةَ الْأَخِيرَةَ - الْيَهُودَ - لَمْ يَذْكُرُوا بِهَا إِلَّا فِي مَوَاطِنِ الذَّمِّ كَقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْشُوطَتَانِ ﴾ [المائدة : ٦٤] .

وقوله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾ [المائدة : ١٨]

وقوله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ﴾ [التوبة : ٣٠] .

وقوله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا ﴾ [آل عمران : ٦٧] .

وهذا يدلُّ على أَنَّهُمْ تَلَقَّبُوا بِهَذَا اللَّقَبِ بَعْدَ أَنْ فَسَدَ حَالُهُمْ وَانْحَرَفُوا عَنِ دِينِ اللَّهِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ ^(١) .



(١) انظر الأديان في القرآن ص ١٣٥ - اليهودية أحمد شلبي ص ٨٦ ، الشخصية اليهودية ص ٢٧ الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة ص ١٥ .

الفصل الثاني

مجلد تاريخ اليهود

أولاً : انتقال يعقوب عليه السّلام بأولاده من بادية فلسطين إلى مصر

ثانياً : خروج بني إسرائيل من مصر .

ثالثاً : ما حدث من بني إسرائيل بعد الخروج .

رابعاً : دخول بني إسرائيل أرض فلسطين .

خامساً : استيلاء الأجنبي عليهم .

سادساً : تشتتهم في الأرض .

سابعاً : تجمعهم في فلسطين في العصر الحديث .

مسألة : ادّعاء اليهود أنّ لهم حقّاً تاريخيّاً ودينيّاً في فلسطين .

مسألة : كذب اليهود المعاصرين في ادّعائهم أنّهم نسل بني

إسرائيل .

مجلد تاريخ اليهود

من المعلوم أنَّ « إسرائيل » هو : « يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم » عليهم السلام ، وهو الذي ينتسب إليه بنو إسرائيل ، ويعقوب كان يسكن في منطقة فلسطين متنقلاً في مناطق عدّة من فلسطين من بعد إبراهيم الخليل عليه السلام يعيش فيها حياة البداوة ، قال عزّ وجلّ فيما حكاه من كلام يوسف عليه السلام : ﴿ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ ﴾ [يوسف : ١٠٠] .

قال ابن كثير : « من البدو : أي من البادية ، قال ابن جرير وغيره : كانوا أهل بادية وماشية »^(١) .

لهذا سنبداً في بيان تاريخ اليهود من يعقوب عليه السلام ودخوله أرض مصر .

أولاً : انتقال يعقوب عليه السلام بأولاده من بادية فلسطين إلى مصر :

بعد أن مكّن الله ليوسف عليه السلام في أرض مصر وصار على خزائنها أرسل إلى أبيه وأهله جميعاً أن يأتوا إليه ، فأقبل يعقوب عليه السلام بأولاده وأهله جميعاً إلى مصر واستوطنوها ، ويذكر اليهود في كتابهم أنَّ عدد أنفس بني إسرائيل حين دخلوا مصر سبعون نفساً ، وكانوا شعباً مؤمناً بين وثنيين فاستقلوا بناحية من الأرض أعطاهم إياها فرعون مصر فعاشوا عيشة طيبة زمن يوسف عليه السلام ، ثم بعد وفاة يوسف عليه السلام تغيّر الحال على بني إسرائيل وانقلب عليهم الفراعنة طغياناً وعتوّاً واستضعافاً لبني إسرائيل

(١) تفسير ابن كثير (٢ / ٤٤٨) .

فاستعبدوهم وأذلّوهم وبلغ بهم الحال ما ذكر الله عز وجل في قوله : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلُهم الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ [القصص : ٤ - ٦] .

فكان الفراعنة يقتلون الذكور ويستحيون الإناث ، واستمرت هذه المحنة وهذا البلاء عليهم زمناً طويلاً ، إلى أن بعث الله عز وجل موسى عليه السلام رسولا إلى فرعون وملئه ، وطلب منه الإيمان بالله وترك دعوة الناس إلى عبادة نفسه وأن يرفع العذاب عن بني إسرائيل ويسمح لهم بالخروج من مصر .

فأبى فرعون ذلك بغطرسة وكبر ، واستمر في تعذيب بني إسرائيل .

كما قال عز وجل : ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَالْهَتَكَ قَالَ سَنَقْتُلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾ [الأعراف : ١٢٧] .

فأرسل الله على الفراعنة الجذب وهلاك الزروع والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ولكنهم استكبروا وجحدوا ، فأوحى الله إلى موسى بالخروج ببني إسرائيل .

ثانياً : خروج بني إسرائيل من مصر :

خرج موسى عليه الصلاة والسلام ببني إسرائيل ليلاً بأمر الله عز وجل له بذلك قال عز وجل : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ * فَأَرْسَلْنَا فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ لَنَا

لَعَائِظُونَ * وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ * فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِّنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ
كَرِيمٍ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ * فَاتَّبَعُوهُمْ مُّشْرِقِينَ * فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ
قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمَدْرُكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ * فَأَوْحَيْنَا
إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ *
وَأَزَلَفْنَا ثُمَّ الْآخَرِينَ ﴿ [الشعراء : ٥٢ - ٦٤] .

فأنجى الله سبحانه موسى ومن معه وأهلك فرعون وجنوده ، ويذكر اليهود
في كتابهم أنَّ مدة مكثهم في مصر أربعمئة وثلاثون عاما ،^(١) وعددهم عند
الخروج كان الرجال منهم فقط عدا الأولاد والنساء نحو ستمئة ألف رجل^(٢)
وهذا عدا بني لاوي أيضا الذين لم يحسبوه ، وهو عدد مبالغ فيه جدا ، إذ
معنى ذلك أنَّ عددهم كان وقت خروجهم بنسائهم وأطفالهم قرابة مليوني
نسمة ، وهو عدد مبالغ فيه جدا ولا يمكن تصديقه ، إذ أنَّ ذلك يعني أنَّهم
تضاعفوا خلال فترة بقائهم في مصر قرابة ثلاثين ألف ضعف ، إذ كان
عددهم وقت الدُّخول سبعين نفسا ، والله عزَّ وجلَّ قد ذكر قول فرعون :
﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴾ ومليوننا شخص لا يمكن أن يعبر عنهم بهذا .
كما أن تحرك مليوني شخص في ليلة واحدة مستحيل ، إذا علمنا أنَّ في هذا
العدد أطفالا ونساء وشيوخا ، والله أعلم .

ثالثا : ما حدث من بني إسرائيل بعد الخروج :

حدث من بني إسرائيل بعد خروجهم من مصر حوادث عدة .

(١) سفر الخروج ١٢ / ٤٠ .

(٢) سفر الخروج (١٢ / ٢٧) .

● فمن هذه الحوادث : طلبهم من موسى أن يجعل لهم صنماً إلهاً .

وفي هذا يقول الله عز وجل ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ * إِنَّ هَؤُلَاءِ مُمْتَرِكٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ * قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف : ١٣٨ - ١٤٠] .

ولا شك أنَّ هذا الطلب من بني إسرائيل مدعاة للعجب والاستنكار ، فقد رأوا من الآيات ما فيه مقنع وكفاية .

● ومنها : عبادتهم للعجل :

وذلك أنَّ موسى عليه الصلوة والسلام لما ذهب لموعده مع الله أضل السامري بني إسرائيل ، وصنع لهم عجلاً مسبوكاً من الذهب الذي حمله بنو إسرائيل معهم من مصر ، ودعاهم إلى عبادته ، فعبدوه في غياب موسى عليه الصلوة والسلام ، وقد حذَّره هارون عليه السلام ونهاهم عن ذلك .

قال عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي * قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴾ [طه : ٩٠ - ٩١] .

ولما رجع موسى عليه الصلوة والسلام إلى قومه غضبان أسفاً أَنَّهُمْ وَأَحْرَقَ الْعَجَلَ وَذَرَاهُ فِي الْيَمِّ ، ثم حكم عليهم بأن يقتل عبد العجل أنفسهم ليتوب الله عليهم .

وروي في كيفية قتلهم أن يقوم أناس منهم بالسكاكين ومن عبد العجل جلوس ، فتغشاهم ظلمة فيبتدئ الواقفون بطعن الجالسين حتى تنقشع الظلمة

فتكون توبة لمن مات ولمن بقي منهم^(١) .

● ومنها : نكالهم عن قتال الجبابرة .

دعى موسى عليه الصلوة والسلام قومه إلى قتال الجبابرة وهم قوم من الحيتانيين والفزريين والكنعانيين .

وكانوا يسكنون الأرض المقدسة^(٢) فأبى بنو إسرائيل القتال وجبنوا عنه ، واقترحوا على موسى عليه الصلوة والسلام ما ذكره الله عز وجل : ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ .

فهناك دعى موسى - عليه السلام - ربه عز وجل بقوله : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ .

فحكم الله عليهم بالتيه بقوله : ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ .

فظلوا تائهين المدة التي قضى عليهم ، ومات في هذه الفترة موسى - عليه الصلوة والسلام - وكان هارون عليه السلام مات قبله أيضًا .

ويقول اليهود في كتابهم إنه قد مات في زمن التيه كل من كان بالغًا وقت نكولهم ، ولم يدخل الأرض المقدسة منهم سوى يوشع بن نون

(١) انظر تفسير ابن كثير (١ / ٨٠) .

(٢) اختلف في تحديد الأرض المقدسة ف قيل هي أريحا وقيل هي الطور وما حوله وقيل الشام وقيل دمشق وفلسطين وبعض الأردن وقيل هي بيت المقدس . وقال ابن جرير لن تعدوا أن تكون في الأرض التي

بين الفرات وعريش مصر . انظر تفسير ابن جرير (٦ / ١٧٢) تفسير ابن كثير ٣٦ / ٢ .

وكالب بن يوفنا ، وهما فيما قيل اللذان ، قال الله عنهم : ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ اللَّهَ عَلَيْهِمَا آذَحُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ ... ﴾
الآيات [المائدة : ٢٣ - ٢٦] .

رابعاً : دخول بني إسرائيل أرض فلسطين :

بعد انقضاء المدة المحكوم على بني إسرائيل فيها بالتيه فتح بنو إسرائيل الأرض المقدسة بقيادة يوشع بن نون عليه السلام^(١) .

ويذكر اليهود أنهم دخلوها من ناحية نهر الأردن .

ويقسم المؤرخون تاريخهم في فلسطين إلى ثلاثة عهود :

١ - عهد القضاة

والمراد به أن يوشع بن نون عليه السلام لما فتح الأرض المقدسة قسم الأرض المفتوحة على أسباط بني إسرائيل ، فأعطى لكل سبط قسماً من الأرض ، وجعل على كل سبط رئيساً من كبارهم ، وجعل على جميع الأسباط قاضياً واحداً يحتكمون إليه فيما شجر بينهم وهو يمثل الرئيس لجميع الأسباط ، واستمر هذا الحال بيني إسرائيل قرابة الأربعمئة عام فيما يذكر اليهود ، وكان بينهم وبين أعدائهم حروب دائمة يكون النصر فيها لبني إسرائيل مرة ولأعدائهم أخرى .

(١) دل على نبوته حديث أبي هريرة مرفوعاً « إن الشمس لم تحبس لبشر إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس » أخرجه الإمام أحمد ٢ / ٣٢٥ .

وفي رواية أخرى قال فيه « غزا نبي من الأنبياء ... » الحديث . وفيه قصة تتفق مع حبس الشمس في الحديث السابق مما يدل على أن المراد بهذا النبي هو يوشع بن نون عليه السلام . كما أكد هذا الحافظ في « الفتح » ٦ / ٣٢ وابن كثير في « البداية والنهاية » (١ / ٣٥٢) .

ب - عهد الملوك

وهو العهد الذي بدأ فيه الحكم ملكيًا ، وقد قصَّ الله علينا خبر أوَّل ملوكهم في قوله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ أَلَمْ تَر إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ آتِئْتَنَا مَلَكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ... ﴾ [البقرة : ٢٤٦] .

فجعل الله عَزَّ وَجَلَّ عليهم طالوت ملكًا ، فقبَّلوه على كُفْرِهِ منهم ويسمُّونه في كتابهم شاول .

وملك عليهم بعده داود عليه السَّلام ، ثم ابنه سليمان عليه السَّلام وكان عهدهما أزهى العهود التي مرَّت على بني إسرائيل على الإطلاق ، وذلك لما أُوتِيَتْهُ هذان النَّبِيَّانِ الكريمان من العدل والحكمة مع الطَّاعة والعبادة لله عَزَّ وَجَلَّ .

ج - عهد الانقسام

هو العهد التَّالي لسليمان عليه السَّلام حيث تنازع الأمر بعده رحبعام بن سليمان عليه السَّلام ، ويربعام بن نباط ، قاستقل رحبعام بسبط يهوذا وسبط بنيامين ، وكوَّن دولةً في الجنوب من فلسطين عاصمتها « بيت المقدس » .

وسُمِّيت دولة يهوذا نسبةً إلى سبط حكامها وهو سبط يهوذا الَّذي من نسله داود وسليمان عليهما السَّلام وملوك تلك الدَّولة ، واستقلَّ يربعام بن نباط بالعشرة أسباط الأخرى ، وكوَّن دولةً في الشَّمال من فلسطين ، سُمِّيت دَوْلَة إِسْرَائِيل وجعل عاصمتها نابلس^(١) ، وأهل هذه الدَّولة يسمُّون لدى اليهود

(١) انظر هذا التقسيم في : اليهودية لأحمد شلبي ص ٧٥ - ٨٧ .

بالشامريّين نسبة إلى جبل هناك يُسمّى « شامر » اشتراه أحد ملوكهم وهو عمري وسمّاه نسبة إلى صاحبه الشامرة^(١)، وسمّيت منطقتهم « السامرة » .
ويلاحظ أنّ الشامريّين وهم شعب دولة إسرائيل غيّرُوا قبلتهم من بيت المقدس إلى جبل يسمّى « جرزيم »^(٢) ويعتبرهم اليهود من شعب يهوذا ملاحدةً وكفّاراً لتغييرهم القبلة .

ثم إنّ الدولتين كان بينهما عدااء بدون قتال ، وكان يحدث في بعض الفترات من تاريخهما توافق وتعاون ، وكانت دولة إسرائيل كثيرة القلاقل والفتن وتغيّرت الأسرة الحاكمة فيها مراراً عديدة .

أمّا دولة يهوذا فاستقرّ الحكم في سبط يهوذا في ذريّة سليمان وداود عليهما السلام ، وكانت تقع على الدولتين حروب من قبل جيرانهم الأراميين^(٣) ، والفلسطينيين^(٤) ، والأدوميين^(٥) ، والموآبيين^(٦) .

كما أنّ الدولتين وقع من حكامهما وشعبيهما عبادة للأصنام في كثير من

(١) انظر : سفر الملوك الأول ١٦ / ٢٣ - ٢٥ .

(٢) وهو يقع في منطقة نابلس . انظر : قاموس الكتاب المقدس ص ٢٥٨ .

(٣) الأراميون : إحدى الشعوب الشامية التي سكنت في المنطقة الممتدة من جبال لبنان في الغرب إلى ما وراء الفرات شرقاً ، ومن جبال طوروس في الشمال إلى دمشق وما وراءها جنوباً . قاموس الكتاب المقدس ص ٤٢ .

(٤) الفلسطينيون شعوب قدمت من جزيرة كريت وقطنت فلسطين قبل مجيء بني إسرائيل إليها وكانوا يسكنون في منطقة غزة والساحل الغربي من فلسطين . انظر : قاموس الكتاب المقدس ص ٦٩٣ .

(٥) الأدوميون : هم من نسل عيسو بن يعقوب عليه السلام وكانوا يسكنون في المنطقة الممتدة من البحر الميت إلى خليج العقبة . قاموس الكتاب المقدس ص ٣٩ .

(٦) الموآبيون : من الشعوب الشامية التي كانت تقطن المنطقة التي يحدها من الغرب البحر الميت تمتد إلى الشرق قليلاً . قاموس الكتاب المقدس ص ٩٢٧ .

تاريخهما وخاصة دولة إسرائيل واليهود السامريين^(١) .

خامسًا : استيلاء الأجنبي عليهم :

استمرت دولة إسرائيل مستقلة لها سيادتها على أرضها قرابة ٢٤٤ عامًا^(٢) حيث سقطت بعدها في يد الآشوريين في زمن ملكهم سرجون عام ٧٢٢ ق . م تقريبًا فسبى شعبها وأسكنهم في العراق وأتى بأقوام من خارج تلك المنطقة وأسكنهم إياها ، فاعتنقوا فيما بعد ديانة بني إسرائيل^(٣) وبذلك تم القضاء على تلك الدولة .

أمّا دولة يهوذا فاستمرت قرابة ٣٦٢ عامًا^(٤) ثم سقطت بأيدي فراعنة مصر عام ٦٠٣ ق . م تقريبًا ، وفُرِضَتْ عليها الجزية ، وامتدَّ حكم الفراعنة في ذلك الوقت إلى الفرات .

ثم جاء بعد ذلك حاكم بابل الكلداني بختنصر واسترجع منطقة الشام وفلسطين وطرد الفراعنة منها ، ثم زحف مرة أخرى على دولة يهوذا التي تمرّدت عليه ، فدمرها ودمّر معبد أورشليم وساق شعبها مسبيًا إلى بابل ، وهذا ما يُسمّى بالسبي البابلي .

(١) انظر : تاريخ هاتين الدولتين في سفر الملوك الأول - الإصحاح ١١ إلى سفر الملوك الثاني الإصحاح السابع عشر .

(٢) حسب عدد سنوات حكم ملوكها انظر سفر الملوك الأول والثاني ، وكذلك كتاب تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ص ١٧٨ .

(٣) سفر الملوك الثاني الإصحاح ١٧ . وهذا يدلُّ على دخول شعوب أخرى في هذه الديانة فبالنالي ليس كُلُّ اليهود من بني إسرائيل .

(٤) حسب عدد سنوات حكم ملوكها انظر سفر الملوك الأول والثاني وكذلك كتاب تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ص ١٧٨ .

وكان في هذا نهاية هذه الدولة التي تُسمى يهوذا^(١) وذلك في حدود عام ٥٨٦ ق . م .

ثم سقطت دولة بابل في يد الفرس في عهد ملكهم « قورش » سنة ٥٣٨ ق . م الذي سمح لليهود بالعودة إلى بيت المقدس وبناء هيكلهم وعين عليهم حاكماً منهم من قبله .

ومن الجدير بالذكر أن اليهود ذكروا في كتابهم أن « قورش » أرسل النداء في مملكته قائلاً « جميع ممالك الأرض دفعها لي الرب إله السماء وهو أوصاني أن أبني له بيتاً في أورشليم التي في يهوذا ... »^(٢) .

وهذا النص إذا صدق اليهود فيه يكون دليلاً على أن « قورش » كان مؤمناً بالله . واستمر حكم الفرس من ٥٣٨ - ٣٣٢ ق . م . ثم زحف على بلاد الشام وفلسطين الاسكندر المقدوني^(٣) اليوناني واستولى عليها وأزال حكم الفرس بل استولى على بلادهم وبلاد مصر والعراق ، فدخلت هذه المناطق تحت حكمهم من نهاية القرن الرابع قبل الميلاد إلى منتصف القرن الأول قبل الميلاد ، حيث زحف بعد ذلك على البلاد القائد الروماني « بومبي » سنة ٦٤ ق . م وأزال حكم اليونانيين عنها ، فدخل اليهود تحت حكم الرومان وسيطرتهم^(٤) .

(١) انظر : سفر الملوك الثاني الإصحاح ٢٤ .

(٢) سفر عزرا الإصحاح الأول (٢) .

(٣) الاسكندر المقدوني اليوناني الذي امتدت دولته فشملت فارس والعراق والشام ومصر واستولى على أكثر الأرض في زمنه . ثوفي فيما يُقال ٣٢٤ ق . م . انظر : المنجد في الأعلام ص ٤٣ .

(٤) انظر : تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ص ٢٩٠ - ٢٩٧ .

سادساً : تشتتهم في الأرض :

في زمن سيطرة الرومان على منطقة فلسطين بُعث المسيح عليه السَّلام ، وبعد رفعه وقع بلاء شديد على اليهود في فلسطين ، حيث قاموا بثورات ضدَّ الرومان ، ممَّا جعل القائد الروماني تيطس عام ٧٠ م يجتهد في استئصالهم والفتك بهم وسبي أعداد كبيرة منهم وتهجيرها ، ودُمِّر بيت المقدس ومعبد اليهود وكان هذا التدمير الثاني للهيكل ^(١).

وقد زاد في تدمير الهيكل الحاكم الروماني أدريان سنة ١٣٥ م حيث أمر جنوده بتسوية الهيكل بالأرض وبنى فيها معبداً لكبير آلهة الرومان الذي يسمونه جوبيتر ، وهدم كُلَّ شيء في المدينة ولم يترك فيها يهودياً واحداً ، ثم منع اليهود من دخول المدينة ، وجعل عقوبة ذلك الإعدام ، ثم سمح لليهود بالرجوع إلى بيت المقدس يوماً واحداً في السنة والوقوف على جدار بقي قائماً من سور المعبد وهو الجزء الغربي منه ، وهو الذي يُسمَّى « حائط المبكى » ^(٢).

وبهذا تشتَّت اليهود في أنحاء الأرض ، وسلَّط الله عليهم الأُمَمَ يشومونهم سوء العذاب يبغيهم وفسادهم وسوء أخلاقهم . وفي هذا يقول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَشُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الأعراف : ١٦٧] .

وكان من الجزاء الذي حكم الله به عليهم مع هذا العذاب المستمرُّ إلى يوم القيامة تقطيعهم في الأرض وتشتيتهم فيها جزاء كفرهم وفسادهم .

(١) انظر : تاريخ بني إسرائيل محمد عزه دروزه ص ٣٨١ .

(٢) أبحاث في الفكر اليهودي لحسن ظاظا ص ٣٦ - ٣٨ .

قال عز وجل : ﴿ وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَذْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِيهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهَا يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٦٨ - ١٦٩] .

فهذه الآيات الكريمة تشرح واقع اليهود .

فالآية الأولى : تفيد بأن الله قضى عليهم بالعذاب المستمر بأيدي الناس إلى يوم القيامة .

والآية الثانية : تفيد بتمزيقهم في الأرض ، وتمزيقهم ادعى إلى أن يقع بسببه البلاء الشديد عليهم جماعة جماعة ، ولا يستطيع أن ينصر بعضهم بعضاً بسببه .

وقد خلف المسلمون الرومان في القرن الأول الهجري الذي يوافق القرن السابع الميلادي على الشام وفلسطين وجميع ما كان في يد الرومان في هذه المناطق .

وكان اليهود في حالة تشتت وتفرق في جميع أنحاء الأرض ولم يكن يُسمح وقتها لليهود بالسكنى في بيت المقدس كما سبق بيانه ، بل كان من بنود المعاهدة بين نصارى بيت المقدس وعمر بن الخطاب رضي الله عنه أن لا يُسمح لليهود بالسكن في بيت المقدس (١) .

فاستمر اليهود في التشتت والتمزق في أنحاء الأرض إلى هذا العصر الحديث .

(١) انظر : تاريخ الطبري (٣ / ٦٠٩) طبعة دار المعارف تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .

سابعًا : تجمّعهم في فلسطين في العصر الحديث :

لقد ابتدأت الفكرة لدى العالم الغربي في تجميع اليهود في دولة من أيام حملة « نابليون بونابرت » الفرنسي^(١) عام (١٧٩٩) م حيث دعا يَهُود آسيا وأفريقيا للانضمام إلى حملته من أجل بناء مدينة القدس القديمة ، وقد جُنّد منهم عددًا كبيرًا في جيشه ، إلا أن هزيمة نابليون واندحاره حالا دون ذلك . ثم ابتدأت الفكرة تظهر على السطح مرة أخرى ، وبدأ العديد من زعماء الغرب وكبار اليهود يهتمون بها ويؤسسون كثيرًا من الجمعيات المناهية لهذا الأمر .

وابتداء التخطيط الفعلي من إصدار « تيودور هرتزل »^(٢) الزعيم الصهيوني عام (١٨٩٦) م كتابه « الدولة اليهودية » حيث عقد مؤتمر بال في سويسرا سنة (١٨٩٧) م .

وجاء في خطاب افتتاح هذا المؤتمر : « إننا نضع حجر الأساس في بناء البيت الذي سوف يؤوي الأمة اليهودية » ثم اقترح برنامجًا يدعو إلى تشجيع القيام بحركة واسعة إلى فلسطين ، والحصول على اعتراف دولي بشرعية التوطين . ومن قرارات هذا المؤتمر إنشاء « المنظمة الصهيونية العالمية » لتحقيق أهداف المؤتمر والتي تولّت أيضًا إنشاء جمعيات عديدة علنية وسريّة لتخدم هذا الهدف^(٣) . ودرسوا حال المستعمرين فوجدوا أن بريطانيا أنسب الدول لهذا الأمر التي

(١) نابليون بونابرت امبراطور فرنسا كان غزا الشرق ١٧٩٩ م . توفّي سنة ١٨١٥ بعد أن عزل ونفي
انظر : المنجد ص ٧٠٣ .

(٢) تيودور هرتزل مجري يهودي أسس الحركة الصهيونية توفى سنة ١٩٠٤ م . المنجد ص ٧٢٧ .

(٣) انظر : التاريخ اليهودي العام ص ١٩٦ . المسألة اليهودية ص ١٩٨ .

تتفق رغبتها في وضع داء في وسط الأمة الإسلامية موالٍ للغرب^(١) مع رغبة اليهود في وطن قوميٍّ لهم ، وكانت أكثر البلاد العربية تحت سيطرتها ، فدبّروا معها المؤامرة وأخذوا بذلك وعدًا من بلفور رئيس وزراء بريطانيا ثم وزير خارجيتها عام (١٩١٧) م أعلن فيه أن بريطانيا تمنح اليهود حق إقامة وطن قوميٍّ لهم في فلسطين وأنها ستسعى جاهدة في تحقيق ذلك . وكان اليهود قد بدأوا الهجرة إلى فلسطين في الوقت الذي كانت فيه فلسطين تحت الانتداب البريطاني فاستطاع اليهود بسبب الهجرة من تكوين دولة داخل الدولة ، وكانت الحكومة البريطانية تحميهم من بطش المسلمين وتتعامل معهم بكل التسامح ، في الوقت الذي تتعامل فيه مع المسلمين بكل الشدّة والتّكيل . ولما ضعفت بريطانيا عن تحقيق أماني اليهود أحالت الأمر إلى الأمم المتحدة والتي تترعّمها الولايات المتحدة ، التي بدورها استلمت الدور البريطاني في المنطقة ،

(١) اجتمعت الدول الاستعمارية بريطانيا وفرنسا وهولندا وبلجيكا عام ١٩٠٧ للبحث في عوامل البقاء لدولهم واستعمارهم ومما خرجوا به من قرارات ما يعرف بتقرير كامبل باترمان ونورد نصه لأهميته حيث جاء فيه « إن الخطر ضد الاستعمار يكمن في البحر الأبيض المتوسط فعلى الشواطئ الشرقية والجنوبية لهذا البحر شعب واحد ، تتوفّر له وحدة التاريخ والدين واللغة وكل مقومات التّجمع والتّرابط ، هذا فضلاً عن ثرواته الطّبيعية ونزعة التّحرّز . فلو أخذت هذه المنطقة بالوسائل الحديثة ، وإمكانيات الصّناعة الأوربية وانتشر التّعليم بها فستحلّ الضربة القاضية بالاستعمار الغربي فيجب إذن على الدّول ذات المصالح المشتركة أن تعمل على استمرار تجزؤ هذه المنطقة وإبقاء شعبها على ما هو عليه من تفكّك وتأخّر ، وهذا يستلزم فصل الجزء الأفريقي في هذه المنطقة عن الجزء الآسيوي ، وتقرّر اللجنة لذلك إقامة حاجز بشريّ قويّ وغريب يحتلّ الجسر الذي يربط آسيا بأفريقيا بحيث يشكل في هذه المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس قوة صديقة للاستعمار وعدوة لسكان المنطقة » . نقلًا عن تاريخ المشرق العربي ص ٤٩٣ .

ويُضّح من هذا التّقاء المصالح الغربية والأطماع اليهودية ، وأنهم جميعًا كادوا الأمة الإسلامية ... والله غالب على أمره .

فأرسلت الأمم المتحدة لجانها إلى فلسطين ، ثم قرّرت هذه اللجان تقسيم فلسطين بتخطيط يهودي وضغط أمريكي ، فأعلن قرار التّقسيم لفلسطين بين المسلمين واليهود في ٢٩ / ١١ / ١٩٤٧ م .

فقررت الحكومة البريطانية بعده الانسحاب من فلسطين تاركة البلاد لأهلها وذلك بعد أن تأكّدت أنّ اليهود قادرون على تسلّم زمام الأمر ، فحال خروجها في مايو عام (١٩٤٨) م أعلن اليهود دولتهم ، التي اعترفت بها أمريكا بعد إحدى عشر دقيقة ، وكانت روسيا قد سبقتها بالاعتراف ، ثم استطاعت هذه الدّولة اليهوديّة أن تقوم على قدميها ، وأن تخوض ضدّ المسلمين عدّة حُرُوبٍ ، مُني فيها المسلمون بهزائم بسبب بُعدهم عن دينهم ، وتفرّقهم إلى أُمم وأحزاب ، وخيانة بعضهم^(١) ^(٢) .

ولا زالت هذه الدّولة قائمة في قلب الأُمّة الإسلاميّة داءً سيفجّر كثيرًا من الفساد والشّرور ما لم يُقتلَع من جذوره ، فاليهود منذ أزمان بعيدة وهم داء أينما حلّوا نشروا الفساد والشّحناء والعدوان بين أهل البلاد التي يحلّون فيها ، وقد رأت الدّول الغريبة أنّها ستكسب مكسبين عظيمين من إقامة هذا الكيان في جسد الأُمّة الإسلاميّة :

(١) انظر التاريخ اليهودي العام ص ٢٥٨ وما بعدها .

(٢) لقد هزم العرب أمام اليهود في عام ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ م . هزائم منكرة والواقع أنّ هذا إن دُلّ على شيء فإنما يدلّ على فساد الأنظمة العربية التي فشلت في مواجهة مجموعة من حثالة البشر وهذا دليل على عدم صلاحية العلمانية والقومية والديمقراطية التي تنوّع إليها أكثر الأنظمة العربية لأنّها من أهم الأسباب في فشل هذه الدول في رفع العار عن المسلمين وردّ حقّهم إليهم ودحر عدوهم . فعليه فالأجدر بحكام المسلمين أن يعودوا إلى الله عزّ وجلّ وإلى دينهم لعلّ الله أن ينصرهم فيحوزوا عزّ الدّنيا وفوز الآخرة .

أَحَدُهُمَا : أَنَّهَا تَسْلَمُ مِنْ شُرُورِ الْيَهُودِ ، وَتَسَيِّرُتَهُمْ ، وَتُفْسِدُهُمْ وَتَحْكُمُهُمْ فِي الْبِلَادِ وَثُرَوَاتِهَا .

ثَانِيَهُمَا : أَنَّهَا تَضَعُ فِي قَلْبِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ دَوْلَةَ حَلِيفَةٍ لَهُمْ وَهِيَ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ عِلَّةٌ تَسْتَنْزِفُ قُوَى الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَتَضَعُ بِذَوْرِ الْفِرْقَةِ وَالْخِلَافِ بَيْنَ أَفْرَادِهَا ، حَتَّى لَا تَقُومَ لَهَا قَائِمَةٌ .

وَهَذَا الْوَضْعُ لَا زَالَ قَائِمًا ، وَالْأَيَّامُ مَلِيئةٌ ، وَكُلُّ يَوْمٍ يُظْهِرُ الْهَدَفَ وَاضِحًا وَتُظْهِرُ الشَّخْصِيَّةَ الْيَهُودِيَّةَ الْحَقِيقِيَّةَ أَكْثَرَ وَأَوْضَحَ ، وَمَا لَمْ يَقُ الْمُسْلِمُونَ لَوَاقِعَهُمُ الْمُرِيرَ وَيَنْظُرُوا لِمُسْتَقْبَلِهِمْ بِالْعَيْنِ الْمُسْتَبْصِرَةِ بِنُورِ اللَّهِ الْمُهْتَدِيَةِ بِشَرْعِهِ الْوَائِقَةِ مِنْ نَصْرِهِ ، فَإِنَّهُ لَنْ يَتَغَيَّرَ الْحَالُ بَلْ سَتَزْدَادُ الْأَزْمَاتُ وَالْمَصَائِبُ عَلَى الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ ، حَتَّى يَأْذَنَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَتَعُودَ الْأُمَّةُ إِلَى رَبِّهَا وَدِينِهَا فَتَكُونَ جَدِيرَةً بِنَصْرِ اللَّهِ وَاسْتِعَاذَةِ مَقْدَسَاتِهَا .

وَنَحْنُ نَرَى أَنَّ تَجْمُعَهُمْ هَذَا مَقْدَمَةٌ لِتَحْقِيقِ كَلَامِ الرَّسُولِ ﷺ عَنْهُمْ بِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ يَقْتُلُونَ الْيَهُودَ^(١) وَلَعَلَّ فِلَسْطِينَ سَتَكُونُ مَقْبَرَتَهُمْ ، وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ ، وَلَنْ يَفْلَحَ قَوْمٌ سَجَّلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ غَضَبَهُ ، وَلَعْنَهُمْ وَضَرَبَ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةَ وَالْمَسْكَنَةَ ، بَلْ لَعَلَّهَا مَوْذَنَةٌ بِفَنَائِهِمْ وَالْقَضَاءُ عَلَى بَذَرَتِهِمْ الْخَبِيثَةِ ، كَمَا نَرَى أَنَّهُمْ مَا تَوَصَّلُوا إِلَى مَا تَوَصَّلُوا إِلَيْهِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ صَارَ الْمُسْلِمُونَ فِي غَايَةِ التَّخَلُّفِ وَالضَّعْفِ ، وَابْتَعَدَ عَنِ الدِّينِ ، الَّذِي بِهِ يَتَوَصَّلُونَ إِلَى خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

(١) رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ (٤ / ٢٢٣٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « لَا تَقُومُ الشَّاعَةُ حَتَّى يَقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوْ الشَّجَرُ : يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ . إِلَّا الْفَرْقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ » . وَالْفَرْقَدُ نَوْعٌ مِنْ شَجَرِ الشُّوكِ مَعْرُوفٌ بِبِلَادِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ .

مسألة : ادعاء اليهود أن لهم حقًا تاريخيًا ودينيًا في فلسطين :

قد تقدّم بيان أن بني إسرائيل هم سلالة يعقوب عليه السّلام ، وأنّ أوّل دخول لهم إلى فلسطين كان مع يوشع بن نون بعد وفاة موسى عليه السّلام في الثّيه ، وبعد نكولهم عن القتال أوّل الأمر ، وقد كان في فلسطين قبل استيلاء بني إسرائيل عليها ثلاث قبائل وهم :

الفينيقيّون : وسكنوها حوالي سنة (٣٠٠٠) ق . م ، واستوطنوا المنطقة الشّمالية منها على البحر الأبيض المتوسط .

الكنعانيّون : نزلوا جنوب الفينيقيّين وشغلوا المنطقة الوسطى من فلسطين سنة (٢٥٠٠) ق . م .

وهذه كانت من القبائل العربية المهاجرة من شبه الجزيرة العربيّة ، ثم جاءت جماعات من جزيرة كريت حوالي عام (١٢٠٠) ق . م وكانت تسمى فلسطين ، ونزلت بين يافا وغزة على البحر الأبيض المتوسط وسمى الكنعانيون هؤلاء القوم ، فلسطينيين ، وغلبت التّسمية على المنطقة كلّها فأصبحت تُدعى فلسطين^(١) .

وحسب ما أورده اليهود في كتابهم ، وما كتب في تاريخ المنطقة فإنّ هذه الشّعوب استمرّت في المنطقة ، وكان بينها وبين بني إسرائيل واليهود حروب عديدة ، استمرت طوال فترة وجود اليهود في تلك المنطقة .

فمن الناحية التاريخيّة يتبيّن لنا أنّ اليهود ليسوا أوّل من سكن فلسطين ، بل دخلوها أو بعضها واستولوا على أجزاء منها بعد أن كانت في يد هؤلاء القوم .

(١) انظر : اليهودية أحمد شليبي - ص ٤١ .

أما من الناحية الدينية : فقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام : ﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ [المائدة : ٢١] .

فقوله تعالى : ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ .

قال ابن إسحاق : « التي وهب الله لكم » .

وقال السدي : « التي أمركم الله بها » .

وقال قتادة : « أمر القوم بها كما أمرنا بالصلاة والزكاة والحج والعمرة »^(١) إذا قوله تعالى ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ ليس هو تملك على رأي بعض العلماء ، وعلى الرأي الآخر هو تملك لهم بشرط أن يدخلوها . وعلى رأي البعض : هي هبة لهم . فهذا يبين معنى ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ ، ومع هذا فليس فيه دليل على أن لهم الحق في فلسطين وذلك لأن الله ينعم على عباده المؤمنين في حال الإيمان بنعم كثيرة ، وهي لهم في حال الإيمان . أما في حال الكفر فلا حق لهم بها ، وبنوا إسرائيل حين أمرهم الله بالدخول نكلوا ، فمنعهم منها ، وحين استجابوا وأطاعوا منحها الله لهم .

لهذا قال ابن كثير في الآية : « التي وعدكموها الله على لسان أبيكم إسرائيل إنه ورائه من آمن منكم »^(٢) .

إذا فهي لهم في حال إيمانهم ، أما في حال كفرهم فليس لهم فيها حق . يدل على هذا قول الله جلّ وعلا : ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ *

(١) تفسير ابن جرير (٦ - ١٧٣) ، فتح القدير للشوكاني (٢ - ٢٩) .

(٢) تفسير ابن كثير (٢ / ٣٦) .

وَلْتَشْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضُ مِنْ بَعْذِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدَ ﴿ [إبراهيم : ١٤] .

وقال : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٥] .

وبما أَنَّ اليهود كفروا بالله ، وبأنبيائه ، وسَجَّلَ اللهُ عليهم غضبه ولعنته فليس لهم حقٌّ في الأرض المقدَّسة بل هي من حقِّ عباده المؤمنين ، كما قال تعالى : ﴿ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ .

مسألة : كذب اليهود المعاصرين في ادِّعائهم أَنَّهُم نسل بني إسرائيل :

اليهود المعاصرون يشيعون وينشرون أَنَّهُم نسل بني إسرائيل الأوائل الذين قطنوا فلسطين ، وهم في زعمهم وارثوا أولئك الإسرائيليين الأوائل الذين كانوا في فلسطين ، ويجتهد اليهود في نشر دعوى نقاء العنصر اليهوديِّ من الاختلاط بالأُمم الأخرى ، فهم جنس حافظ في زعمهم على نقاء عنصره ، ولليهود في ذلك هدف خطير وحيويٌّ بالنسبة لهم ، وهو أَنَّ هذه الدَّعوى تجعلهم في نظر النَّصارى أبناءً ليعقوب ومن ذريته ، فيكونون بذلك مقصودين بالوعود الواردة في العهد القديم لبني إسرائيل ، فيستدرون بذلك عطف النَّصارى وإحسانهم ونصرتهم خاصَّةً إذا علمنا أَنَّ النَّصارى يقدِّسون التَّوراة ويعتقدون أَنَّ ما فيها وحيٌّ من الله عزَّ وجلَّ . كما سيأتي بيانه .

ولكنَّ الواقع يكذب اليهود في دعواهم نقاء جنسهم ، وذلك أَنَّ نظرةَ عامَّةٍ في هياتهم وسحتهم تدلُّ على تباين أصولهم ، ففيهم ذو السَّحنة الأوربية وذو السَّحنة العربية ، وفيهم ذو السَّحنة الأفريقيَّة ، ومع هذا التَّباين لا يمكن

ادَّعَاءُ أَنَّ أَصْلَهُمْ وَاحِدٌ ، إذ لا بد من أن يكونوا اختلطوا بأمم أخرى أورثتهم هذا التباين في السمات .

ثم إن اليهود ذكروا في كتابهم أَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ تَزَوَّجُوا بِنِسَاءٍ أَجْنِيَّاتٍ وَأَنَّ نِسَاءَهُمْ أَخَذَهُنَّ رِجَالٌ أَجَانِبٌ^(١) حَتَّى إِنَّهُمْ يَنْسُبُونَ إِلَى سَلِيمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَلِكَ^(٢) .

كما أنه ثبت تاريخيًا أَنَّ أُمَّةً كَبِيرَةً وَهِيَ شَعْبُ دَوْلَةِ الْخَزَرِ تَهْدُو فِي الْقَرْنِ الثَّامِنِ الْمِيلَادِيِّ ، وَكَانَ قَبْلَ وَثْنِيًا ، وَهُوَ شَعْبٌ تَرْكِيٌّ آرِي كَانَ يَقُطِنُ مَنَاطِقَ آسِيَا الْوَسْطَى وَدَوْلَتَهُمُ الَّتِي تُسَمَّى بِاسْمِهِمْ دَوْلَةُ الْخَزَرِ كَانَتْ تَقَعُ فِي الْمَنَاطِقِ بَيْنَ الْبَحْرِ الْأَسْوَدِ وَبَحْرِ قَزْوِينَ ، وَتَشْغُلُ مَنَاطِقَ شِمَالِ أَذْرَبَيْجَانِ وَأَرْمِينِيَّةٍ وَأُوكْرَانِيَّةٍ وَجَمِيعَ مَنَاطِقِ جَنُوبِ رُوسِيَا ، إِلَى حُدُودِ مُوسْكُو عَاصِمَةِ رُوسِيَا ، وَكَانَ بَحْرُ قَزْوِينَ يُسَمَّى بِحَرِّ الْخَزَرِ ، وَقَدْ جَاءَ فِي الْمَوْسُوعَةِ الْيَهُودِيَّةِ عَنِ الْخَزَرِ مَا يَلِي :

« ... الْخَزَرِ شَعْبٌ تَرْكِيٌّ الْأَصْلُ تَمْتَرِجُ حَيَاتُهُ وَتَارِيخُهُ بِالْبَدَايَةِ الْأُولَى لِتَارِيخِ يَهُودِ رُوسِيَا .. أَكْرَهْتَهُ الْقَبَائِلُ الْبَدْوِيَّةُ فِي الشُّهُولِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى عَلَى تَوْطِيدِ أُسُسِ مَمْلَكَةِ الْخَزَرِ فِي مَعْظَمِ أَجْزَاءِ رُوسِيَا الْجَنُوبِيَّةِ قَبْلَ قِيَامِ الْفَرَانْجِيِّينَ سَنَةَ ٨٥٥ م بِتَأْسِيسِ الْمَمْلَكَةِ الرُّوسِيَّةِ ، فِي هَذَا الْوَقْتُ (٨٥٥ م) كَانَتْ مَمْلَكَةُ الْخَزَرِ فِي أَوْجِ قُوَّتِهَا تَخُوضُ عِمَارَ حُرُوبٍ دَائِمَةٍ ، وَعِنْدَ نِهَايَةِ الْقَرْنِ الثَّامِنِ تَحَوَّلَ مَلِكُ الْخَزَرِ وَنَبْلَاؤُهُ وَعَدَدُ كَبِيرٍ مِنْ شَعْبِهِ الْوَثْنِيِّينَ إِلَى الدِّيَانَةِ الْيَهُودِيَّةِ .. كَانَ عَدَدُ السُّكَّانِ الْيَهُودِ ضَخْمًا فِي جَمِيعِ أَنْحَاءِ مَقَاطِعَةِ الْخَزَرِ خِلَالِ الْفَتْرَةِ الْوَاقِعَةِ بَيْنَ الْقَرْنِ السَّابِعِ وَالْقَرْنِ الْعَاشِرِ الْمِيلَادِيِّ ... بَدَأَ عِنْدَ حَوَالِي الْقَرْنِ الثَّاسِعِ أَنَّ جَمِيعَ

(١) انظر : سفر القضاة ٣ / ٥ وانظر سفر نحemia (١٣ / ٢٣) .

(٢) انظر : سفر الملوك الأول (١١ / ١ - ٣) .

الجزر أصبحوا يهودًا وأنهم اعتنقوا اليهودية قبل وقت قصير فقط»^(١).

ثم إن هذه الدولة سقطت بعد ذلك في يد الروس الذين احتلوها وقضوا عليها تمامًا ، واستولوا على جميع أراضيها ، وقد تلاشت هذه الدولة من خارطة أوروبا في القرن الثالث عشر الميلادي ، وتوزع شعبها على دول أوروبا الشرقية والغربية ، وكانت أكبر تجمعاتهم في أوروبا الشرقية هنغاريا وبولندا ورومانيا والمجر وروسيا^(٢).

فهذا يدلُّ دلالة واضحة أنَّ اليهود الذين يُسمَّون الاشكنازيم وهم يهود أوروبا لا يمتُّون بصلة إلى يعقوب عليه السلام وذريته . ونحن المسلمون نعتقد أنَّ انتسابهم إلى يعقوب عليه السلام أو غيره لا يغيِّر من موقفنا منهم ماداموا يهودًا ومجاريين لنا ، معتدين على إخواننا إذ أنَّ الأنساب لا وزن لها مع الكفر ولا حاجة إليها مع الإسلام .



(١) نقلًا عن كتاب « يهود اليوم ليسو يهودًا » ص ١٩ لمؤلفه بنيامين فريدمان .

(٢) انظر : كتاب « يهود اليوم ليسو يهودًا » ص ١٩ لمؤلفه بنيامين فريدمان .

الفصل الثالث

مصادر اليهود

- المبحث الأول : التّوراة والكتب الملحقة بها .
- المبحث الثاني : التلمود .
- المبحث الثالث : بروتوكولات حكماء صهيون .

الفصل الثالث

مصادر اليهود

اليهود لهم مصادر يستمدُّون منها عقيدتهم ، وفكرهم ، ومنهجهم ، وهذه المصادر هي التَّوراة والكتب الملحقة بها ، والتلمود ، ويُضَافُ إليهما البروتوكولات لدى الصَّهاينة في العصر الحديث وستحدث عن كُلِّ مصدر من هذه المصادر بشيءٍ من التَّفصيل .

المبحث الأول

التَّوراة والكتب المحققة بها

- ويشتمل على ست مطالب :
- المطلب الأول : تعريف التَّوراة .
- المطلب الثاني : تأريخ التَّوراة .
- المطلب الثالث : تحريف التَّوراة .
- المطلب الرابع : الذات الإلهية في التَّوراة المحرَّفة .
- المطلب الخامس : الأنبياء عليهم السَّلام في التَّوراة المحرَّفة .
- المطلب السادس : اليوم الآخر لدى اليهود .

★★★★

المطلب الأول

تعريف التَّوراة

التَّوراة لغةً :

هي كلمةٌ عبرانية معناها الشريعة أو التَّاموس .

التوراة اصطلاحاً :

يُرَادُّ بها عند اليهود : خمسة أسفار يعتقدون أنَّ موسى عليه السَّلام كتبها بيده ويُسمُّونها « البنتاتوك » نسبة إلى « بنتا » وهي كلمة يونانية تعني خمسة أي الأسفار الخمسة وهي :

١- سِفْر التَّكوين : يتحدَّث عن خلق السَّموات ، والأرض ، وآدم ، والأنبياء بعده إلى موت يوسف عليه السَّلام .

٢- سِفْر الخروج : ويتحدَّث عن قصة بني إسرائيل من بعد موت يوسف عليه السَّلام إلى خروجهم من مصر ، وما حدث لهم بعد الخروج مع موسى عليه السَّلام .

٣- سِفْر اللاويين : وهو نسبة إلى بني لاوى ، وهم سبط من بني إسرائيل مكلفون بالمحافظة على الشريعة وتعليمها النَّاس ، ويتضمَّن هذا السِّفر أموراً تتعلَّق باللاويين وبعض الشعائر الدينيَّة .

٤- سِفْر العدد : وهو معني بعدَّ بني إسرائيل ، ويتضمَّن توجيهات ، وحوادث حدثت من بني إسرائيل بعد الخروج .

٥- سِفْر التَّثية : ويعني تكرير الشريعة ، وإعادة الأوامر والتَّواهي عليهم مرة

أخرى ، وينتهي هذا السفر بذكر موت موسى عليه السلام وقبره ومكان قبره .
والتوراة في اصطلاح النصارى : هي الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى
عليه السلام والكتب الملحقة بها . وتُسمى عندهم العهد القديم .

أمّا في اصطلاح المسلمين فهي : الكتاب الذي أنزله الله على موسى ، نورا
وهدى لبني إسرائيل ، وألقاه إليه مكتوبا في الألواح^(١) .

أمّا الكتب الملحقة بالتوراة فهي : أربعة وثلاثون سفرا ، حسب النسخة
البروتستانتية فيكون مجموعها مع التوراة تسعة وثلاثين سفرا ، وهي التي
تُسمى العهد القديم لدى النصارى ويمكن تقسيمها إلى خمسة أقسام :

أولاً : الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام .

ثانيا : الأسفار التاريخية وهي ثلاثة عشر سفرا :

- ١ - يشوع . ٢ - القضاة . ٣ - راعوث . ٤ - صموئيل الأول . ٥ - صموئيل الثاني
- ٦ - الملوك الأول . ٧ - الملوك الثاني . ٨ - أخبار الأيام الأول . ٩ - أخبار الأيام الثاني
- ١٠ - عزرا . ١١ - نحميا . ١٢ - إستير . ١٣ - يونا (يونس عليه السلام) ..

وهذه الأسفار تحكي قصّة بني إسرائيل من بعد موسى عليه الصلاة والسلام
إلى ما بعد العودة من السبي البابلي إلى فلسطين ، وإقامتهم للهكل مرة أخرى
بعد تدميره .

ما عدا سفري أخبار الأيام الأول والثاني فإنّها تعيد قصّة بني إسرائيل
وتبتدئ بذكر مواليد آدم على سبيل الاختصار ، إلى السنة الأولى لملك الفرس
« قورش » .

(١) انظر : الفكر الديني لليهود ص ١٤ .

وكذلك سِفْر يونان (يونس عليه السلام) يحكي قصته مع أهل نينوى الذين أرسل إليهم .

ثالثًا : أسفار الأنبياء وهي خمسة عشر سفرًا :

- ١ - أشعيا ٢ - أرميا ٣ - حزقيال ٤ - دانيال ٥ - هوشع ٦ - يوثيل
- ٧ - عاموس ٨ - عوبديا ٩ - ميخا ١٠ - ناحوم ١١ - حبقوق ١٢ - صفنيا
- ١٣ - حجي ١٤ - زكريا ١٥ - ملاخي^(١) .

وهذه الأسفار يغلب عليها طابع الرؤى ، والتنبؤات بما سيكون من حال بني إسرائيل ، وحال الناس معهم ، وفيها تهديدات لبني إسرائيل ، ووعود بالعودة والنصر . وأصحاب هذه الأسماء الذين نُسِبَتْ إليهم هذه الأسفار هم ممن كانوا زمن السبي إلى بابل وبعده .

رابعًا : أسفار الحكمة والشعر (الأسفار الأدبية) وهي خمسة أسفار :

- ١ - سِفْر أيوب ٢ - الأمثال ٣ - الجامعة ٤ - نشيد الانشاد ٥ - مرثي إرميا .

خامسًا : سِفْر الابتهالات والأدعية سِفْر واحد ، وهو سِفْر المزامير المنسوب إلى داود عليه السلام^(٢) .

هذه أسفار النسخة العبرانية المعتمدة لدى البروتستانت من النصارى . أمّا

(١) ذكرتُها حسب ورودها وترتيبها في النسخة البروتستانتية .

(٢) يُلاحظُ أن أهل الكتاب يحزون كتابهم إلى أسفار وإصحاحات وفقرات ، فكلُّ سفر يحوي عددًا من الإصحاحات فهو يُشبه من هذا الوجه الأجزاء في تخریب القرآن الكريم . وكلُّ إصحاح يحوي لديهم العديد من الفقرات فهو يشبه في ذلك الشور في تجزئة القرآن الكريم ، أمّا الفقرات فتختلف في الطول والقصر .

النصارى الكاثوليك ، والأرثوذكس فيعتمدون النسخة اليونانية ، وهي تزيد على العبرانية بسبعة أسفار هي : سفر طويا ، ويهوديت ، والحكمة ، ويشوع ابن سيراخ ، وباروخ ، والمكايين الأول والمكايين الثاني .

○○○○

المطلب الثاني

تاريخ التوراة

إنَّ كُلَّ كتاب يستمدُّ قيمته من قيمة صاحبه ، ولا بد أن يثبت صحَّة نسبته إلى صاحبه ، وإلاَّ يفقد قيمته ، والكتب المنزلة المقدَّسة تستمدُّ قدسيَّتها من نسبتها إلى من جاءت من عنده وهو الله عزَّ وجلَّ ، ولا بُدَّ لثبوت قدسيَّتها أن تثبت صحَّة نسبتها وسندها إلى الله عزَّ وجلَّ ، وما لم تثبت صحَّة نسبتها وسندها إلى الله عزَّ وجلَّ فإنَّها لا تكون مقدَّسة ، ولا لازمة القبول . إذ تكون عرضة للتَّحريف ، والتَّبديل ، والخطأ .

فلهذا لا بُدَّ لنا أن نتعرَّف على حال التوراة المنسوبة إلى موسى عليه السَّلام وهي أهم جزء في العهد القديم الذي بين يدي اليهود والنصارى فنقول :

أولاً : إنَّ من نظر في التوراة والأسفار الملحق بها يجد ذكرًا محدودًا لأسفار موسى التي يسمونها الشريعة ، أو سفر الرَّبِّ ، أو التوراة .

■ ومن خلال هذه المعلومات نجد أنَّ اليهود ذكروا :

١- أنَّ موسى عليه السَّلام دوَّن جميع الأحكام ، وكتبها ، وهي أحكام أعطىها شفهيًا .

وفي هذا يقولون في « سفر الخروج » ٢٤ / ٣ : « فجاء موسى وحَدَّث الشَّعب بجميع أقوال الرَّبِّ وجميع الأحكام ، فأجاب جميع الشَّعب بصوت واحد وقالوا كل الأقوال التي تكلم بها الرب نفعل فكتب موسى جميع أقوال الرَّبِّ ... » .

ثم يقولون : « وأخذ^(١) كتاب العهد ، وقرأ في مسامع الشعب فقالوا : كل ما تكلم به الرب نفعل ونسمع له » .

٢- أن موسى أعطى شريعة مكتوبة بيد الله تعالى .

وفي هذا يقولون في « سفر الخروج » ١٢ / ٢٤ : « وقال الرب لموسى اصعد إلى الجبل ، وكن هناك فأعطيك لوحى الحجارة ، والشريعة ، والوصية التي كتبتها لتعليمهم » .

ثم ذكروا بعد هذا أن موسى عليه السلام مكث أربعين يوماً في الجبل وذكروا شرائع كثيرة أعطيتها ، وتكلم الله بها معه ، ثم في نهاية ذلك ذكروا إعطاءه الألواح .

وفي هذا يقولون في « سفر الخروج » ٣١ / ١٨ : « ثم أعطى موسى عند فراغه من الكلام معه في جبل سيناء لوحى الشهادة ، لوحى حجر مكتوبين بإصبع الله » .

وفي أثناء غياب موسى عليه السلام عبد بنوا إسرائيل العجل ، فلما عاد موسى عليه السلام ورأى قومه يرقصون حول العجل ألقى الألواح ، ويذكر اليهود هنا أن الألواح تكسرت ، ثم إن الله سبحانه وتعالى فيما يذكرون كتب له لوحين آخرين بدلاً عنها^(٢) .

٣ - يذكر اليهود أن موسى قبيل وفاته كتب التوراة ، وأعطائها لحاملي الثابوت .

(١) أي موسى عليه السلام .

(٢) سفر الخروج (١ / ٣٤) .

وفي هذا يَقُولُونَ في « سِفْر التَّثْنِيَةِ » ٣١ / ٩ : « وكتب موسى هذه التَّوْرَةَ وَسَلَّمَهَا لِلْكَهَنَةِ بَنِي لَازِي حَامِلِي تَابُوتِ عَهْدِ الرَّبِّ ^(١) ، وَلِجَمِيعِ شِيُوخِ إِسْرَائِيلَ ، وَأَمَرَهُمْ مُوسَى قَائِلًا : فِي نِهَآيَةِ السَّبْعِ السَّنِينَ فِي مِعَادِ سَنَةِ الْبَرَاءِ فِي عِيدِ الْمَظَالِ حِينَمَا يَجِيءُ جَمِيعُ إِسْرَائِيلَ لَكِي يَظْهَرُوا أَمَامَ الرَّبِّ إِلَهِكِ فِي الْمَكَانِ الَّذِي يَخْتَارُهُ ، تَقْرَأُ هَذِهِ التَّوْرَةَ ، أَمَامَ كُلِّ إِسْرَائِيلَ فِي مَسَامِعِهِمْ » .

ثم ذكر اليهود في خاتمة هذا السِّفْرِ السَّبَبَ الَّذِي لِأَجْلِهِ دَوَّنَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ التَّوْرَةَ .

فَقَالُوا فِي « سِفْر التَّثْنِيَةِ » ٣١ / ٢٤ : « فَعِنْدَمَا كَمَّلَ مُوسَى كِتَابَةَ كَلِمَاتِ هَذِهِ التَّوْرَةِ فِي كِتَابٍ إِلَى تَمَامِهَا ، أَمَرَ مُوسَى اللَّازِيِينَ حَامِلِي تَابُوتِ عَهْدِ الرَّبِّ قَائِلًا : خَذُوا كِتَابَ التَّوْرَةِ هَذَا ، وَضَعُوهُ بِجَانِبِ تَابُوتِ عَهْدِ الرَّبِّ إِلَهِكُمْ لِيَكُونَ هُنَاكَ شَاهِدًا عَلَيْكُمْ ، لِأَنِّي أَنَا عَارِفٌ تَمَرُّدَكُمْ وَرِقَابَكُمْ الصُّلْبَةَ . هُوَذَا أَنَا بَعْدَ حَيٍّ مَعَكُمْ الْيَوْمَ قَدْ صَرْتُمْ تَقَاوِمُونَ الرَّبَّ فَكُم بِالْحَرَى بَعْدَ مَوْتِي » .

هنا يظهر بوضوح استفسار عن هذا المدوَّن الذي يزعم اليهود أنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ دَوَّنَهُ ، هل هو سِفْرُ الشَّرِيعَةِ الَّذِي أُعْطِيَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَكْتُوبًا فِي الْأَلْوَحِ وَوَضَعَهُ فِي التَّابُوتِ ؟ أَمْ أَنَّهُ كِتَابٌ آخَرُ ؟

٤- يَذْكُرُ الْيَهُودُ فِي « سِفْرِ يَشُوعَ » أَنَّ كَتَبَ يُوشَعَ التَّوْرَةَ مَرَّةً أُخْرَى عَلَى

(١) التَّابُوتُ مِنْ أَقْدَسِ مَقْدَسَاتِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَهُوَ صَنْدُوقٌ مِنَ الْخَشَبِ يَزْعُمُونَ أَنَّ اللَّهَ أَمَرَهُمْ بِصَنْعِهِ عَلَى هَيْئَةٍ خَاصَّةٍ وَكَانُوا يَسْتَقْبِلُونَهُ فِي صَلَاتِهِمْ وَلَمَّا بَنَى سَلِيمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَيْتَ الْمَقْدَسِ جَعَلَهُ فِيمَا يَسْمُونَهُ (قَدْسُ الْأَقْدَاسِ) وَهِيَ حَجَرَةٌ صَغِيرَةٌ يَسْتَقْبِلُونَهَا فِي الصَّلَاةِ . وَقَدْ ذَهَبَتْ جَمِيعُ هَذِهِ الْمَقْدَسَاتِ بَعْدَ تَدْمِيرِ الْهَيْكَلِ زَمَنَ غَزْوِ بَخْتَنْصَرِ .

أحجار المذبح^(١) حسب وصية موسى عليه السلام^(٢).

وفي هذا يقولون : « حينئذ بنى يشوع مذبحاً للربّ إله إسرائيل في جبل عيبال ... وكتب هناك على الحجارة نسخة تورا موسى التي كتبها امام بني إسرائيل ... وبعد ذلك قرأ جميع كلام التّورا البركة واللّغة حسب كلّ ما كتب في سفر التّورا »^(٣).

٥ - ينقطع بعد هذا ذكر التّورا وخبرها ، فلا يذكر اليهود في كتابهم التّورا التي كتبها موسى ، ولا ما كتبه يشوع على حجارة المذبح ، وأنّما يذكرون الثّابوت الذي وّضِع موسى عليه السلام فيه التّورا ، وأنّ هذا الثّابوت استولى عليه الأعداء في زمن النبيّ صموئيل في قولهم^(٤) ، ثم أُعيد إليهم بعد سبعة أشهر ، فجعلوه في قرية يسّمونها يعاريم .

وبقي هناك فيما يذكرون عشرين عامّاً إلى أن جاء داود عليه السلام فأصعده من هناك إلى « أورشليم » ، وجعله في خيمة^(٥) . ثم نقله سليمان عليه السلام إلى الهيكل الذي بناه ، وجعله في قدس الأقداس فيما يقولون ، وكانوا يستقبلونه في الصّلاة وقد ذكروا هنا أنّ سليمان عليه السلام حين فتح الثّابوت لم يكن فيه سوى لوحَي الحجر اللّذين وضعهما موسى عليه السلام^(٦) .

(١) المراد بالمذبح هو مكان تقديم القرابين حيث تُذبح قربة لله ثم تأتي نازلاً من السّماء فتأكلها إن كانت مقبولة .

(٢) ورد في سفر التّثنية ٢٧ / ٢ « فيوم تعبرون الأردن إلى الأرض التي يعطيك الربّ إلهك تقيم لنفسك حجارة كبيرة وتشيدها بالشيد وتكتب عليها جميع كلمات هذا التّاموس » .

(٣) سفر يشوع (٨ / ٣٠) . (٤) انظر خبر استيلاء أعداء اليهود على الثّابوت بما فيه وأنّه مكث عندهم سبعة أشهر ثم عاد إليهم . سفر صموئيل الأوّل (٤ / ٣ وما بعدها) .

(٥) انظر ذلك في : سفر صموئيل الثاني (٦ / ١ - وما بعدها) .

(٦) انظر : سفر الملوك الأوّل (٨ / ١ - وما بعدها) .

فأين ذهبت نسخة التَّوراة التي نسخها موسى عليه السَّلام ؟ هذا ما لا يجد اليهود ولا النَّصارى جوابًا له .

٦ - بعد سليمان عليه السَّلام انقسمت دولة بني إسرائيل إلى قسمين :

- دولة إسرائيل في الشَّمال : وهي تحت حكم « يربعام بن نباط » وعاصمتها : « نابلس » .

- ودولة يهوذا في الجنوب . وهي تحت حكم « رحبعام بن سليمان » وعاصمتها : « أورشليم » .

ويذكر اليهود حادثة في زمن « رحبعام » لها دلالتها المهمَّة : وهي أنَّ « رحبعام » ترك شريعة الرَّبِّ هو وكُلُّ شعب يهوذا ، وذلك يعني انحرافهم عن الدِّين ، فهاجمهم فرعون مصر في ذلك الزَّمن واستباح ديارهم .

وفي هذا يقولون : في « سفر الملوك الأوَّل » (١٤ / ٢٢) : « وعمل يهوذا الشرَّ في عيني الرب ، وأغاروه أكثر من جميع ما عمل آباؤهم بخطاياهم التي أخطأوا بها ، وبنوا لأنفسهم مرتفعات ، وأنصابًا ، وسواري على كُلِّ تلٍّ مرتفع ، وتحت كُلِّ شجرة خضراء^(١) وكان أيضًا مآبونون في الأرض فعلوا حسب كل أرجاس الأمم الذين طردهم الرَّبُّ من أمام بني إسرائيل^(٢) . وفي السَّنة الخامسة للملك رحبعام صعد شيشق ملك مصر إلى أورشليم وأخذ جميع خزائن بيت الرَّبِّ ، وخزائن بيت الملك ، وأخذ كُلَّ شيء . وأخذ جميع أتراس الذهب التي عملها سليمان » .

(١) ذلك يعني أنَّهم وقعوا في الشُّرك وعبادة الأصنام .

(٢) هذا يعني أنَّهم وقعوا في الانحرافات الأخلاقية والفجور الذي يفعله من كان قبلهم .

وفي « سفر أخبار الأيام الثاني » (١٢ / ١) وصفوا شيشق ، وما معه من قوة بما يلي : « وفي السنة الخامسة للملك رحبعام صعد شيشق ملك مصر على أورشليم ؛ لأنهم خانوا الرب . بألف ومائتي مركبة ، وستين ألف فارس ، ولم يكن عدد للشعب الذين جاؤا معه من مصر ، لوبيين وسكيين وكوشيين ، وأخذ المدن الحصينة التي ليهودا ، وأتى إلى أورشليم ... » .

فهذا النص فيه دلالة واضحة على أن عاصمة اليهود الدينية استباحها فرعون مصر ، واستولى على ما فيها . وهذا يدل على أن اليهود فقدوا التوراة في هذه الحادثة حيث لم يُسَرِّ الكتاب المقدس إليها بعد هذا إلا في زمن الملك « يوشيا » أي بعد ما يُقارب ثلاثة قرون وزيادة ، كما سيأتي بيانه في الفقرة التالية . كما أن الثابت ينتهي خبره بعد هذه الحادثة إلى زمن الملك « يوشيا » أيضا ، حيث طلب من اللاويين أن يجعلوا الثابت في البيت الذي بناه النبي سليمان عليه السلام^(١) . ثم ينقطع بعد هذا خبره إلى يومنا هذا . ولعله كان ممّا دمره يختصر في غزوه لبيت المقدس .

٧- يزعم اليهود أن الملك « يوشيا » الذي تولّى الملك في يهوذا بعد سليمان عليه السلام بما يقارب ٣٤٠ عامًا ، وقبيل غزو بختنصر لدولة يهوذا وتدميرها مرة أخرى ، وجد « سفر الشريعة » .

وهذا نص كلامهم : « وفي السنة الثامنة عشرة للملك يوشيا ، أرسل الملك شافان بن أصليا بن مشلان الكاتب إلى بيت الرب قائلاً : اصعد إلى حلقيا الكاهن فيحسب الفضة المدخلة إلى بيت الرب التي جمعها حارسوا

(١) انظر : سفر الأخبار الثاني (٣٥ / ٣) .

الباب من الشعب فيدفعوها ليد عاملي الشغل الموكلين بيت الرب ...
فقال حلقيا الكاهن العظيم لشافان الكاتب : قد وجدت سفر الشريعة في
بيت الرب . وسلم حلقيا السفر لشافان فقرأه ، وجاء شافان الكاتب إلى
الملك ورد على الملك جواباً ... وأخبر شافان الملك قائلاً : قد أعطاني حلقيا
الكاهن سفرًا ، وقرأه شافان أمام الملك ، فلمّا سمع الملك كلام سفر
الشريعة مزق ثيابه ، وأمر الملك حلقيا الكاهن ، واخيقام بن شافان ... قائلاً :
اذهبوا اسألوا الرب لأجلي ، ولأجل الشعب ولأجل كل يهوذا من جهة
كلام هذا السفر الذي وجد . لأنه عظيم هو غضب الرب الذي اشتعل
علينا من أجل أن آباءنا لم يسمعوا لكلام هذا السفر ليعملوا حسب كل ما
هو مكتوب علينا^(١) ... وأرسل الملك فجمعوا إليه كل شيوخ يهوذا ،
وأورشليم وصعد الملك إلى بيت الرب ، وجميع رجال يهوذا ، وكل سكان
أورشليم معه ، والكهنة ، والأنبياء ، وكل الشعب ، من الصغير إلى الكبير .
وقرأ في آذانهم كل كلام سفر الشريعة الذي وجد في بيت الرب^(٢) .
فهذا الخبر الذي ذكره اليهود فيه دلالة واضحة على أنهم فقدوا التوراة ،
وأنهم ضيعوا أحكامها ، ونسوا الشيء الكثير منها ، وما وجدوه في الواقع ليس
فيه أي دليل على أنه التوراة .

إذ من المستبعد جدًا أن تكون التوراة بهذه القداسة لديهم ويفقدونها هذه
المدة الطويلة أكثر من ثلاثة قرون ، وتكون في ناحية من بيت الرب ، والذي

(١) سفر الملوك الثاني (٢٢ / ٨ - ١٣) .

(٢) سفر الملوك الثاني (٢٣ / ١ - ٢) .

تعاقب على رئاسته الكثير من الكهنة ، وهو مكان عام ومعبد لجميع اليهود فهل من المعقول أن تكون التوراة موجودة فيه واليهود يبحثون عنها كُلّ هذه المدة الطويلة ولا يجدونها ثم يجدها الكاهن حلقيا ؟ .

هذا في الواقع مُستبعدٌ جدًّا ، وليس بعيد أن يكون الكاهن حلقيا كتبها من محفوظاته ومعلوماته وزعم أنها سنفر الشريعة ليُرْضِي بذلك الملك يوشيا ، الذي كان له تدبُّن ورغبة في استقامة الشعب . والله أعلم .

٨- بعد الملك « يوشيا » بخمس وعشرين سنة تقريبًا هجم بختنصر على دولة يهوذا ودمرها ، ودمّر الهيكل ، وسبى بني إسرائيل .

وفي هذا يقولون في كتابهم بعد ذكر مبررات التدمير من فساد بني إسرائيل وكفرهم : « فأصعد عليهم ملك الكلدانيين ، فقتل مختاريهم بالسيف في بيت مقدسهم ، ولم يشفق على فتى ، أو عذراء ، ولا على شيخ أو أشيب بل دفع الجميع ليداه ، وجميع آنية بيت الله الكبيرة والصغيرة ، وخزائن بيت الربّ وخزائن الملك ورؤسائه أتى بها جميعا إلى بابل ، وأحرقوا بيت الله ، وهدموا سور أورشليم ، وأحرقوا جميع قصورها بالنار ، وأهلكوا جميع آنيها الثمينة ، وسبى الذين بقوا من السيف إلى بابل فكانوا له ولبنيه عبيدًا إلى أن ملكت مملكة فارس »^(١) .

فجميع الكتاب هنا على أن التوراة فُقدت من بني إسرائيل مرّة أخرى بسبب هذا التدمير الشامل .

٩- يزعم اليهود أن عزرا الكاتب قد هبّ قلبه لطلب شريعة الربّ والعمل بها ،

(١) أخبار الأيام الثاني (٣٦ / ١٧ - ٢٠) .

وليعلم إسرائيل فريضة وقضاء^(١) .

وعزرا هذا كان بعد السبي البابلي ، ولما عاد بنو إسرائيل إلى « أورشليم » في زمن ملك الفرس جمعهم لقراءة ما كتب من شريعة موسى .

وفي هذا يقولون : « اجتمع كُلُّ الشَّعب كرجل واحد إلى السَّاحة التي أمام باب الماء ، وقالوا لعزرا الكاتب : أن يأتي بسِفْر شريعة موسى التي أمر بها الرَّبُّ إسرائيل ، فأتى عزرا الكاتب بالشَّريعة أمام الجماعة من الرِّجال والنِّساء ، وكُلُّ فاهم ما يسمع في اليوم الأوَّل من الشَّهر السَّابع . وقرأ منها أمام السَّاحة التي أمام باب الماء من الصُّباح إلى نصف النَّهار أمام الرِّجال والنِّساء والفاهمين وكانت آذان كُلِّ الشَّعب نحو سِفْرِ الشَّريعة »^(٢) .

فيظهر من هذا واضحا أنَّ عزرا قد كتب لهم التَّوراة ولم يذكر اليهود من أين وصلت التَّوراة إليه وبينه وبين موسى عليه الصَّلَاة والسَّلام أكثر من ثمانية قرون ؟ وقد قُفِدَت التَّوراة قبل زمن عزرا قطعًا كما مرَّ ذكره .

فعلى هذا يتبيَّن أنَّ التَّوراة التي كان عزرا يقرأها على النَّاس إمَّا أن تكون مفتراة مكذوبة دونها عزرا من محفوظاته وما وصل إليه من مدونات ومعلومات وليست توراة موسى ، وبالتَّأكيد لا يُوثَّق بحفظه ولا ما وصل إليه من أوراق وكتب ، إذ أنَّ ذلك يحتاج إلى إثبات السَّنَد المتَّصل منه إلى موسى عليه الصَّلَاة والسَّلام ، وهذا أبعد عليهم من السَّماء .

أو تكون معلومات مُتَوَارِثَةٌ في الأحكام الواجب على بني إسرائيل التزامها ،

(١) سفر عزرا (٧ / ١٠) .

(٢) سفر نحميا (٨ / ١ - ٣) .

دَوَّنَهَا عَزْرَا عَلَى أَنَّهَا الْفَرَائِضُ الَّتِي أَوْجَبَهَا اللَّهُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَزَعَمَ هُوَ أَوْ زَعَمَ كُتَّابُ الْكَلَامِ السَّابِقُ أَنَّهَا سِفْرُ شَرِيعَةِ مُوسَى . وَبَيْنَ الْأَمْرَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، إِذْ تَوْرَاةُ مُوسَى مَنْزِلَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ . وَمَا جَمَعَهُ عَزْرَا وَدَوَّنَهُ لَا يَعْدُو أَنْ يَكُونَ فَهَوْمًا وَاسْتِنْبَاطَاتٍ بَشَرِيَّةٍ يَعْتَرِيهَا مَا يَعْتَرِي الْبَشَرَ مِنَ النَّقْصِ وَالْخَلَلِ . وَهَذَا الْإِحْتِمَالُ الْآخِرُ فِي رَأْيِي أَرْجَحُ مِنْ سَابِقِهِ .

❖ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْيَهُودَ ذَكَرُوا فِي كِتَابِهِمْ عَنْ عَزْرَا قَوْلَهُمْ : « لَأَنَّ عَزْرَا هِيَ قَلْبُهُ لَطَلَبَ شَرِيعَةَ الرَّبِّ وَالْعَمَلَ بِهَا وَلِيَعْلَمَ إِسْرَائِيلُ فَرِيضَةَ وَقَضَاءِ »^(١) .

فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أَخَذَ يَجِدُ فِي الْجَمْعِ وَالتَّتَبُّعِ وَالْعَمَلِ وَالتَّعْلِيمِ . وَهَنَّاكَ نَصَ آخَرَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَهْمَلُوا الْعَمَلَ بِكَثِيرٍ مِنَ التَّعَالِيمِ مِنْ أَيَّامِ يَشُوعَ بْنِ نُونٍ .

❖ وَفِي هَذَا يَقُولُونَ عَنْ أَحَدِ أَعْيَادِهِمُ الَّتِي عَمَلُوهَا بِدَعْوَةٍ مِنْ عَزْرَا : « وَعَمِلَ كُلُّ الْجَمَاعَةِ الرَّاجِعِينَ مِنَ السَّبْيِ مِظَالٌ وَسَكَنُوا فِي الْمِظَالِ »^(٢) لِأَنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ بَنُو إِسْرَائِيلَ هَكَذَا مِنْ أَيَّامِ يَشُوعَ بْنِ نُونٍ إِلَى ذَلِكَ الْيَوْمِ وَكَانَ فَرْحًا عَظِيمًا جَدًّا »^(٣) .

فَهَذَا يَنْصُرُ صِرَاحَةً عَلَى الْإِهْمَالِ لِلتَّعَالِيمِ ، وَعَدَمِ أَدَائِهَا مِنْ زَمَنٍ بَعِيدٍ فَلَا يُمْكِنُ لِرَجُلٍ مِثْلِهِمَا أَنْ يَجْمَعَ كُلَّ التَّعَالِيمِ الْوَاجِبَةِ مَعَ الْبَعْدِ الزَّمَنِيِّ وَكَثْرَةِ التَّغْلِبَاتِ وَالْانْحِرَافَاتِ الَّتِي وَقَعَ فِيهَا بَنُو إِسْرَائِيلَ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَجَمَعَهُ لَا

(١) سفر عزرا (١٠ / ٧) .

(٢) المراد بالمِظَالُ الْخِيَامُ ، وَقَدْ سَبَقَ ذِكْرُ النَّصِّ الَّذِي يَأْمُرُهُمْ بِذَلِكَ عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى كِتَابَةِ مُوسَى لِلتَّوْرَةِ وَدَفْعِهَا لِحَامِلِي تَابُوتِ الرَّبِّ ص ٥٧ .

(٣) سفر نحميا (٨ / ١٧) .

١٠. ذكر المؤرخون أنَّ الحاكم اليونانيَّ (بطليموس الثاني) الَّذي كان في الفترة من (٢٨٢ - ٢٤٧ ق . م) طلب من اليعازار رئيس الكهان أن يرسل إليه اثنين وسبعين عالماً من علماء التَّوراة لترجمة أسفار موسى الخمسة إلى اليونانية فنقذ الطَّلَب ، وكان اليعازار على رأس أولئك ، وتَّمتَّ المهمةُ خلال اثنين وسبعين يوماً فكانت التَّرجمةُ المعروفةُ بـ (السَّبْعِينِيَّة) في اللغة اليونانية للأسفار الخمسة^(١) . وعن اليونانية ترجم العهد القديم إلى اللاتينية .

فهذه الترجمة للأسفار تمت بعد فترة طويلة جدًا من وفاة موسى عليه السلام إذ تقارب العشرة قرون ، وكذلك بعد فترة طويلة من نسخة عزرا التي سبق ذكرها إذ بين هذه الترجمة وتلك النسخة قرابة قرنين من الزمان ، مما يجعل الكتاب الذي ترجم عنه إلى اليونانية لا سند له فيكون المترجم بالتالي لا قيمة له .

١١- أنَّ اليهود فقدوا المقدرة على فهم اللغة العبرية المدونة القديمة بعد اختلاطهم بالأُمم ، وذلك أنَّ اللغة العبرية في أصلها بدون نقط ولا حركات وهذا يسبب أخطاء كثيرة في القراءة ، فاهتدوا إلى وسيلة لإزالة هذا اللبس بإدخال النقط والحركات ، والفواصل ، واستمرَّ هذا العمل من القرن السابع الميلاديَّ إلى القرن العاشر الميلاديَّ .

وقد عملوا نسخة من التوراة باللغة العبرية على هذا النمط تُسمى النسخة الماسورية ، انتهوا منها في القرن العاشر الميلادي ، وعن هذه النسخة أي العبرية

(١) مختصر الدول لابن العبري ص ٥٩ . وانظر : تاريخ سورية ١١٢ / ٣ / ٢ وما بعدها - نقلًا عن الأسفار المقدسة ص ٢٩٥ .

المعدلة نُسخَتْ جميع النسخ العبرية والمترجمة عنها^(١) .
والسؤال المطروح هنا : أين النسخ الأصلية التي نُقلت عنها النسخة
الماسورية ؟

الجواب عن ذلك : أنه لا يُوجد بأيدي اليهود منها شيء البتة سوى
مخطوطات وادي قمران عند البحر الميت ، والتي عُثِرَ عليها في الفترة من عام
١٩٤٧ - ١٩٥٦ م وهي مجموعات متكاملة للعهد القديم كُتِبَتْ قبل الميلاد
بثلاثة قرون ، وأقربها عهدًا ما كُتِبَ قبل الميلاد بقرن واحد إلا أن هذه
المخطوطات التي استولت عليها كُلٌّ من أمريكا ، وبريطانيا ، واليهود في
فلسطين^(٢) ، لم تُكشَفْ ولم تُعلنْ ممَّا يجعل في الأذهان استفهامات عديدة
حولها وأنها تتضمن أمورًا خطيرة جعلت اليهود والنصارى يتفقون على عدم
كشفها على غير عاداتهم في الآثار التاريخية .

□ ومن خلال هذا العرض التاريخي الموثق للتوراة يتبين ما يلي :

- ١- أن التوراة التي أُعطيها موسى عليه السلام مكتوبة والتي دونها وكذلك
التي دونها يوشع بن نون بعد موسى عليه السلام فُقدت ، إمَّا قبل عهد سليمان
عليه السلام ، أو بعده مباشرة .
- ٢- أن اليهود زعموا أنهم عثروا على التوراة زمن الملك يوشيا ، وهو ادعاء
يحتاج إلى العديد من الإثباتات لاعتقاد صحته .

(١) انظر : قاموس الكتاب المقدس ص ٧٦٣ ، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم . د . محمد البار
ص ١٧٢ .

(٢) انظر : المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ص ٢٦٤ .

٣- أَنَّ اليهود فقدوا ما ادَّعوا أَنَّهُم وجدوه زمن الملك يوشيا ، وذلك بسبب تدمير بيت المقدس وما أعقب ذلك من سبي اليهود وتهجيرهم .

٤- أَنَّ عزرا أعاد لهم التَّوراة وكتبها فيما زعم اليهود ، وإذا قبلنا كلام اليهود هذا فإنَّ ذلك لا يعدو أن يكون عملاً بشرياً وإذا كان عزرا نسبه إلى الله عزَّ وجلَّ فهو كاذب في ذلك لأنَّ التَّوراة لم يدَّع أحد لا من اليهود ولا من النَّصارى ولا المسلمين أَنَّها أنزلت مرَّتين مرَّةً على موسى ، ومرَّةً على عزرا . أو يكون الَّذي ادَّعى أنَّ تلك هي التَّوراة ألهمها عزرا هم الكتبة فيما بعد فهم في هذا كاذبون ، لأنَّ عزرا لم يقل ذلك فيما نقلوا عنه ، وأدلة بطلان ذلك ظاهرة من ناحية بعد الزَّمان ، وانقطاع السُّند ، وفساد بني إسرائيل .

٥- أَنَّ نسخة عزرا وما دوَّنه عزرا لا يعلم على التَّحقيق مصيرها ، وإنما بعد ذلك بما يُقاربُ قرنين من الزَّمان كُتِبَتِ النُّسخة السَّبْعينية ولم يذكر من أي نسخة تُرجمت ، وادعاء أَنَّها من حفظ الكهنة بعيدٌ جداً إذ أنَّ اليهود لا يحفظون كتابهم عن ظهر قلب ، وليس فيهم من يدَّعي ذلك .

٦- أَنَّ النسخة العبرية والتي تنتمي إلى النَّصِّ الماسوري لا تختلف عن الكتاب المترجم من ناحية أَنَّها أخذت طريقة في الكتابة مغايرة للغة الأصلية التي كُتِبَ بها العهد القديم ، ممَّا يجعل ثبوت صحتها منوطاً بوجود النُّصوص الأصلية التي تتفق مع اللغة القديمة ، حتَّى يمكن المقابلة عليها ، ولأَنَّ تُعْتَبَرُ لا أصل لها يشهد لصحتها ، فتكون بذلك مثلها مثل النسخة اليونانية .

٧- أَنَّ النَّصِّ اليوناني والنَّصِّ العبري للتَّوراة والعهد القديم لا يتفقان في المصدر ، وإنَّما يختلفان ، يدلُّ على هذا اختلافهما في عدد الأسفار ، حيث

هي في اليونانية ستة وأربعين سفرًا ، وفي العبرية الماسورية تسعة وثلاثين سفرًا
كما أنَّ بينهما اختلافات كثيرة وعديدة مما يدلُّ على أنَّهما من مصدرين
مختلفين .

ومن خلال هذا يتبيَّن بما لا يدع مجالاً للشك أنَّ العهد القديم كتاب ليس له
أي سند تاريخيُّ يثبت تسلسل نقله ، وأنَّه تعرَّض لفترات عديدة من الضياع ،
وأنَّ أصله العبري لا وجود له بأيدي اليهود ممَّا يجعل المجال واسعًا للتَّحريف
والتَّبديل ، وهو ما سنبيِّنه إن شاء الله من واقع ما بأيدي اليهود والنَّصارى من
النُّصوص .



المطلب الثالث

تحريف التّوراة

مما سبق ذكره وبيانه عن التّوراة يتّضح أنّ الكتاب الذي بين يدي اليهود والنّصارى لا سند له يمكن أن يُعتمد عليه في صحّة المعلومات الواردة فيه فلهذا لا يمكن لهم أن ينفوا إمكانية التّحريف ، والعبث فيه ، خاصّة وأنّ الذين اتّمنوا عليه وهم اليهود قد انحرفوا انحرفات خطيرة في الدّين ، وكفر كثير منهم ، وأعرضوا عن طريق الله ، وتركوه رغبة عنه ، وحبّاً للدّنيا ، وإثارة لها وهذا ظاهر واضح لكلّ من طالع سجل تاريخهم وهو العهد القديم .

فمع هذا الانحراف والفساد كيف يمكن أن تسلم التّوراة من العبث والتّحريف هذا ما لا يقبله العقل السّليم وواقع الإنسان . وقد شهد الله عزّ وجلّ بتحريف اليهود لكتابهم وأبان عن هذا في القرآن الكريم في مواضع عديدة .

فمن ذلك : قوله عزّ وجلّ : ﴿ أَتَقْتَمِعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٧٥] . فهذا فيه دلالة على أنّهم غيّروا وبدّلوا عن إصرار وعلم .

وقوله عزّ وجلّ : ﴿ قَوْلِیْ لِلَّذِیْنَ یُکْتِبُونَ الْكِتَابَ بِأَیْدِیْهِمْ ثُمَّ یَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَیْسَتْ بِأَیْدِیْهِمْ وَلَٰكِن مَّا قُلْنَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ یُکْتَبُونَ ﴾ [البقرة : ٧٩] .

وقوله عزّ وجلّ : ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِیقًا یَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَیَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَیَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ یَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران : ٧٨] .

فهذا فيه دلالة على أنهم أدخلوا في كلام الله ما ليس منه ، وافتروا على الله الكذب بأن نسبوا إليه سبحانه ما لم يقله وهم يعلمون ذلك فجوراً منهم ، وجرأة على الله تعالى وتقدس .

وقوله عز وجل : ﴿ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأنعام : ٩١] .

فهذا فيه دلالة على أنهم قد أخفوا وكتموا ما عندهم من علم ، وما أنزل الله عليهم من كتاب حسب أهوائهم .

وقوله تعالى : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ [المائدة : ١٣] .

وفي هذه الآية دلالة واضحة على التحريف وعلى أنهم نسوا حظاً أي نصيباً وجزءاً مما أنزل عليهم وهذا جزاء من الله عز وجل لهم بسبب كفرهم وفسادهم وسابق تحريفهم ونقضهم للميثاق .

أ - الأمثلة على التحريف من التوراة :

ما سبق بيانه من كلام الله عز وجل يشهد له واقع التوراة التي بين يدي اليهود والنصارى ، حيث دلائل عبثهم وتحريفهم لكلام الله ظاهرة واضحة وقبل أن ندلل على وقوع التحريف في كتابهم لا بد أن نشير إلى أن اليهود والنصارى بين أيديهم ثلاث نسخ مشهورة من التوراة ، وهي التي تتفرع عنها جميع النسخ والترجمات الأخرى وهي :

١- النسخة العبرية : وهي المقبولة والمعتبرة لدى اليهود وجمهور علماء

البروتستانت النصارى وهي مأخوذة من النسخة الماسورية وما تُرجم عنها .
٣- النسخة اليونانية : وهي المعتبرة عند النصارى الكاثوليك ، والأرثوذكس وهي التي تُسمى السبعينية وما تُرجم عنها .

٣- النسخة السامرية : وهي المعتبرة والمقبولة لدى السامريين من اليهود .
وإذا عقدنا مقارنة بين هذه النسخ الثلاث ، وجدنا بينها تبايناً شديداً فيه دلالة واضحة على التحريف ، ومن الأمثلة على ذلك :

أولاً : الاختلاف في عدد الأسفار :

بين النسخ الثلاث اختلاف كبير في عدد الأسفار وذلك أن النسخة العبرية عدد أسفارها تسعة وثلاثين سفرًا^(١) وما عدا ذلك لا يعتبرونه مقدسًا .
أما النسخة اليونانية : فهي تزيد سبعة أسفار عن النسخة العبرية ويعتبرها النصارى الكاثوليك والأرثوذكس مقدسة .

أما النسخة السامرية : فلا تضم إلا أسفار موسى الخمسة فقط^(٢) وقد يضمون إليها سفر يوشع فقط^(٣) وما عداها فلا يعترفون به ولا يعدونه مقدسًا .

فهذا الاختلاف الهائل بين النسخ لكتاب واحد والكل يزعم أنه موحى به من قبل الله عز وجل ، ويدعى أن كتابه هو الكتاب الحق وما عداها باطل مع عدم القدرة على تقديم الدليل القاطع على صحة ما يدعيه ، ففي ذلك دليل على

(١) هذا حسب النسخة العبرية المترجمة عن العبرية طبع دار الكتاب المقدس بالقاهرة .

(٢) هذا حسب النسخة العبرية التي ترجمها الكاهن السامري أبو الحسن إسحاق الصوري ونشرها

د . أحمد حجازي السفا .

(٣) ذكر هذا الدكتور / سيد فراج راشد في كتابه « السامريون واليهود » ص ١١١ .

التحريف من قبل المتقدمين ، وأن المتأخرين استلموا ما وصل إليهم بدون نظر في ثبوته أو عدم ثبوته ، أو أن المتأخرين وصلتهم كتب عديدة ومتنوعة فأدخلوا ما رأوا أنه مناسب وذو دلالات مهمة ، وحذفوا ما رأوا عدم تناسبه مع ما يعتقدون ، أو يرون ، بدون أن يكون لهم دليل صحيح على إضافة ما أضافوا من الأسفار أو حذف ما حذفوا منها .

ثانياً : الاختلاف والتباين بين النسخ في المعلومات المدونة

إذا قارنا بين النسخ الثلاث فيما اتفقت في ذكره من أخبار وقصص نجد بينها تبايناً شديداً واختلافاً كبيراً ومن الأمثلة على ذلك :

١ - أن اليهود ذكروا تاريخ مواليد بني آدم إلى نوح عليه السلام ، ونصّوا على عمر كل واحد منهم ، وكذلك عمره حين ولد له أول مولود ، ويعقد مقارنة بين ما ورد في النسخ الثلاث في أعمار من ذكروا حين ولد لهم أول مولود تبين اختلافات واضحة ، فمن ذلك :

الاسم	العبرانية	السامرية	اليونانية
آدم	١٣٠	١٣٠	٢٣٠
شيث	١٠٥	١٠٥	٢٠٥
أنوش	٩٠	٩٠	١٩٠
قينان	٧٠	٧٠	١٧٠
يارد	١٦٢	٦٢	٢٦٢
متوشالغ	١٨٧	٦٧	١٨٧
لامك	١٨٢	٥٣	١٨٨
الزمان من خلق آدم إلى الطوفان	١٦٥٦	١٣٠٧	٢٢٦٢

فهذه أمثلة تدل على تحريفهم وتبديلهم لكلام الله - إن ثبت أن ما سبق هو

من كلام الله المنزل - حيث لا يمكن الجمع بين هذه الروايات المتناقضة .

ثالثاً : الاختلاف بالمقارنة مع ما ذكره في مواضع أخرى من كتابهم :

١- ما ذكروا في سفر التكوين من أنَّ سفينة نوح استقرت بعد الطوفان على جبال أراط^(١) بعد سبعة أشهر وسبعة عشر يوماً ، ثم ذكروا أنَّ رؤوس الجبال بعد الطوفان لم تظهر إلا في أول الشهر العاشر .

وهذا نص كلامهم : « واستقرَّ الفلك في الشهر السابع في اليوم السابع عشر من الشهر على جبال أراط وكانت المياه تنقص نقصاً متواليًا إلى الشهر العاشر وفي العاشر في أول الشهر ظهرت رؤوس الجبال »^(٢).

ففي هذا تناقض ظاهر فكيف رست السفينة على الجبال بعد سبعة أشهر مع أنَّ رؤوس الجبال لم تظهر إلا في أول الشهر العاشر ؟

٢- ذكروا أنَّ الله أمر نوحاً أن يحمل في الفلك من كُلِّ جنس اثنين .

ونص كلامهم : « ومن كُلِّ حي من كُلِّ ذى جسد اثنين من كُلِّ تدخل إلى الفلك لاستبقائها معك ، تكون ذكراً وأنثى من الطيور كأجناسها ، ومن البهائم كأجناسها ، ومن كُلِّ دبابات الأرض كأجناسها »^(٣)

وبعده مباشرة ذكروا أنَّ الله أمره أن يأخذ من كُلِّ جنس سبعة سبعة ذكراً وأنثى ما عدا البهائم غير الطاهرة فيأخذ اثنين .

ونص كلامهم : « من جميع البهائم الطاهرة تأخذ معك سبعة سبعة

(١) يقصدون بها جبال أرمينية في آسيا الوسطى . انظر قاموس الكتاب المقدس ص ٤٢ .

(٢) سفر التكوين (٨ / ٤) .

(٣) سفر التكوين (٦ / ١٩) .

ذَكَرًا وَأُنْثَى ، وَمِنَ الْبَهَائِمِ الَّتِي لَيْسَتْ بِظَاهِرَةٍ اِثْنَيْنِ ذَكَرًا وَأُنْثَى ، وَمِنَ طُيُورِ السَّمَاءِ أَيْضًا سَبْعَةَ سَبْعَةٍ ذَكَرًا وَأُنْثَى ، لَاسْتِبْقَاءَ نَسْلِ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الْأَرْضِ » (١)

٣ - ذَكَرُوا فِي « سِفْرِ الْخُرُوجِ » (٢٤ / ٩) : « ثُمَّ صَعِدَ مُوسَى وَهَارُونَ وَنَادَابَ وَأَبِيهَو وَسَبْعُونَ مِنْ شِيوخِ إِسْرَائِيلَ . وَرَأَوْا إِلَهَ إِسْرَائِيلَ وَتَحْتَ رِجْلَيْهِ شَبَهَ صَنْعَةٍ مِنَ الْعَقِيقِ الْأَزْرَقِ الشَّافِّافِ وَكَذَاتِ السَّمَاءِ فِي النَّقَاوَةِ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَمُدَّ يَدَهُ إِلَى أَشْرَافِ إِسْرَائِيلَ . فَرَأَوْا اللَّهَ وَأَكَلُوا وَشَرِبُوا » .
هَكَذَا زَعَمُوا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ .

وفي « سِفْرِ التَّنْثِيَةِ » (٤٤ / ١٢) زَعَمُوا أَنَّ اللَّهَ قَالَ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِمَّتًا عَلَيْهِ وَعَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ : « فَكَلِمَتُكُمْ الرَّبُّ مِنْ وَسْطِ النَّارِ وَأَنْتُمْ سَامِعُونَ صَوْتَ كَلَامٍ وَلَكِنْ لَمْ تَرَوْا صُورَةَ بَلْ صَوْتًا فَاحْتَفِظُوا جَدًّا لِأَنْفُسِكُمْ . فَإِنَّكُمْ لَمْ تَرَوْا صُورَةَ مَا ... » .

وكذلك ورد نفياً إمكان رؤيته جلَّ وعلا فيما ذَكَرُوا فِي كِتَابِهِمْ « سِفْرِ الْخُرُوجِ » (٣٣ / ٢٠) أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ طَلَبَ أَنْ يَرَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ لَهُ جَلَّ وَعَلا (لَا تَقْدِرُ أَنْ تَرَى وَجْهِي لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَرَانِي وَيَعِيشُ .

وَهَذَا هُوَ الْحَقُّ الَّذِي يَتَّفَقُ مَعَ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ : ﴿ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى آلِجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَبَقًا ﴾ [الْأَعْرَافُ : ١٤٣] .

رابعاً : الزيادة والإضافات :

فِي التَّوْرَةِ الْعَدِيدُ مِنَ الْجُمَلِ الَّتِي لَا يُمْكِنُ أَنْ يَصْحَحَ نَسْبَتُهَا إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ

السلام ومن ذلك :

١ - أَنَّ الكتاب من أوله إلى آخره مليء بقولهم : « وقال الرَّبُّ لموسى »
« وقال موسى للرَّبِّ » « وحدث موسى الشَّعب » ، ونحو ذلك من العبارات
التي تدلُّ على الحكاية والزَّواية ممَّا يقطع بأنَّها ليست من كلام موسى عليه
السلام ولا من كلام الله عزَّ وجلَّ .

٢ - جاء في « سِفْر التَّكوين » (٣٦ / ٣١) :

« وهؤلاء هم الملوك الَّذِينَ ملكوا في أرض أدوم قبلما ملك ملك
لبنى إِسرائيل » .

فهذه العبارة لا يمكن أيضًا أن تكون من كلام موسى عليه السلام إذ أنَّ ملوك
بنى إِسرائيل بعد موسى بزمان طويل .

٣ - جاء في « سِفْر التَّنْثية » في آخره (٣٤ / ٥) حكاية وفاة موسى ودفنه فقالوا :

« فمات هناك موسى عبد الرَّبِّ في أرض مؤاب حسب قول الرَّبِّ
ودفنه في الجواء في أرض مؤاب مقابل بيت فغور ولم يعرف إنسان قبره
إلى هذا اليوم » .

فهذا النَّصُّ لا شكَّ في أنَّه أُدْخِلَ في الكتاب وليس منه ، إذ ليس من المعقول
أنَّ يكتب موسى عليه السلام موته ودفنه ، وأنَّ إنسانًا لا يعرف قبره إلى يوم
كتابة ذلك الكلام .

المطلب الرابع

الذات الإلهية في التوراة المحرّفة

لقد جاء موسى عليه السلام لبني إسرائيل بها صافية نقيّة ، إلّا أنّهم حرّفوا ديانتهم وبدّلوها ، وقد طالت يد التّحريف جميع التّواحي فيها حتّى ما يتعلّق بالذات الإلهيّة العليّة ، حيث وصل تحريفهم إلى الطّعن في الله جلّ وعلا ، وقد ذكر الله لنا في كتابه شيئاً من جرأتهم عليه سبحانه .

فقال : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ﴾ [المائدة : ٦٤] .
وقال عزّ من قائل : ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا ﴾ [آل عمران : ١٨١] .

فما ذكره الله عزّ وجلّ عنهم لم يصدر عنهم من فراغ ، بل هي عقيدة أملاها عليهم ما ادّعوا في كتابهم من الافتراءات العديدة .
التي منها : أنّهم وصفوا الله عزّ وجلّ بـ :

التّعب

فيزعم اليهود في كتابهم أنّ الله تعب من خلق السّموات والأرض فاستراح في اليوم السّابع .

فقد ورد في « سفر التّكوين » (٢ / ٢) قولهم : « وفرغ الله في اليوم السّابع من عمله الذي عمل ، فاستراح في اليوم السّابع من جميع عمله الذي عمل » .

ويُنظرُ « سفر الخروج » ٣١ / ١٧ .

وقد ردَّ الله عليهم ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَلَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴾ [ق : ٣٨] .

الجهل

وصف اليهود الله بالجهل حيث زعموا أنه يجب أن تُوضع له علامة ليستدلَّ بها عليهم حيث قالوا : إِنَّ الله أمرهم قبل خروجهم من مصر أن يلطخوا أبوابهم العتبة العليا والقائمتين بالدم .

ويعلمون ذلك بقولهم في « سفر الخروج » (١٢ / ٢٣) : « فَإِنَّ الرَّبَّ يَجْتَازُ لِيضْرِبَ الْمَصْرِيِّينَ فَحِينَ يَرَى الدَّمَ عَلَى الْعُتْبَةِ الْعُلْيَا وَالْقَائِمَتَيْنِ يَعْبُرُ الرَّبُّ عَنِ الْبَابِ وَلَا يَدْعُ الْمَهْلِكُ يَدْخُلُ بِيُوتَكُمْ لِيضْرِبَ » . وهذا باطل فَإِنَّ الله جَلَّ وَعَلَا عالم الغيب والشهادة .

يقول سبحانه عن نفسه : ﴿ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَلَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [سبأ : ٣]

النَّدَم

يزعم اليهود أَنَّ الله عزَّ وجلَّ ندم على فعله . فمن ذلك قولهم في « سفر الخروج » (٣٢ / ١٤) : « فندم الرَّبُّ عَلَى الشَّرِّ الَّذِي قَالَ إِنَّهُ يَفْعَلُهُ بِشَعْبِهِ » .

وقد كذبهم الله في ذلك فقال جلَّ وعلا : ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٣] .

وقال : ﴿ قُلْ مَا يَغْتَبُؤُكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ﴾ [الفرقان : ٧٧] .

المشي على الأرض

يذكر اليهود أن الله عز وجل كان يسير أمامهم .

ومن ذلك قولهم في « سفر الخروج » (١٣ / ٢١) : « وكان الرب يسير أمامهم نهارًا في عمود سحاب ليهديهم في الطريق » .

وهذا من تحريفهم وتلاعبهم بكتاب الله ، وإلا فالله جل وعلا مستقر على عرشه بائن من خلقه كما قال : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه : ٥] .

الرؤية بالعين في الدنيا

يزعم اليهود أعداء الله أنهم رأوا الله جل وعلا في الدنيا .

حيث قالوا في « سفر الخروج » (٢٤ / ٩) : « ثم صعد موسى وهارون وناداب وأبيهوا وسبعون من شيوخ بني إسرائيل ورأوا الله إسرائيل ... وتحت رجله شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف ، وكذات السماء في النقاوة ولكنه لم يمد يده إلى أشراف إسرائيل فرأوا الله وأكلوا وشربوا »^(١) .

لا شك أن رؤية الله كانت حلمًا لأوائلهم وأمنية إلا أنه تطوّر فيما بعد حتى أصبح مطلبًا وشرطًا لإيمانهم فعاقبهم الله على ذلك .

كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذْنَاكُمُ الصَّاعِقَةَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ [البقرة : ٥٥] .

إلا أن اليهود فيما بعد حين دونوا التوراة أيّدوا ذلك المطلب والشرط وصدّقوه ودوّنوه بكتابهم افتراءً على الله .

(١) انظر ما سبق ص ٧٥ .

فهذه الأمثلة من أوضح الأدلة على التحريف فإن الله عز وجل موصوف بصفات الكمال المطلق وكل ما يشعر بالنقص فالله عز وجل منزّه عنه فتضمن اليهود كتابهم صفات تشعر بوصف الله بصفات لا تليق بمقام الألوهية والرّبوبية والكمال المطلق ، دليل واضح على التحريف والتبديل إذ لا يمكن أن يتضمن الكتاب الذي نزل من عند الله ما يطعن فيه جلّ وعلا .

وبأمثال هذه الافتراءات من قبل متقدميهم تجرأ متأخروهم على الافتراء على الله ، واعتقاد أنهم أبناء الله وأحباؤه ، وأن الله لا يعذبهم وفي هذا يقول الله عز وجل : ﴿ قَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [آل عمران : ٢٤] .



المطلب الخامس

الأنبياء عليهم السّلام في التّوراة المحرّفة

الأنبياء هم صفوة البشر المصطفون من عباد الله دعاة الخير يخرجون النّاس من الظّلمات إلى النّور يأذن ربّهم ، فلذلك هم قدوة البشر في جميع أعمالهم وهم معصومون عن الكبائر منزّهون عن كلّ شين ورذيلة .
هذه حقيقتهم وواقعهم وعقيدتنا فيهم :

أمّا اليهود فلم يهتم فيهم نظرة أخرى منبعثة من واقع اليهود المنحرف الفاسد لهذا سجّلوا في كتابهم هذه النفسية المنحرفة بالصّاقهم بالأنبياء عظام الأمور والبلايا والرّزايا ، وزعموا أنّ الله عزّ وجلّ قال ذلك ، وما ذلك إلّا ليستمروا الفساد حتّى لا يشنّع عليهم مُشنّع بارتكابه ما دام أنّه صدر عن صفوة بني آدم وأفضلهم والأمثلة على ذلك من كتابهم كثيرة نذكر من ذلك ما يلي :
أوّلًا : نوح عليه السّلام :

زعموا أنّ نوحًا عليه السّلام شرب الخمر وتعرّى .

فمن ذلك ما جاء في « سفر التّكوين » (٩ / ٢٠) قولهم : « وابتدأ نوح يكون فلاحًا وغرس كرّمًا وشرب من الخمر وتعرّى داخل خبائه » .
وهذا محض كذب وافتراء فإنّ الله عزّ وجلّ قد وصف عبده نوحًا في كتابه المهيمن بقوله : ﴿ ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلَتَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ [الإسراء : ٣] .

ثانيًا : لوط عليه السّلام :

زعم أعداء الله وأعداء رسله أنّ لوطًا عليه السّلام زنا بابنتيه وأنجبتا منه كلّ

واحدة ابناً ، هذا ما ذكروه في « سفر التكوين » الإصحاح التاسع عشر .
وقد وصف الله لوطاً عليه السلام وأهله على لسان أعدائهم بما يَرُدُّ على
اليهود طعنهم فقال جلُّ شأنه : ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا
آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ ﴾ [النمل : ٥٦] .

ثالثاً : هارون عليه السلام :

يزعم اليهود أعداء الرُّسل أن هارون عليه السلام هو الذي أمرهم بعبادة
العجل ودعاهم إليه .

حيث ذكروا ذلك في « سفر الخروج » (٣٢ / ١ - ٢٠) .
وقد أكذبهم الله في ذلك وبين جُلِّ وعلا أن السَّامريَّ هو الذي عمل العجل
لهم ودعاهم إلى عبادته .

وبرأ الله ساحة هارون حيث قال : ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ
إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴾ [طه : ٩٠] .

هذا قليل من كثير في طعنهم في أنبياء الله وصفوة البشر ومن تدبَّر القرآن
أدرك أن اليهود يصدر منهم هذا وأكثر ، وهم الذين وصفوا الله جلُّ وعلا
بالفقر وأن يده مغلولة وتجرأوا على الأنبياء فقتلوه .

قال الله عزَّ وجلَّ ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ
بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ [آل عمران : ١١٢] .

وقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ
الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [آل عمران : ٢١] .

فإذا تجرأوا عليهم إزهاق أرواحهم فهم على إزهاق صورتهم الطاهرة
وسيرتهم العاطرة أجراً ، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون .



المطلب السادس

اليوم الآخر لدى اليهود

كانت عقيدة بني إسرائيل وذلك حين كانت تستمدُّ تشريعها من السماء هي الإيمان باليوم الآخر وأنه دار الجزاء .

وقد أثبت الله ذلك عنهم في عدة آيات من القرآن الكريم .

قال عز وجل في خطابه لموسى عليه السلام : ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾ [طه : ١٥] .

وقال عز وجل على لسان موسى عليه السلام : ﴿ وَأَكْتُبُ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف : ١٥٦] .

وقال عز وجل ، على لسان الصالحين من جنود طالوت : ﴿ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِّنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٤٩] .

إلا أنهم انحرفوا عن هذا الاعتقاد بانحرافهم عن دين الله .

وقد سجّل الله عليهم هذه الانحرافات ، وعابهم عليها ، وكذبهم فيها فقال عز من قائل : ﴿ وَقَالُوا لَن نَّمْسُكَ النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٨٠] .

وزعموا أن الجنة لهم ، وحدهم ، وكذبهم الله بذلك فقال : ﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة : ١١١] .

هذا ما حكاه الله عن صالحهم وفاسقيهم من ناحية الإيمان بالبعث والجنة والنار . أمّا كتابهم التّوراة : فقد خلا من ذكر الجنة والنار ، والبعث والنشور سوى التّزّير اليسير .

فمن ذلك صورة غير واضحة وردت في « سِفْر دانيال » (١٢ / ٢) وهو قولهم : « وكثيرون من الرّاقدين في تراب الأرض يستيقضون هؤلاء إلى الحياة الأبديّة وهؤلاء إلى العار للآزدرء الأبديّ » .

ويذكر الدكتور علي وافي : أنّه لا يُوجَدُ في فرقهم الشّهيرة من يؤمن باليوم الآخر ، فـ « فرقة الصّادوقيّين » تُنكر قيام الأموات وتعتقد أنّ عقاب العصاة وإثابة المتقين إنّما يحصلان في حياتهم .

و« فرقة الفريسيين » تعتقد أنّ الصّالحين من الأموات سينشرون في هذه الأرض ليشاركوا في ملك المسيح الذي يأتي آخر الزّمان ، فهم ينكرون على هذا البعث يوم القيامة .

ومن نظر أدنى نظرة في كتاب اليهود التّوراة والكتب الملحقة بها يجد أن الوعود الواردة فيه مقابل الأعمال الصّالحة والإيمان بالله تدور حول المتعة الدّنيويّة من انتصار على الأعداء وكثرة الأولاد ، ونماء الزّرع ، إلى غير ذلك ، كذلك الوعيد الوارد على المعاصي والكفر كُله يدور حول انتصار الأعداء عليهم وسبي ذراريهم وموت زرعهم وماشيئهم إلى غير ذلك من العقوبات الدّنيويّة ممّا يدلّ على عدم إيمانهم باليوم الآخر حسب التّوراة والكتب الملحقة بها^(١) .

(١) انظر : بنو إسرائيل في القرآن الكريم - ص ١٤١ - ١٤٣ ، اليهوديّة واليهود - د . علي وافي ص ٤٩ - ٥٠ ، اليهودية - أحمد شلبي ص ١٩٥ .

وهذا يختلف عما ورد لديهم في « التلمود » ، حيث صرّحوا بالتّعيم والجحيم .

فقد ورد فيه : أن التّعيم مأوى الأرواح الزّكيّة^(١) ، وأنّ الجنّة لا يدخلها إلا اليهود والجحيم مأوى الكفّار ولا نصيب لهم فيه سوى البكاء لما فيه من الظّلام والعفونة والطّين . وأنّ الجحيم أوسع من التّعيم ستين مرّة^(٢) .

كما ورد في نصّ الأصول الثلاثة عشر التي وضعها موسى بن ميمون وجعلها أركان الإيمان اليهودي ، قولهم في الركن الثالث عشر :

« أنا أوّمن إيماناً كاملاً بقيامة الموتى ، في الوقت الذي تنبّث فيه بذلك إرادة الخالق . تبارك اسمه وتعالى ذكره الآن وإلى أبد الأبدن »^(٣) .

فهذا يدلّ على تغيير في العقيدة لديهم عما كان عليه كثير من أسلافهم المتقدّمين ، أو يدلّ على عودة إلى القول الحقّ ، وهذا يبدو من تأثرهم بالعقيدة الإسلاميّة لاحتكاكهم بها لأنّ موسى بن ميمون كان طبيباً للأيوبيين في مصر .



(١) المراد بها أرواح اليهود فقط .

(٢) انظر : الكنز المرصود في قواعد التلمود ص ٦٨ .

(٣) الفكر الديني اليهودي ص ١٣٥ .

المبحث الثاني

التلمود

أولاً : تعريفه :

التلمود : هو تعليم ديانة وآداب اليهود .

وهو يتكوّن من جزئين :

١- متن : ويُسمّى « المشناة » بمعنى المعرفة أو الشريعة المكرّرة .

٢- شرح : ويُسمّى « جماراً » ومعناه الإكمال .

ثانياً : تدوين التلمود :

التلمود هو القانون أو الشريعة الشفهية التي كان يتناقلها الحاخامات الفريسيون من اليهود مرّاً جيلاً بعد جيل .

ثم إنهم لخوفهم عليها من الضياع دوّنوها ، وكان تدوينها في القرنين الأوّل والثاني بعد الميلاد ، وأطلق عليها اسم « المشناة » .

ثم شرحت فيما بعد هذه المشناة وسُمّي الشرح « جماراً » وألقت هذه الشروح في فترة طويلة ، امتدت من القرن الثاني بعد الميلاد إلى أواخر السادس بعد الميلاد .

وتعاقب على الشرح حاخامات بابل ، وحاخامات فلسطين ، ثم سُمّي المتن وهو المشناة مع الشرح وهي جمار : « التلمود » .

وما كان عليه تعليقات وشرح حاخامات بابل سُمّي : « تلمود بابل » .

وما كان عليه شروح حاخامات فلسطين سُمِّي : « تلمود فلسطين »^(١).

ثالثاً : تقديس اليهود له :

التلمود : يقدّسه ويعظمه الفريسيون من اليهود ، وباقي الفرق تنكره وكما تقدّم في تدوينه ، فإنّ « الحاخامات الفريسيين » ، هم الذين دوّنوه وتناقلوه والفريسيّون هم أكثر الفرق اليوم وفي الماضي من اليهود ، وهم يرون أنّ « التلمود » له قدسيّة وأنه من عند الله بل يرون أنّه أقدس من التّوراة .

فيقولون فيه : « إنّ من درس التّوراة فعل فضيلة لا يستحقّ المكافأة عليها ومن درس المشنا فعل فضيلة يستحقّ المكافأة عليها ومن درس الجماره فعل أعظم فضيلة »^(٢).

فالتلمود على هذا هو كتاب مقدّس عندهم ، وله أثر كبير في نفسيّة اليهود المفسدة الفاسدة .

رابعاً : مبادئه وخطرها على غير اليهود :

التلمود له مبادئ فاسدة وخطرة ، نذكر بعضاً منها لتتضح نظرة اليهود إلى أنفسهم وإلى غيرهم ، فمن مبادئه :

١- كلامهم عن الله عزّ وجلّ :

وصف اليهود الله عزّ وجلّ بصفات النقص تعالى الله عن قولهم .

○ فمن ذلك : زعمهم أنّ الله عزّ وجلّ شغله هو تعلم التلمود مع الملائكة

(١) انظر : الكنز المرصود في قواعد التلمود ص ٤٧ - ٤٩ ، وكنوز التلمود ص ١٦ - ١٩ ، وقاموس

الكتاب المقدّس ص ٢٢٢ .

(٢) الكنز المرصود ص ٥٠ .

واللعب مع الحوت وأنه جلّ وعلا يبكي لأجل ما حلّ باليهود من التّعاسة^(١).
﴿ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ .

٢- كلامهم عن أنفسهم :

- يزعم اليهود أنّ أرواحهم جزء من الله^(٢) .
- وأنّهم عند الله أرفع من الملائكة . وأنّ من يضرب يهوديًا ، فكأنما ضرب العزة الإلهية^(٣) .
- وأنّهم مسّطون على باقي أموال الأمم ونفوسهم ، لأنّها في الواقع أموال اليهود ، فإذا استردّ الإنسان ماله فلا لوم عليه^(٤) .
- وأنّ الناس إنّما خلّقوا لأجلهم ولخدمتهم^(٥) .
- وللإهوديّ إذا عجز عن مقاومة الشّهوات أن يسلم نفسه إليها^(٦) .
- وأنّ الجنّة لا يدخلها إلّا اليهود^(٧) .

٣- موقفهم من غيرهم :

- أن أرواح غير اليهود أرواح شيطانيّة ، وشبيهة بأرواح الحيوانات^(٨) ، وأنّهم مثل

(١) الكثر المرصود ص ٥٥ - ٥٧ .

(٢) المرجع السابق ص ٦٦ .

(٣) المرجع السابق ص ٧٣ .

(٤) المرجع السابق ص ٧٨ .

(٥) المرجع السابق ص ٨٠ .

(٦) المرجع السابق ص ٩٦ .

(٧) المرجع السابق ص ٦٨ .

(٨) المرجع السابق ص ٦٦ .

الكلاب والحمير وإنما خُلِقُوا على هيئة الإنسان حتى يكونوا لائقين بخدمة اليهود^(١) .

○ لا يجوز لليهودي أن يشفق على غير اليهودي ولا أن يرحمه ولا يعينه بل إذا وجده واقعا في حفرة سدّها عليه^(٢) .

○ يَحْرُمُ على اليهودي أن يرد لغير اليهود ما فُقدَ منهم^(٣) .

○ يَحْرُمُ على اليهودي أن يقرض غير اليهودي إلا بالربا وزعموا أن الله أمرهم بذلك^(٤) .

○ الزنا بغير اليهود ذكورا أو إناثا جائز ولا عقاب عليه .

○ علي اليهودي أن يسعى إلى قتل الصالحين من غير اليهود^(٥) .

○ إن الجحيم مأوى جميع الناس غير اليهود ، وأنه أوسع من الجنة بستين مرة^(٦) .

○ افتراءهم على المسيح عليه السلام وأمه مريم وقولهم عليها بهتاناً عظيماً^(٧) .

هذه بعض مبادئ التلمود ، وهي تصوّر لناظره والمطلع عليه خطورة هذه التعاليم وأن لها أثرا واضحا في اليهود السابقين واللاحقين ، حيث جعلتهم بحق أعداء الإنسانية وأعداء الفضيلة والخير والتسامح ، وأعداء الأديان والمتقربين إلى الله عز وجل بالفساد والفجور والإفساد في الأرض والقتل

(١) المرجع السابق ص ٧٤ - ٧٥ ، وانظر فضح التلمود ص ١٣١ .

(٢) المرجع السابق ص ٧٦ ، ٩١ ، وفضح التلمود ص ١٣٧ .

(٣) المرجع السابق ص ٨٣ ، وفضح التلمود ص ١٣٢ .

(٤) المرجع السابق ص ٩٦ ، وفضح التلمود ص ١٣٣ .

(٥) المرجع السابق ص ٩٠ ، وفضح التلمود ص ١٤٦ .

(٦) المرجع السابق ص ٦٩ .

(٧) فضح التلمود ص ٥٧ .

سواءً في ذلك يازهاق الروح أو يازهاق الخلق والذين في نفوس أصحابه ، فهم المترصون بالبشرية والنّاظرون إليها بعين الحقد ، والحسد ، والتكبر والتجبر يستغلّون كلّ مناسبة لصالحهم ، ويحاولون أن يزيدوا من وقع المصيبة على المنكوبين والموتورين .

وإذا لم ينتبه المسلمون ، ويَعُوا هذه الحقائق ويتعرّفوا على هذه النفسيّات المنحرفة ، فيعتصموا بالله ويعاملوا أعداءه بما يستحقّون فسيبقون على سيطرة اليهود عليهم وتحكّمهم بهم وحرفهم عن ما تبقى لهم من دينهم ، ويفعلون بهم ما فعلوا بالعالم الأوربيّ والأمريكيّ وغيرهم من الدّول التي سيطروا على حكوماتها ، ثم سيطروا بالتّالي على شعوبها ، فنشروا كلّ رذيلة وخلق مُنْحَطّ وأزالوا كلّ هيمنة للذين على النفوس بنشر الإلحاد ومحاربة الفضيلة ، فحقّقوا بذلك مآربهم المادية التي هي في الواقع مطلبهم الأوّل والأخير ، واليهود لا زالوا لم يستطيعوا أن يُظهِروا سيطرتهم الفعلية باسمهم وبالشّخصيّة الحقيقيّة لهم إذ يحكمون من وراء ستار ، فهل يكشفوا عن أنفسهم أم يكتفوا بما حقّقوا من مكاسب ماديّة وإشباع لرغبتهم في الفساد والإفساد ؟

ولابدّ أن يعلم أنّ راية الباطل لا ترتفع ولا تظهر إلّا في رقدة الحقّ وغفلة أهله ومتى أفاق أهل الحقّ فلن يكون للباطل صولة ولا جولة .

والله نسأل أن يُلهمّ المسلمين الرجوع إلى دينه ، وأن يعتزّ أهل الإسلام بإسلامهم فيعرفوا حقيقته وقيّمته ، فينشطوا في الدّعوة إليه ليخرجوا بذلك النّاس من الظّلمات إلى النّور . والله غالب على أمره ولو كره المشركون .

المبحث الثالث

بروتوكولات حكماء صهيون

أولاً : تعريفها :

البروتوكولات : جمعٌ ، واجدُه بروتوكول ، وهو كلمة إنجليزية معناه : محضر مؤتمر ، مسودة أصلية - ملحق معاهدة - الخ . والمراد بـ « بروتوكولات حكماء صهيون » : وثائق محاضرة ألقاها زعيم صهيوني على مجموعة من الصّهاينة ليستأنسوا بها ، ويسيروا عليها في إخضاعهم للعالم والسيطرة عليه .

ثانياً : ظروف تدوينها :

الذي يظهر أنّ هذه الوثائق (البروتوكولات) عُرِضَتْ على زعماء الصّهاينة في المؤتمر الذي عُقِدَ في مدينة بال في سويسرا سنة (١٨٩٧ م) . وكان قد حضر هذا المؤتمر نحو ثلاثمائة مِنْ أَعْتَى الصّهاينة يمثّلون خمسين جمعيّة يهوديّة ، ولا يُعرفُ لها كاتب معيّن .

ثالثاً : الغرض منها :

هو إطلاع الصّهاينة على الخطة التي يستعدون بها للعالم ، ثم كيف يحكمونه إذا وقع تحت سيطرتهم .

رابعاً : اكتشاف هذه الوثائق وانتشارها :

اكتُشِفَتْ هذه الوثائق (البروتوكولات) في سنة (١٩٠١ م) ، وذلك أنّ امرأة فرنسيّة اطلّعت على هذه الوثائق أثناء اجتماعها بزعيم من أكابر رؤساء الصّهاينة في وكر من أوكار الماسونية السّريّة في باريس ، فاستطاعت هذه المرأة

أن تختلَسَ بعض هذه الوثائق ثم تفرَّ بها - وهي الموجودة الآن بين أيدينا .
ووصلت هذه الوثائق إلى « أليكس نيقولا فيتش » - كبير أعيان روسيا الشرقية
في عهد القيصرية - وكانت روسيا في ذلك الوقت تشهد حملات شديدة
على اليهود بسبب فسادهم ومؤامراتهم .

فلما رآها هذا الرجل أدرك خطورتها على بلاده وعلى العالم أجمع ، فدفعها
إلى صديق له أديب روسي اسمه « سرجي نيلوس » فدرسها وتبيَّن خطورتها
فترجمها إلى اللغة الروسية ، وقدم لها بمقدمة تنبأ فيها بسقوط روسيا القيصرية
بيد الشيوعية الفوضوية ، وحكمها حكماً استبدادياً ، وأتخاذها مقراً لنشر
القلق والمؤامرات في العالم .

وكذلك سقوط الخلافة الإسلامية ، وتأسيس دولة إسرائيل في فلسطين
وسقوط الملكيات في أوروبا ، وإثارة حروب عالمية يهلك فيها الطرفان ولا
يستفيد منها سوى اليهود .

وكذلك نشر الأزمات الاقتصادية ، وبنيان الاقتصاد على أساس الذهب
الذي يحتكره اليهود . وغير ذلك .

* فطبع الكاتب لأول مرة في سنة (١٩٠٢ م) باللغة الروسية نسخاً قليلة ،
فلما رآها اليهود جنّ جنونهم ، وحملوا ضد الكتاب حملات مسعورة
يتنصّلون من الكتاب لكن الواقع كان يؤكّد أن نسبة الكتاب إليهم صحيحة .
وحملت عليهم روسيا القيصرية بسببه حملة شديدة حتّى قُتل منهم في إحدى
المذابح عشرة آلاف .

* وطبع الكتاب مرّة أخرى سنة (١٩٠٥ م) ونفذت هذه الطبعة بسرعة

- غريبة ووسائل خفيّة ؛ لأنّ اليهود جمعوا النسخ من الأسواق وأخزقوها .
- * وطُبِعَ أيضًا سنة (١٩١١ م) فنفذت نسخه على النّحو السّابق .
- * وطُبِعَ سنة (١٩١٧ م) فصادره الشيوعيون ؛ لأنّهم كانوا قد استلموا زمام الحكم في روسيا وأسقطوا الدّولة القيصرية .
- * وكانت نسخة من الطّبعة الروسية سنة (١٩٠٥ م) وصلت إلى المتحف البريطانيّ في لندن وخُتم عليها بخاتمه سنة (١٩٠٦ م) .
- وبقيت النسخة مهملة حتّى قيام الانقلاب الشيوعي في روسيا سنة (١٩١٧ م) فطلبت جريدة « المورنغ بوست » من مراسلها « فكتور مادسون » أن يوافيها بأخبار الانقلاب ، فقام بالاطلاع على عدة كتب روسية ، وكان من بينها كتاب البروتوكولات الّذي بالمتحف . فحين رآها قدّر خطرها ورأى نبوءة نشرها بوقوع القيصرية بيد الشيوعيين . فعكف على ترجمتها إلى الانجليزية ثم نشرها باللغة الانجليزية وطُبِعَتْ خمس مرّات كان آخرها سنة (١٩٢١ م) ثم لم يجرؤ ناشر في بريطانيا وأمريكا على نشرها .
- * ومع محاولات اليهود احتواء الكتاب إلّا أنّه طبع بلغات كثيرة منها الأرمنية ، والفرنسية ، والإيطالية ، والبولونية .
- * ومن طبعة (١٩٢١ م) الانجليزية ترجم الكتاب لأوّل مرّة إلى العربيّة وطُبِعَ سنة (١٩٥١ م) على يد مترجمه الأستاذ محمد خليفة التّونسي ، وقد قدم له بمقدمة شرح بها تاريخ الكتاب وذكر شيئا من حال اليهود وحالهم المعاصر وتغلغلهم في كثير من الدّول^(١) .

(١) انظر : كتاب بروتوكولات حكماء صهيون ص ٣١ - ٤٠ .

خامساً : بعض عناصر المؤامرة الصهيونية :

(١) إنّ اليهود منذ قرون وهم يحوكون خطة للاستيلاء على العالم وكان يُنقَّح هذه الخطة كبارهم طوراً طورًا حسب الأحوال .

(٢) يسعى اليهود لهدم الحكومات في كُلِّ الأقطار والاستعاضة عنها بحكومة ملكيّة استبداديّة يهوديّة ، ويهيئون كُلَّ الوسائل لهدم الحكومات لا سيّما الملكيّة ، ومن هذه الوسائل : إغراء الملوك باضطهاد الشعوب ، وإغراء الشعوب بالتمرد على الملوك ، مستعينين على ذلك بنشر دعوى الحرية والمساواة ونحوها مع تفسيرها تفسيرًا خاصًا يؤذي الجانبين ، مع محاولة إبقاء كُلِّ من قوّة الحكومة وقوّة الشعب متعاديتين . وإفساد الحكام وزعماء الشعوب . ومحاربة كُلِّ ذكاء يظهر بين الأمميين (غير اليهود) مع الاستعانة على تحقيق ذلك كله بالنساء والمال والمناصب والمكايد . وما إلى ذلك من وسائل الفتنة .

(٣) إلقاء بذور الخلاف والشغب في كُلِّ الدول عن طريق الجمعيات السريّة السياسيّة ، والدينيّة ، والفنيّة ، والرياضيّة ، والمحافل الماسونيّة ، والأندية على اختلاف نشاطها .

(٤) إنّ حكومات العالم الحاليّة فاسدة فيجب زيادة فسادها إلى أن يحين الوقت لقيام المملكة اليهودية على العالم التي سيكون مقرّها في أورشليم ، ثم تنتقل إلى روما وتستقرّ فيها إلى الأبد .

(٥) يجب أن تُوضَعَ تحت أيدي اليهود كُلّ وسائل الطبع والنشر والصّحافة والمدارس ، والجامعات ، والمسارح ، وشركات السينما ، ودورها والعلوم والقوانين والمضاربات وغيرها حتّى يتمكّنوا من نشر أفكارهم ومبادئهم .

(٦) إِنَّ الدَّهْبَ الَّذِي يَحْتَكِرُهُ الْيَهُودُ هُوَ أَقْوَى الْأَسْلِحَةِ لِإِثَارَةِ الرَّأْيِ الْعَامِّ وَإِفْسَادِ الشُّبَابِ وَالْقَضَاءِ عَلَى الضَّمَائِرِ وَالْأَدْيَانِ ، وَالْقَوْمِيَّاتِ ، وَنِظَامِ الْأَسْرَةِ ، وَإِغْرَاءِ النَّاسِ بِالشَّهَوَاتِ الْبَهِيمِيَةِ الضَّارَّةِ ، وَإِشَاعَةِ الرَّذِيلَةِ ، وَالْإِنْحِلَالِ ، حَتَّى تَسْتَنْزِفَ قُوَى الْأُمَمِينَ اسْتَنْزَافًا ، فَلَا تَجِدُ مَفْرَأًا مِنَ الْقَذْفِ بِأَنْفُسِهَا تَحْتَ أَقْدَامِ الْيَهُودِ .

(٧) وَضَعُ أَاسِ الْاِقْتِصَادِ الْعَالَمِيِّ عَلَى أُسَاسِ الدَّهْبِ الَّذِي يَحْتَكِرُهُ الْيَهُودُ ، لَا عَلَى أُسَاسِ قُوَّةِ الْعَمَلِ وَالْإِنْتِاجِ وَالْثَّرَوَاتِ الْآخَرَى ، مَعَ إِحْدَاثِ الْأَزْمَاتِ الْاِقْتِصَادِيَةِ الْعَالَمِيَةِ عَلَى الدَّوَامِ ، كَيْ لَا يَسْتَرِيحَ الْعَالَمُ أَبَدًا فَيَضْطَرُّ إِلَى الْاِسْتِعَانَةِ بِالْيَهُودِ لِكَشْفِ كُرُوبِهِ ، وَيَرْضَى صَاغِرًا مَغْتَبِطًا بِالسُّلْطَةِ الْيَهُودِيَّةِ الْعَالَمِيَّةِ .

(٨) الْاِسْتِعَانَةُ بِأَمْرِيكََا وَالصِّينِ وَالْيَابَانِ عَلَى تَأْدِيبِ أَوْرُبَا وَإِخْضَاعِهَا .



الفصل الرابع

أخلاق اليهود من خلال القرآن الكريم

الفصل الرابع

اخلاق اليهود من خلال القرآن الكريم

إِنَّ الاحتكاك بين النَّبِيِّ ﷺ والمسلمين وبين اليهود في المدينة بحكم وجود اليهود بها كشف كثيرًا من أخلاقهم وسماتهم ، وقد فضّل لنا الله جلّ وعلا بكتابه الكريم ، أخلاقهم الظاهرة والخفية ، ومقاصدهم في الأعمال والأقوال ، بحيث يستطيع الناظر في القرآن أن يُدرك واقع اليهود حق الإدراك ، ويفهم نفسيّاتهم وما جُبلوا عليه من فساد وانحراف عن الخلق القويم والصراط المستقيم .

□ ومّا وصف الله به اليهود :

أولاً : الكذب

وهو من أقبح الصفات التي يتّصف بها النَّاس وعنوان الحسّة والدّانة ، وفساد الطّويّة ، وهو المطيّة لكلّ انحراف ، وقد تعمّقت هذه الخصلة في اليهود وباؤا بأدنى مراتبها ، وأبعدها فسادًا وهو الكذب على الله عزّ وجلّ الذي لا يخفى عليه خافية .

قال جلّ وعلا : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يُشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا * أَنْظِرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [النساء : ٥٠] .

كما سجّل القرآن عنهم موقفًا آخر وهو لا يقلّ عن هذا الموقف قباحة وهو تكذيبهم الصّادقين وهم الرُّسل ووصمهم لهم بهذه الصّفة .

فقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا

بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿ [آل عمران : ١٨٣ ، ١٨٤] .

ومن كذب على الله وكذب على الرسل فالكذب على الناس من أهون الأعمال لديه ، ومما سجل من كذبهم قوله تعالى عنهم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْثُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَنَّةِ وَالطَّاعُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴾ [النساء : ٥١] .

ثانيا : الحسد

الحسد : هو تمنّي زوال النعمة عن الغير . وهو من صفات اليهود فهم يحسدون الناس لا لشيء إلا كراهة أن يؤتي الله من فضله أحدا غيرهم . وفي وصفهم بهذا يقول جل وعلا : ﴿ أَمْ يَحْسَدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ [النساء : ٥٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَكَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُّوْكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾ [البقرة : ١٠٩] .

ثالثا : حب الدنيا

إن حب الدنيا كما ورد في بعض الآثار « رأس كل خطيئة » واليهود حازوا من هذه الخصلة النصيب الأوفى ، فكذبوا على الله لحبهم للدنيا ، وجبنوا عن القتال لحبهم الدنيا ، وأضلوا الناس عن دين الله حبا في الدنيا ، وخانوا العهد والميثاق حبا في الدنيا وتمسكا بنعيمها الزائل ، أخذوا بالسحر وتركوا الوحي حبا في الدنيا .

وفي هذا يقول الله تعالى عنهم : ﴿ قَوْلٌ لِلَّذِينَ يُكْتَبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ [البقرة : ٧٩] .

﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ ﴾ [البقرة : ٩٦] .

وحبهم للدنيا جعلهم يأكلون الربا ويأكلون أموال الناس بالباطل إلى غير ذلك من جرائمهم وتحايلهم على الأوامر والنواهي ، حرصا منهم على متاع الدنيا الزائل .

رابعًا : البخل

مع أن اليهود أهل المال إلا أنهم بخلاء به وهذا دليل على أنهم يعبدون المال ولم يجمعوه لينفقوا منه ، وإنما حُبًا فيه فقط ، وإضافة إلى البخل به فهم يأمرن الناس بالبخل .

قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَخْلُونِ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ [النساء : ٣٧] .

خامسًا : الخيانة

وهذه من طبائع اليهود الملازمة لهم ، والخيانة تكون في كُلِّ ما يُؤْتَمَنُ عليه الإنسان من مالٍ وعرضٍ ودينٍ وعهدٍ وغير ذلك ، وقد خان اليهود أماناتهم في الأموال ، قال تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأَمَّنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ﴾ [آل عمران : ٧٥] .

أما الذين فقد بدلوهم وغيروه ، أما العهود والمواثيق فقد نقضوها سواء مع الله أو مع غيره . لهذا وصفهم الله بالخيانة فقال : ﴿ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ ﴾ [المائدة : ١٣] . وهو وصف متحقق فيهم إلى هذا الزمن وما بعده .

﴿سادسا ، الإفساد في الأرض﴾

قال الله تعالى : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء : ٤] .

والواقع أنَّ الفساد والإفساد لا يصدر إلا عن نفوس أغرقت في الشرِّ وحققت على الغير حتَّى ساءها صلاح الغير واستقامة أمره ، فيدفعها ذلك إلى الإفساد .

وهذا وصف من أبرز صفات اليهود في الحاضر والماضي ، ولا تجد في الغالب في هذا الوقت وما قبله نحلة فاسدة أو مذهبا منحرفا إلا لليهود فيه اليد الطولى^(١) .

هذه بعض الأخلاق التي ذكرها القرآن الكريم عن اليهود تبيِّنا وتحذيرا لمن كان له قلب أو ألقى السَّمْع وهو شهيد .

○○○○

(١) انظر : الشخصية اليهودية من خلال القرآن د . صلاح عبد الفتاح الخالدي ص ١٩٣ - ٢٥٤ ،
بنو إسرائيل في القرآن ، د . محمد عبد السلام محمد ص ٢٦٥ - ٢٧١ .

الباب الثاني النصرانية

الفصل الأول : تعريف كلمة نصرانية .

الفصل الثاني : نشأتها وطبيعتها .

الفصل الثالث : مصادر النصرانية .

الفصل الرابع : عقيدة النصارى .

الفصل الخامس : أسباب وعوامل انحراف النصرانية

الفصل السادس : بعض الشعائر والطقوس عند النصارى

الفصل السابع : أهم الفرق النصرانية المعاصرة .

الفصل الثامن : التنصير .

الفصل التاسع : البشارة بالنبي محمد ﷺ في الكتاب المقدس

الفصل الأول

تعريف كلمة نصرانيّة

الفصل الأول

تعريف كلمة نصرانية

النَّصْرَانِيَّةُ لُغَةً :

قيل : نسبة إلى نصرانة ، وهي قرية المسيح عليه السَّلام ، من أرض الجليل « وتُسَمَّى هذه القرية ناصرة ونصورية »^(١) .

النَّصْرَانِيَّةُ اصطلاحًا :

هي دين النَّصَارَى ، الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ الْمَسِيحَ عَلَيْهِ السَّلام ، وكتابهم الإنجيل .

وَيُطْلَقُ عَلَيْهِمْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ النَّصَارَى ، وَأَهْلُ الْكِتَابِ ، وَأَهْلُ الْإِنْجِيلِ ، وَهُمْ يُسَمُّونَ أَنْفُسَهُمْ بِالْمَسِيحِيِّينَ نِسْبَةً إِلَى الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلام ، وَيُسَمُّونَ دِيَانَتَهُمُ الْمَسِيحِيَّةَ .

وأوَّلُ مَا دَعَى النَّصَارَى « بِالْمَسِيحِيِّينَ » فِي أَنْطَاكِيَّةٍ حِوَالِي سَنَةِ ٤٢ م وَيرى البعض أَنَّ ذَلِكَ أَوَّلُ الْأَمْرِ كَانَ مِنْ بَابِ الشُّتْمِ^(٢) .

ولم ترد هذه التَّسمية في القرآن ولا في السُّنَّةِ ، وهي تسمية لا توافق واقعهم لتحريفهم دين المسيح عليه السَّلام وتبديلهم التَّوحيد بالشُّرك ، فالأولى أَنْ يُطْلَقَ عَلَيْهِمْ نَصَارَى ، أَوْ أَهْلُ الْكِتَابِ .

○ ○ ○ ○

(١) انظر : المفردات للزَّاج الأصفهاني ص ٤٩٥ ، الأديان والفرق للشيخ عبد القادر شيبه الحمد ص ٣٠ .

(٢) قاموس الكتاب المقدَّس ص ٨٨٩ .

الفصل الثاني

نشاطها وطبيعتها

الفصل الثاني

نشأتها وطبيعتها

الديانة النصرانية في الأصل تعود إلى المسيح عليه الصلاة والسلام ، والمسيح نبي من أنبياء بني إسرائيل ، دعى إلى الله عز وجل ، وبلغ رسالة ربه عز وجل . وقد ذكر الله عز وجل هذا النبي الكريم في القرآن الكريم ، وذكر دعوته في مواضع عديدة ، من أشملها قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِكَلِمَةِ اللَّهِ مِنْهُ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ * وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبَشِّرُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأَجَلَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ * فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ * رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ * وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ * إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اذْهَبْكَ إِلَى الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ مُطَهَّرِهِ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ مُطَهَّرِهِ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا

الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذُّهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ * وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ * إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿ [آل عمران : ٤٥ - ٦٠] .

هذه هي النصرانية الأصلية ونشأتها وطبيعتها كما ذكرها الله عز وجل حيث هي دين سماوي يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، وتستمد منهجها من التوراة والإنجيل .

وإذا نظرنا إلى الأناجيل الموجودة بين يدي النصارى نجد أنها صرحت بما ذكره القرآن تصريحاً واضحاً لا لبس فيه . ومن ذلك :

١- بشرية المسيح :

ذكرت جميع الأناجيل أنه ولد من مريم وأنه طرأ عليه ما يطرأ على البشر من الوجود بعد العدم والأكل والشرب والتعب والنوم والموت^(١) وسائر الخصال البشرية .

٢- أنه رسول الله :

صرح المسيح في مواطن كثيرة في الأناجيل بأنه رسول من عند الله .
فقد ورد في « إنجيل متى » (١٠ / ٤٠) : « مَنْ يَقْبَلُكُمْ يَقْبَلُنِي وَمَنْ يَقْبَلُنِي يَقْبَلُ الَّذِي أَرْسَلَنِي » .

(١) هذا ما ذكرته الأناجيل ونحن المسلمين نعتقد بأنه عليه السلام لم يقتل ولم يميت كما ذكر الله عز وجل ذلك .

وفي « إنجيل لوقا » (٤ / ٤٣) : « فقال لهم إنه ينبغي لي أن أبشّر المدن الأخر أيضًا بملكوت الله لأنّي لهذا أرسلتُ . فكان يكرز في مجامع الجليل » .

ويقول لتلاميذه الذين أرسلهم إلى المدن لدعوة الناس إلى الإيمان به وبرسالته ، « لوقا » (١٠ / ١٦) : « الذي يسمع منكم يسمع منّي والذي يرذلكم يرذلني . والذي يرذلني يرذل الذي أرسلني » .

وفي « إنجيل يوحنا » ذكر أنّه رسولٌ من الله في مواطن كثيرة منها (٤ / ٣٤) : « قال لهم يسوع طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني . وأتمم عمله » . وفي (١٧ / ٣) يذكر عن المسيح أنّه قال : « وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته »^(١) .

٣- أنه رسول إلى بني إسرائيل خاصّة :

ورد في « إنجيل متى » (١٥ / ٢٤) : أن المسيح عليه السّلام لحقته امرأة كنعانية تطلب منه شفاء ابنتها المجنونة ، فقال المسيح : « لم أرسل إلّا إلى خراف بيت إسرائيل الضّالة » .

وكذلك في « إنجيل متى » (١٠ / ٥) : ورد أنّ المسيح أرسل تلاميذه إلى القرى اليهودية ، وقال لهم : « إلى طريق أُمّ لا تمضوا وإلى مدينة للسّامريّين لا تدخلوا بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضّالة » .

(١) نُص على الرّسالة في إنجيل يوحنا في المواضع التالية أيضًا (٥ / ٢٣ ، ٣٠ ، ٣٦) ، (٦ / ٢٩ ، ٤٤) ، (٧ / ١٦ ، ٢٩) ، (٨ / ١٨ ، ٤٢) ، (٩ / ٤) ، (١٠ / ٣٦) ، (١١ / ٤٢) ، (١٢ / ٤٤) ، (١٤ / ٢٤) ، (١٥ / ٢١) ، (١٦ / ٥) ، (١٧ / ١٨ ، ٢٥) ، (٢٠ / ٢١) .

٤- إنه متَّبِعٌ لشريعة موسى عليه السَّلام ومكْمَلٌ لها :

يقول « متى » في إنجيله (١٧ / ٥) عن المسيح أنّه قال : « لا تظنُّوا أنّي جئت لأنقض التَّاموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكْمَل » .

٥ - أنه دعى إلى عبادة الله وحده لا شريك له :

ذكر « متى » في إنجيله (١٠ / ٤) عن المسيح أنّه قال : « للرَّبِّ إلهك تسجد وإيَّاه وحده تعبد » .

وفي « إنجيل مرقس » (١٢ / ٢٩) : أنّ المسيح أجاب عن أوَّل الوصايا والواجبات بأن قال : « إنّ أوَّل كُُلِّ الوصايا هي : اسمع يا إسرائيل . الرَّبُّ إلهنا ربٌّ واحدٌ . وتحب الرب إلهك من كُُلِّ قلبك » .

وفي « إنجيل لوقا » (٤ / ٨) : أنّ المسيح قال للشَّيْطان لما طلب منه أن يسجد له : « اذهب يا شيطان إنّه مكتوب للرَّبِّ إلهك تسجد وإيَّاه وحده تعبد » .

وفي « إنجيل يوحنا » (١٧ / ٣) أنّ المسيح قال : « وهذه هي الحياة الأبدية أن تعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته » .

وكذلك قال للمرأة التي رآته بعد القيامة في كلامهم في « إنجيل يوحنا » (٢٠ / ١٧) : « قال لها يسوع لا تلمسيني ؛ لأنّي لم أرفع بعد إلى أبي ولكن اذهبي إلى إخوتي ، وقولي لهم ، إنّني أرفع إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم » .

٦- أنه دعى إلى التَّوبة والأخذ بروح شريعة موسى :

لقد دعى المسيح إلى ذلك استعدادًا لقرب قيام مملكة الله ، بل نصَّ كثير من

الكتاب على أن هذا كان لب دعوة المسيح حسب الأناجيل^(١).

وفي هذا ورد في « إنجيل متى » (٩ / ١٣) : « لأنني لم آت لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة » .

وفي « إنجيل مرقس » (١ / ١٤) : « بعدما أسلم يوحنا^(٢) جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله ، ويقول : قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل » .

فهذه النصوص يظهر منها واضحاً بشرية المسيح عليه السلام ، وأنه رسول دعى بني إسرائيل إلى عبادة الله وحده وهذا يتفق تمام الاتفاق مع ما ذكر الله عز وجل في القرآن الكريم عنه ، ويتفق مع دعوة الأنبياء السابقين الذين ورد ذكرهم في القرآن ، أو ذكرهم اليهود في كتبهم . كما يتفق ذلك مع العقل وترتاح له النفس .

وهذا بخلاف ما تدعيه الكنيسة وترعّمه من الأمور المناقضة للعقل والشّرع وسيأتي إن شاء الله بيان فساد ادّعاءاتهم وبطلانها بعد أن نبين مصادر النصرانية . إذ أن بطلان ادّعاءاتهم يرتكز على أمور عديدة من أهمها بيان حقيقة الكتب التي بين أيديهم .



(١) انظر المسيحية نشأتها وتطورها ص ٤٩ ، والنصرانية والإسلام ص ١٤ .

(٢) أي بعد أن سجن يحيى عليه السلام من قبل حاكم اليهود . انظر تفسير العهد الجديد ص ٩١

الفصل الثالث

مصادر النصّانية

- المبحث الأول : الكتاب المقدّس .
- المبحث الثاني : الجامع النصّانية .

الفصل الثالث

مصادر النّصرانيّة

- النصارى يستمدّون عقائدهم وتشريعاتهم من مصدرين أساسيين هما :
- أولاً : الكتاب المقدّس .
- ثانياً : المجامع النّصرانيّة .

★★★★

المبحث الأول

الكتاب المقدس

النصارى يقدسون كلاً من العهد القديم والعهد الجديد ويصُفّونها معاً في كتاب واحد يطلقون عليه اسم « الكتاب المقدس » .

والعهد القديم : هو التوراة والكتب الملحق بها ، وقد سبق ذكرها وتعريفها .

أما العهد الجديد : فهو يحتوي على سبعة وعشرين سفرًا هي :

- ١ - إنجيل متى ٢ - إنجيل مرقس ٣ - إنجيل لوقا ٤ - إنجيل يوحنا ٥ - أعمال الرسل ٦ - رسالة بولس إلى أهل رومية ٧ - رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ٨ - رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس ٩ - رسالة بولس إلى أهل غلاطية ١٠ - رسالة بولس إلى أهل أفسس ١١ - رسالة بولس إلى أهل فيلبي ١٢ - رسالة بولس إلى أهل كولوسي ١٣ - رسالة بولس الأولى إلى أهل تسالونيكى ١٤ - رسالة بولس الثانية إلى أهل تسالونيكى ١٥ - رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس ١٦ - رسالة بولس الثانية إلى تيموثاوس ١٧ - رسالة بولس إلى تيطس ١٨ - رسالة بولس إلى فلپمون ١٩ - الرسالة إلى العبرانيين ٢٠ - رسالة يعقوب ٢١ - رسالة بطرس الأولى ٢٢ - رسالة بطرس الثانية ٢٣ - رسالة يوحنا الأولى ٢٤ - رسالة يوحنا الثانية ٢٥ - رسالة يوحنا الثالثة ٢٦ - رسالة يهوذا ٢٧ - رؤيا يوحنا اللاهوتي .

وسنبيّن في هذه الدراسة الموجزة حال الأناجيل خاصّة لأهمّيتها :

الأناجيل

- الإنجيل كلمة يونانية تعني الخبر الطيب^(١) (البشارة) .
- وفي الحديث عن الأناجيل سنين ثلاثة أنواع منها وهي :
- ١- إنجيل المسيح عليه السلام .
 - ٢- الأناجيل الأربعة .
 - ٣- إنجيل برنابا .

★★★★

(١) قاموس الكتاب المقدس ص ١٢٠ .

المطلب الأول

إنجيل المسيح عليه السلام

الإنجيل في الأصل : هو الكتاب الذي أنزله الله عز وجل على عيسى عليه الصلاة والسلام هدى ونور . قال عز وجل : ﴿ وَفَقَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة : ٤٦] .

وقد دعى المسيح عليه السلام بني إسرائيل للأخذ بالإنجيل والإيمان به .

فقد جاء في « إنجيل مرقس » (١ / ١٤) : « بعدما أسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله ، ويقول : قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل » .

إلا أن هذا الإنجيل الذي نزل على المسيح عليه السلام لا وجود له بين يدي النصارى وليس هو من ضمن الأناجيل المكتوبة التي يقدّسها النصارى ، مع التصريح السابق بوجوده وطلب الإيمان به ، كما ذكره أيضًا أوائل النصارى ودعوا إلى الإيمان به .

وفي هذا يقول « سفر أعمال الرسل » ٨ / ٢٥ عن بطرس ويوحنا في دعوتهما للسامريين من اليهود : « وكما شهدا وتكلّما بكلمة الرب رجعا إلى اورشليم وبشرا بالإنجيل في قرى كثيرة للسامريين »^(١) .

(١) هذا النص مأخوذ من نسخة الكتاب المقدس المطبوعة في لبنان عام ١٩٩٢ م بعناية اغناطيوس زياده / دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ، وهي النسخة الكاثوليكية ، أمّا النسخة العبرانية التي استخدمها في العادة فمكتوب عليها « دار الكتاب المقدس في القاهرة » وهي النسخة البروتستانتية ولا يوجد فيها كلمة الإنجيل في هذا الموضع .

وذكره « بولس » أيضًا في رسائله ، منها قوله في رسالته الأولى إلى أهل تسالونيكي (٢ / ٢) « جاهرنا في إلها أن نكلّمكم بإنجيل الله في جهاد كثير لأنّ وعظنا ليس عن ضلال ولا عن دنس ولا بمكر ، بل كما استُخسنا من الله أن نؤمن على الإنجيل هكذا نتكلّم .. » ثم يقول : « ... فإنكم أيّها الأخوة تذكرون تعبنا وكدنا إذ كنّا نكرز لكم بإنجيل الله .. » (١) .

فإذا الإنجيل كان كتابًا موجودًا ومعروفًا لدى النصارى بأنه إنجيل الله أو إنجيل المسيح . إلّا أنّ هذا الإنجيل لا نجده بين الأناجيل الموجودة اليوم فأين هو ؟ على النصارى أن يجيبوا على هذا السؤال . أو يعترفوا بأنهم فقدوه في زمن مبكر من تاريخهم ، ولعلّ هذا هو الأرجح .

إذ يقول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [المائدة : ١٤] .

○ ○ ○ ○

(١) وانظر أيضا ذكره للإنجيل في رسالته إلى أهل رومية (١ / ١ ، ٩ ، ١٦) ، ورسالته الأولى إلى تيموثاوس (١ / ١) .

المطلب الثالث

الأناجيل الأربعة

سبق أن بيَّنا أنَّ الإنجيل الَّذي أنزل على المسيح عيسى عليه السَّلام لا يعلم النَّصارى عنه شيئاً ، وقد صار عندهم بدلاً عنه أربعة أناجيل هي : إنجيل متى ، ومرقس ، ولوقا ، ويوحنا . وهذه الأناجيل الأربعة لم يُنسب واحد منها إلى المسيح عليه الصَّلَاة والسَّلام ، وإنَّما هي منسوبة إلى هؤلاء الأشخاص ، الَّذين يزعم النَّصارى أنَّ اثنين منهم من الحواريِّين وهما : « متى ويوحنا » ، واثنين أحدهما « مرقس » تلميذ بطرس . والآخَر « لوقا » تلميذ بولس في زعمهم .

وهذه الأناجيل تحتوي على تاريخ لعيسى عليه السَّلام حيث ذكر فيها ولادته ثم تنقُّلاته في الدَّعوة ثم نهايته بضلِّبه وقيامته ثم صعوده إلى السَّماء في زعمهم ، كما تحتوي على مواعظه وخطبه ، ومجادلاته مع اليهود ، ومعجزاته الَّتِي كان يظهرها للنَّاس ؛ دليلاً على صدقه في أنَّه مُرْسَلٌ من الله ، فهذه الأناجيل أشبه ما تكون بكتب السَّيرة ، إلَّا أنَّ فيها اختلافات ليست بقليلة ، وبعضها اختلافات جوهرية لا يمكن التَّوفيق بينها إلَّا بالتعسف . كما سيتبيَّن .

والقارئ لهذه الأناجيل الأربعة ؛ يستطيع بسهولة أن يُدرك أنَّ ما ورد فيها من دعوة وخطب ومواعظ ومجادلات ؛ تعود إلى مطلبين أساسيين ، ركَّز المسيح عليهما بحيث غلبا على دعوته وهما :

١- الدَّعوة إلى التَّوبة والأخذ بروح الشَّريعة الَّتِي جاء بها موسى عليه السَّلام .

٢ - التَّبشِير بقرب قيام مملكة الله الَّتِي يتحقَّق فيها العدل والمساواة^(١) .

(١) انظر : المسيحية نشأتها وتطورها . شارل جنير ص ٤٩ ، النَّصرانية والإسلام ص ١٤ .

١. تاريخ الأناجيل الأربعة إجمالاً

قبل الحديث عن تاريخ الأناجيل الأربعة لدى النَّصَارَى لابدُّ أن نبيِّن أنَّ الكتب المقدَّسة كتبت لها مكائنها العظيمة لدى أتباعها ، ولها دور خطير في هذه الحياة إذ هي التي توضح الطريق إلى سعادة الدنيا وفوز الآخرة . فلهذا يجب أن تكون هذه الكتب ثابتة السند إلى أصحابها الذين هم رسل الله والمبلِّغون عنه عزَّ وجلَّ ، فإذا لم تكن كذلك فإنَّها تفقد قيمتها ، إذ تكون عرضة للتَّحريف والتَّبديل من قبل أصحاب الأهواء والضَّلالات ، أو من قبل العوارض البشريَّة كالنَّسيان وقلة العلم والوهم ونحو ذلك .

فصحَّة الإسناد بعدالة رواته وضبطهم وعدم انقطاعه هو السَّبيل الذي يمكن به وصول هذه الكتب إلى النَّاس سليمة صحيحة كاملة ، فيتعرف النَّاس على الحقِّ من خلالها .

وإذا نظرنا إلى كتب الحديث عند أهل الإسلام عرفنا الجهد العظيم الذي بذله أولئك الأئمة في المحافظة على حديث رسول الله ﷺ سليماً صحيحاً ، بحيث يستطيع المسلم في القرن الخامس عشر الهجري أن يعرف درجة الحديث من حيث الصُّحة وعدمها .

أمَّا القرآن الكريم : فتبوتة بلفظه وحروفه وقراءته ، قد ثبته كبار أصحاب رسول الله ﷺ بجمعه في مصحف واحد في زمن أبي بكر رضي الله عنه ثم جمع النَّاس على قراءة واحدة في زمن عثمان رضي الله عنه ، ويتناقله كثير من المسلمين إلى هذا الزمن بالتَّواتر منهم إلى رسول الله ﷺ بحيث أنَّه لا مجال حتَّى للشكِّ في شيءٍ من حروفه فضلاً عن وقوع التَّحريف فيه ، وللمسلمين

ميزة في هذا الأمر لم تكن لا لليهود ولا للنصارى ولا لغيرهم ، وذلك أنَّ المسلمين يحفظون كتاب الله عن ظهر قلب ، ويتلونه آناء الليل وأطراف النهار وهذا الحفظ له لا يجعل هناك ارتباطاً قوياً بالمكتوب ، كما حدث لليهود لما فقدوا كتابهم لم يكن فيهم من يستطيع أن يعيده إليهم ، إذ أنَّهم لا يحفظونه ولا يتداولون نسخه ، فأدَّى ذلك إلى فقدانه ومحاولة تجميعه من الذكريات .

وإذا بحثنا في إسناد ما بين يدي النصارى من الكتب يتبيَّن أنَّ الأناجيل الأربعة متى - مرقس - لوقا - يوحنا ، منسوبة كما سبق بيانه إلى اثنين من الحواريين وهما متى - ويوحنا . أما الأخران : فأحدهما منسوب إلى مرقس وهو في كلامهم تلميذ لبطرس الحواري ، والآخر منسوب إلى لوقا وهو في كلامهم تلميذ لبولس (شاؤول اليهودي) .

وإذا بحثنا في التاريخ لدى النصارى عن إسناد لهذه الكتب إلى هؤلاء الناس الذين تُنسب إليهم لا نجد من ذلك شيئاً البتة لا قليلاً ولا كثيراً . ورسائل بولس ، وكذلك الرسائل الأخرى ، وأعمال الرسل ، ليس في شيء منها الإشارة إلى واحد من هذه الكتب الأربعة بحيث يتضح للنَّاظر والباحث أنَّ هذه الكتب لم تكن معروفة في ذلك الزمن ولم يطلع عليها أحد منهم ، وفي هذا دلالة قويَّة على أنَّ نشأة هذه الكتب وظهورها كان متأخراً عن هذه الرسائل ، بخلاف إنجيل الله أو إنجيل المسيح فقد ورد ذكره في كلام بولس مراراً عديدة كما ورد ذكره في إنجيل مرقس ، وأعمال الرسل مما يدلُّ على وجوده وأنَّه معروف معلوم^(١) .

(١) سبق ذكر ذلك ص ١٣٦ .

وقد حاول النصارى أن يجدوا لهذه الكتب إسنادًا أو إخبارًا عنها في كلام متقدميهم يتفق مع الزمن الذي يُدعى أنها كُتبت فيه وذلك في الربع الأخير من القرن الأول الميلادي على أكثر تقدير . إلا أن هذه المحاولات باءت بالفشل الذريع مما اضطرهم إلى الاعتراف بأن هذه الكتب لم تُعرف إلا بعد موت من تُنسب إليه بعشرات السنين ، مما يجعل نسبتها إلى أولئك الناس نسبة لا تقوم على أدنى دليل وإليك بعض كلام النصارى في هذا الأمر :

يقول الدكتور القس فهميم عزيز الأستاذ بكلية اللاهوت الإنجيلية : « لكن قانونية^(١) أسفار العهد الجديد لم تتم في وقت واحد ولم يكفها جيل أو جيلان بل استمرت مدة طويلة ، ولم تقف الكنائس المختلفة موقفًا موحدًا من الأسفار المختلفة ، بل اختلفت آراؤها من جهة بعض الأسفار واستمرت في ذلك حقبة طويلة ، فلهذا يلزم تتبع هذا التاريخ الطويل لقانونية أسفار العهد الجديد .

الكنيسة الأولى : يوم الخمسين^(٢) - ١٠٠ م :

من المعلوم جيدًا أنه لم تكن في تلك الفترة كتب مقدسة تُسمى العهد الجديد^(٣) ولكن الكنيسة لم تمكث بدون مصادر إلهية تستند عليها في كل شيء من وعظ وتعاليم وسلوك ومعاملات ، وقد كان لها في هذا المجال ثلاثة مصادر .

(١) ذكر الدكتور القس فهميم عزيز أن المراد بكلمة القانون هو الكتاب الذي اعترفت به الكنيسة ، فقانونية العهد الجديد أي اعتراف الكنيسة بالعهد الجديد .

(٢) يوم الخمسين : هو من الأعياد اليهودية ويزعم النصارى أن الروح القدس بعد رفع المسيح حل على الحواريين في يوم الخمسين فتكلموا بلغات كثيرة - ويتخذ النصارى عيدًا أيضًا ويُسبِّحونه عيد العنصرة . انظر : قاموس الكتاب المقدس ص ٣٥٠ .

(٣) مراده أنه إلى نهاية عام ١٠٠ م ليس هناك ما يُعرف بالعهد الجديد ، أي أن الأناجيل والكتب الأخرى غير معروفة في ذلك الزمن ، ويعني ذلك أنه لم تكتب وتدوّن إلا بعد ذلك .

ثم ذكر أنَّ الثلاثة مصادر هي : العهد القديم ، المسيح ، الرسل ، ثم قال :
« ثانيًا : ١٠٠ - ١٧٠ م ظهور الكتب القانونية في العهد الجديد :

كانت أوَّل مجموعة عرفتُها الكنيسة من العهد الجديد هي مجموعة رسائل بولس . فهي أوَّل ما جمع من كُلِّ كتب العهد الجديد ، ولقد كتب بولس رسائله إلى كنائس وأفراد لظروف خاصَّة ومواقف محدَّدة ... »

ثم يقول : « ... أمَّا المجموعة الثانية : فهي مجموعة الأناجيل الأربعة ، وقد ظهرت هذه المجموعة متأخرة بعض الوقت عن مجموعة كتابات بولس .

ومع أنَّ تاريخ اعتبارها كتبًا قانونية مقدَّسة متساوية في ذلك مع كتب العهد القديم لا يزال مجهولًا ، لكن الاقتباسات العديدة التي وجدت في كتابات آباء الكنيسة الرُّسوليين وشهاداتهم تُلقِي بعض الضُّوء على هذه الحقيقة الجوهرية في العصر المسيحيِّ ويلاحظ الدَّارسُ الأمور الآتية :

١ - أنَّ بولس لم يشر في كتاباته إلى أيِّ من الأناجيل المكتوبة ولا إلى أيِّ كتاب عن حياة المسيح أو أقواله ... » .

ثم يذكر المصنِّف سبع نقاط أخرى يذكر في بعضها اقتباسات لمتقدِّمين من النَّصارى تتوافق في بعضها مع ما ورد في بعض الأناجيل بدون النَّصِّ على ذكر الأناجيل^(١) .

(١) المراد بالاقتباسات هي ذكر بعض الجمل ممَّا يُتَّفَق مع ما يُوجَد في الأناجيل ، إلَّا أنَّ هذا ليس فيه دلالة على وجود تلك الأناجيل في تلك الفترة وإطلاع هؤلاء الذين اقتبسوا تلك الجمل عليها إلَّا باحتمال ضعيف ، والاحتمال الأقوى هو أنَّ الجميع كانوا يأخذون من مصدر واحد كان متوفَّرًا ومثبوتًا في كتب عديدة أو أنَّ الروايات الشَّفوية كانت منتشرة يحفظ هذا منها قليلًا وذاك منها قليلًا ، وهذا أمر آخر غير ما يُدَّعى في الأناجيل .

وأهم ما ذكره من الملاحظات : هي قوله في « الملاحظة السابعة والثامنة »
ما يلي :

« ٧- أمّا جاستن الشهيد الذي كان سامريًا يونانيًا وتحوّل إلى المسيحية ودرس في روما واستشهد حوالي ١٦٥ م فيؤخذ من كتاباته أنّه قد عرف الأناجيل الأربعة مرتبطة معًا ، مع أنّه لم يكشف الثقب عمّن جمعها ولا في أيّ مكان جمعت ، وهو يصفها عندما يذكرها في دفاعه ضدّ الوثنيين بأنّها الذكريات ، ولكنه عندما كان يكتب للمسيحيين كان يقول عن الرّسل^(١) : هم أولئك الذين كتبوا ذكرياتهم عن كلّ الأشياء التي تختصّ يسوع المسيح المخلص . ثمّ يقول مرّة أخرى : الذكريات التي عملها الرّسل التي تُسمّى الأناجيل^(٢) .

٨- أمّا الشّاهد الأخير فهو « الديا طسرن » الذي كتبه تاتيان ، وأراد أن يجمع فيه الأناجيل الأربعة معًا ، في إنجيل واحد ، وقد أضاف تاتيان هذا بضعة كلمات للمسيح لم توجد في هذه الأناجيل ، ولكنها أُخذت من كتب أبو كريفية^(٣) أخرى ، وهو بذلك يشهد أنّ الأربعة الأناجيل وُجدت

(١) يلاحظ هنا : أن النصارى يستخدمون كلمة الرّسل معبرون بها عن دعاة النصارى الأوائل باعتبار أنّهم رسل ربهم المسيح أو رسل الرّوح القدس : فلاحظ هذا ولا يختلط عليك الأمر بالرّسل من قبل الله عزّ وجلّ .

(٢) هذا الشّاهد في الواقع لا قيمة له لأنّ جاستن لم ينصّ على اسم شيء من تلك الكتب وهي الأناجيل كما أنّ تلك الفترة التي يتحدث عنها كان يوجد لدى النصارى عشرات الأناجيل التي تُنسب إلى الحواريين وهم رفضوها فيما بعد ماعدا هذه الأناجيل الأربعة فإنّ احتمال أنّه يشير إلى غير هذه الأربعة المعروفة وارد وهو وارد قويّ .

(٣) أبوكريفية : أي غير قانونيّة ولا معترف بها . انظر : قاموس الكتاب المقدّس ص ١٨ .

معا ، ولكن إضافاته مجرد اقتباسات لا تدلُّ على أنه كان يعتبر أنَّ هناك كتباً أخرى تضارعها في سلطانها وقداستها» (١). (٢)

وبعد هذا النقل المطول عن أحد القسوس المتعمِّقين والمتخصِّصين في دراسات العهد الجديد ، ننقل كلام مجموعة من المتخصِّصين النَّصارى عن أناجيلهم وذلك في المدخل إلى العهد الجديد قالوا في التعريف بقانونية العهد الجديد ما يلي :

« إن كلمة قانون اليونانية مثل كلمة قاعدة في العربية قابلة لمعنى مجازيٍّ يُرادُّ به قاعدة للسلوك أو قاعدة للإيمان ، وقد استُعملت هنا للدلالة على جدول رسميٍّ للأسفار التي تعدها الكنيسة ملزمة للحياة والإيمان .

ولم تدرج هذه الكلمة بهذا المعنى (٣) في الأدب المسيحيِّ إلا منذ القرن الرابع ، كانت السلطة العليا في أمور الدِّين تتمثَّل عند مسيحي الجيل الأوَّل في مرجعين :

أولهما : العهد القديم ، وكان الكتبة المسيحيُّون الأوَّلون يستشهدون بجميع أجزائه على وجه التَّقريب استشهداهم بوحي الله .

وأما المرجع الآخر الذي نما نمواً سريعاً فقد أجمعوا على تسميته : أقوال الرَّبِّ (٤) :

(١) هنا تناقض القسيس في كلامه فهو قبلُ زعم أنَّه لا يعرف تاريخ اعتبار هذه الكتب قانونية وهو هنا يزعم أنَّ تاتيان يرى قداسة هذه الأناجيل الأربعة وأنَّ غيرها لا يضارعها في ذلك . وهذا تناقض واضح .

(٢) المدخل إلى العهد الجديد للدكتور القس فهميم عزيز من ص ١٤٦ - ١٥٢ ، إصدار / الثقافة المسيحية طبع مطبعة دار الجليل .

(٣) أي أنَّ الأناجيل الأربعة لم يكن معترفاً بها إلا في القرن الرابع الميلادي .

(٤) مرادهم بالرب هنا هو المسيح عليه السلام .

ولكن العهد القديم كان يتألف وحده من نصوص مكتوبة ، وأما أقوال الربّ وما كان يبشّر به الرّسل ، فقد تناقلتها ألسنة الحفّاظ^(١) مدّة طويلة ، ولم يشعر المسيحيون الأوّلون إلّا بعد وفاة آخر الرّسل بضرورة كلّ من : تدوين أهم ما علّمه الرّسل ، وتولّي حفظ ما كتبوه ..

ويبدو أنّ المسيحيين حتّى ما يقرب من السنة ١٥٠ م ، تدرّجوا من حيث لم يشعروا بالأمر إلّا قليلاً جدّاً إلى الشروع في إنشاء مجموعة جديدة من الأسفار المقدّسة ، وأغلب الظنّ أنّهم جمعوا في بدء أمرهم رسائل بولس واستعملوها في حياتهم الكنيسية ، ولم تكن غايتهم قط أن يؤلّفوا ملحقاً بالكتاب المقدّس بل كانوا يدعّون الأحداث توجّههم ، فقد كانت الوثائق البولسية مكتوبة افي حين إن التقليد الإنجيلي كان لا يزال في معظمه متناقلًا على ألسنة الحفّاظ . ولا يظهر شأن الأناجيل طوال هذه المدّة ظهورًا واضحًا كما يظهر شأن رسائل بولس .

أجل لم تخل مؤلّفات الكتبة المسيحيين الأقدمين من شواهد مأخوذة من الأناجيل أو تلمح إليها ، ولكنّه يكاد أن يكون من العسير في كلّ مرّة الجزم : هل الشواهد مأخوذة من نصوص مكتوبة كانت بين أيدي هؤلاء الكتبة ، أم هل اكتفوا باستذكار أجزاء من التقليد الشفهيّ .

ومهما يكن من أمر ، فليس هناك قبل السنة ١٤٠ م أي شهادة تُثبت أنّ النّاس عرفوا مجموعة من النّصوص الإنجيليّة المكتوبة ، ولا يذكر أنّ لمؤلّف من

(١) قولهم : « الحفّاظ » هنا كلمة فيها تجوّز شديد يتبيّن هذا من خلال النّظر فيما دَوّن وآلّه مليء بالأخطاء والاختلافات .

تلك المؤلفات صفة ما يلزم ، فلم يظهر إلا في النصف الثاني من القرن الثاني شهادات ازدادت وضوحاً على مر الزمن بأن هناك مجموعة من الأناجيل وأن بها صفة ما يلزم ، وقد جرى الاعتراف بتلك الصفة على نحو تدريجي .
 فيمكن القول إن الأناجيل الأربعة حظيت نحو السنة ١٧٠ م بمقام الأدب القانوني وإن لم تُستعمل تلك اللفظة حتى ذلك الحين .

لم يوضح (لم يستقر) الجدول الثام للمؤلفات العائدة إلى القانون إلا على نحو تدريجي وكُلما تحقق شيء من الاتفاق . فهكذا يجدر بالذكر ما جرى بين السنة ١٥٠ م والسنة ٢٠٠ م إذ حدد على نحو تدريجي أن سفر أعمال الرسل مؤلف قانوني وقد حصل شيء من الإجماع على رسالة يوحنا الأولى .
 ولكن ما زال هناك شيء من التردد في بعض الأمور : فإلى جانب مؤلفات فيها من الوضوح الباطني ما جعل الكنيسة تتقبلها تقبلها لما لا بد منه ، هناك عدد كبير من المؤلفات الحائرة يذكرها بعض الآباء ذكرهم لأسفار قانونية ، في حين أن غيرهم ينظر إليها نظرتة إلى مطالعة مفيدة ذلك شأن : الرسالة إلى العبرانيين ، ورسالة بطرس الثانية ، وكل من رسالة يعقوب ويهوذا .

وهناك أيضاً مؤلفات جرت العادة أن يُستشهد بها في ذلك الوقت على أنها من الكتاب المقدس ، ومن ثم جزء من القانون ، لم تبق زمناً على تلك الحال ، بل أُخرجت آخر الأمر من القانون ، ذلك ما جرى لمؤلف : هرماس ، وعنوانه الراعي ، وللديداكي ورسالة إكليمنضس الأولى ، ورسالة برنابا ، ورؤيا بطرس وكانت الرسالة إلى العبرانيين ، والرؤيا ، موضوع أشد المنازعات ، وقد أنكرت صحة نسبتها إلى الرسل إنكاراً شديداً مدة طويلة .

ولم تقبل من جهة أخرى إلا ببطء : رسالتا يوحنا الثانية والثالثة ورسالة بطرس الثانية ، ورسالة يهوذا .

ولا حاجة إلى أن نتبع تتبعاً مفصلاً جميع مراحل هذا التطور الذي أدى خلال القرن الرابع إلى تأليف قانون هو في مجمله القانون الذي نعرفه اليوم^(١). من خلال هذا البيان والنقل المطول عن النصارى أنفسهم في حديثهم عن كتبهم يتلخص لنا ما يلي :

١ - أن الله أنزل كتاباً على المسيح سمّاه الإنجيل ، ودعى المسيح عليه السلام الناس إلى الإيمان به وذكره الحواريون كما ذكره بولس في رسائله .

٢ - أن النصارى لا يعرفون شيئاً عن مصير هذا الإنجيل ولا أين ذهب .

٣ - أنه كانت هناك روايات شفوية يتناقلها الحواريون ودعاة النصارى الأوائل ويُعتقد أنها كانت المصدر الأساسي لأوجه الاتفاق بين الأناجيل .

ونحن نرى أن تلك الروايات الشفوية لا يبعد أن يكون الإنجيل الأصلي من ضمنها إلا أن النصارى لم يدونوه مجموعة واحدة ، كما أنهم لم يميزوه من غيره من الروايات ، مما جعله لا يُعرف ولا يستطيع أحد الجزم والاعتقاد بشيء من الخصوص أنها منه .

وهذا تصديق قول الله عز وجل : ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ [المائدة : ١٤] .

٤ - أن المتقدمين من النصارى لم يشيروا إلى الأناجيل الأربعة ولم يذكروها

(١) نقلاً عن كتاب « اختلافات في تراجم الكتاب المقدس » للواء أحمد عبد الوهاب ص ٧٨ - ٨١ .

البتة ، فبولس على كثرة رسائله لم يذكرها في رسائله أبدًا ، وكذلك سِفر أعمال الرسل الذي ذكر دعاة النَّصاري الأوائل لم يذكرها ، وهذا يدلُّ على أنَّ هذه الكتب لم تكن موجودة في ذلك الزَّمن وأنها أُلِّفَتْ وكتبت بعد ذلك .

٥ - أنَّ أوَّل ذكر صريح لمجموعة من الكتب المدوَّنة كان من طريق جاستن الذي قتل عام ١٦٥ م . وهذا لا يدلُّ صراحة على الأناجيل الأربعة نفسها ، وأوَّل محاولة للتَّعريف بها ونشرها كانت عن طريق تاتيان الذي جمع الأناجيل الأربعة في كتاب واحد سمَّاه (الدياطسرن) في الفترة من (١٦٦ - ١٧٠) م وهذا هو التَّاريخ الذي يمكن أن يُعزى إليه وجود هذه الكتب ، وهو تاريخ متأخِّر جدًّا عن وفاة من تُعزى إليهم هذه الكتب إذ كلهم ماتوا قبل نهاية القرن الأوَّل ممَّا يدلُّ على أنَّهم بُرِّءوا منها وأنها منحولة إليهم .

٦ - أنه حتَّى بعد هذا التَّاريخ وهو ١٧٠ م لم تكن الأناجيل الأربعة وحدها هي الموجودة ، بل كان هناك أناجيل كثيرة موجودة منتشرة ولم يكن لأيٍّ منها صفة الإلزام والقداسة ، ممَّا يجعلها عرضة للتَّحريف والتَّغيير وأنَّ ذلك استمرَّ أكثر من قرن ونصف أيضًا .

٧ - أنَّ النَّصاري لا يعرفون بالضُّبط تاريخ إعطاء هذه الكتب صفة الإلزام والقداسة ، ولَمَّا يرون أنَّها في خلال القرن الرَّابِع أخذت هذه الكتب الأربعة والرسائل الملحقة بها صفة القداسة بشكل متدرِّج يعني رويدًا رويدًا .

٨ - أنَّ النَّصاري لا يملكون السَّند لكتبهم ولا يعرفون مصدرها الحقيقي ولا تعدو أن تكون كتبًا وجدوها منحولة إلى أولئك النَّاس الذين نُسبت إليهم فنسبوها إليهم ، واعتقدوا ذلك بدون دليل ، وهذا أمر لا يمكن أن يُعطى

النفس البشرية القناعة المناسبة لما تُرَادُّ له هذه الكتب من تجنب سخط الله وبلوغ رضوانه .

٩ - أننا نعجب غاية العجب من زعم التصارى : أن هذه الكتب حقيقة وصادقة وتنقل بأمانة وإخلاص كلام المسيح وتروي أخباره^(١) كيف تجرؤوا على مثل هذا الكلام ، وكيف قبله أتباعهم مع أنهم لا يملكون الدليل على ذلك وكل دعوى غريت عن الدليل فهي باطلة .

قال عز وجل : ﴿ قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾ [الأنعام : ١٤٨] .

وكل من تحدث في دين الله بلا علم فهو ضال مضل .

قال عز وجل : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مُرِيدٍ ﴾ [الحج : ٣] .

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ * ثَانِي عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ [الحج : ٨ ، ٩] .

فلهذا سمى الله عز وجل ما عندهم من دين أهواء في قوله عز وجل لنبيه محمد عليه السلام : ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ

(١) يقول التصارى في المجمع المسكوني الثاني للفايكان المتعقد في الفترة من ١٩٦٢ - ١٩٦٥ م عن العهد الجديد ، (١٩ - الطابع التاريخي للأناجيل) : « وآمنت أمتا الكنيسة المقدسة وتؤمن بكل قوة وثبات أن الأناجيل الأربعة المذكورة تنقل إلينا بكل أمانة ما صنعه حقًا يسوع ابن الله من أعمال وما أعلنه من تعاليم أثناء حياته بين البشر إلى يوم صعوده إلى السماء » . الطبعة الثانية ١٩٧٩ م لوثائقي المجمع ص ٤١٣ . وانظر أيضًا القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم لموريس بوكاي ص ٧٨ .

قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنَّ آتِيعَتَ أَهْوَاءِهِمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ [البقرة : ١٢٠] .

ولكن العجب يذهب والدّهشة تزول إذا علمنا أن جميع أهل الضلال والنصارى منهم كان للآباء والكبراء والسادة الذين يسعون إلى المحافظة على مكاسبهم الدنيوية الدور الأكبر في إضلال العوام والدهماء الذين لا يستخدمون ما وهبهم الله من عقل وسمع وإدراك وإنما يتابعون وينقادون انقياد الأعمى ، وفي هذا يقول الله عز وجل : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَٰئِكَ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [المائدة : ١٠٤] .

وقال عز وجل : ﴿ يَوْمَ ثُفِّلَتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ * وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا * رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمُ لَعْنًا كَبِيرَا ﴾ [الأحزاب : ٦٥ - ٦٨] .

★ ★ ★ ★

٢. تاريخ الأناجيل الأربعة تفصيلًا

سبق الحديث عن الأناجيل الأربعة من ناحية السند إجمالاً بقي أن نبين هنا ما يتعلق بِكُلِّ إنجيل منها :

أولاً : إنجيل متى

هذا الإنجيل يجعله النُّصَارَى أوَّل كتبهم وهو أطولها إذ يحوي ثمانية وعشرين إصحاحًا .

ويزعم النُّصَارَى أنَّ « متى » الَّذِي يُنسَبُ الكتاب إليه هو أحد الحواريين وكان قبل اتباعه للمسيح عشارًا « جابي ضرائب » .

إلا أنَّ النُّصَارَى لا يستطيعون الإتيان بدليل يدلُّ على نسبة هذا الكتاب إلى متى الحواري ، وأقدم من يعتمدون على قوله في نسبة الكتاب إلى متى هو أحد كتابهم ، ويُسمَّى « يوسابيوس » في كتابه تاريخ الكنيسة حيث نسب هذا الكاتب إلى شخص يُدعى « بايلاس » الَّذِي كان أسقفًا لـ « هيرا بوليس » سنة (١٣٠ م) أنه قال : « إنَّ متى كتب الأقوال باللغة العبرانية »^(١) .

وهذا القول في الواقع ولدى جميع العقلاء لا يمكن أن يُعتمدَ عليه في إثبات صحَّة نسبة الكتاب إلى « متى » الحواري ؛ وذلك لأنَّ « بايلاس » المذكور هنا لم يكن سَمِعَ تلك التعاليم وتلك الكُتُب من أصحابها بل كان يسمعها بواسطة .

حيث يقول عن نفسه فيما ذكرَ عنه « يوسابيوس » : « وكُلَّمَا أتى واحدٌ مِنَّنا كان يتبع المشايخ سألته عن أقوالهم لأنني لا أعتقد أنَّ ما تحصل

(١) انظر : كتاب تاريخ الكنيسة لجون لوريير (١٥٢ / ١) ، وكتاب المدخل إلى العهد الجديد ص ٢٤٣ .

عليه من الكتب يفيد بقدر ما يَصِلُ من الصَّوْتِ الحيِّ»^(١).

فهو هنا لا يتحرَّى في الثَّقَل ، ومَّا لا شَكَّ فيه أنَّ هؤلاء الوسائط لا بُدَّ أن تثبَّت عدالتهم وإلا فلا يُعْتَدُّ بما يروونه ويقولونه .

كما أنَّ « بايياس » نفسه طعن فيه يوسابيوس القيصري حيث قال عنه وعن رواياته : « وَيُدَوِّنُ نَفْسَ الْكَاتِبِ رَوَايَاتٍ أُخْرَى يَقُولُ إِنَّهَا وَصَلَتْهُ مِنَ التَّقْلِيدِ غَيْرِ الْمَكْتُوبِ ، وَأَمْثَالًا وَتَعَالِيمَ غَرِيبَةٍ لِلْمَخْلُصِ وَأُمُورًا خُرَافِيَّةً .. » .

ثم قال عنه وعن آرائه : « وَأَظُنُّ أَنَّهُ وَصَلَ إِلَى هَذِهِ الْآرَاءِ بِسَبَبِ إِسَاءَةِ فَهْمِهِ لِلْكَتَابَاتِ الرَّسُولِيَّةِ ، غَيْرِ مَدْرِكٍ أَنَّ أَقْوَالَهُمْ كَانَتْ مَجَازِيَّةً ، إِذْ يَدُوُّ أَنَّهُ كَانَ مَحْدُودَ الْإِدْرَاكِ جَدًّا كَمَا يَتَبَيَّنُ مِنْ أَبْحَاثِهِ وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ السَّبَبُ فِي أَنَّ كَثِيرِينَ مِنْ آبَاءِ الْكَنِيسَةِ مِنْ بَعْدِهِ اعْتَقَقُوا نَفْسَ الْآرَاءِ مُسْتَنْدِينَ فِي ذَلِكَ عَلَى أَقْدَمِيَّةِ الزَّمَنِ الَّذِي عَاشَ فِيهِ »^(٢).

فهذه طريقة « بايياس » في الثَّقَل حيث ينقل عن كُلِّ مَنْ سَمِعَ أَنَّهُ سَمِعَ مِنَ الْمَشَايخُ بَدُونِ تَحَرٍُّ لِمَقْدَرَةِ التَّلْمِيزِ عَلَى الْحِفْظِ وَالضَّبْطِ لِلرَّوَايَاتِ وَالْعَدَالَةِ وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِنْ شُرُوطِ صِحَّةِ الْخَبَرِ ، كَمَا أَنَّ بَايِيَّاسَ نَفْسَهُ ضَعِيفُ التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْأَقْوَالِ مَحْدُودِ الْإِدْرَاكِ جَدًّا .

فكيف تعتبر أقوال من هذا حاله في أخطر قضية ، وهي الشهادة لكتاب بأنه كَلَامُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ؟

كما أنَّ في المقابل هناك عدَّةُ أدلَّةٍ تدلُّ عل عدم صِحَّةِ نسبته إلى « مَتَّى »

(١) تاريخ الكنيسة - يوسابيوس القيصري ص ١٧٥ .

(٢) تاريخ الكنيسة ١٧٧ .

الحواري ، وهي :

١- أنَّ النصاري لم ينقلوه بالسند وقول بايياس السابق لم يعيّن فيه من هو متى هل هو الحواريّ أم رجل آخر كما أنّه لم يعين الكتاب .
بل قال : « الأقوال » .

وأيضًا فقد ذكر أمرًا آخر ، يختلف تمامًا عمّا عليه إنجيل متى الموجود ، وهو أنّه قال أنّه كتبه باللغة العبرانيّة ، مع أنّ النصاريّ يُجمِعُونَ على أنّ الكتاب المعروف هو باللغة اليونانيّة ولا يعرفون للكتاب نُسخةً عبرانيّةً ، بل الكثير منهم يَؤيُّ أنّ الكتاب يظهر من لغته أنّه أوّل ما كتب إنّما كُتِبَ باللغة اليونانيّة وليس العبرانيّة^(١) فهذا يدلُّ على أنّ قول بايياس ، لا ينطبق على إنجيل متى الموجود بين يدي النصاريّ . كما أنّ هناك استفسارًا آخر في حالة أن يكون الإنجيل مترجمًا من اللغة العبرانيّة إلى اللغة اليونانيّة ، وهو من هو مترجمه ؟ وهذا أمرٌ مهمٌّ ، لأنّه ما لم يعلم دين المترجم ، وصدقه ، وضبطه ، وقوّة معرفته باللغتين لا يمكن أن يُعتمد على ترجمته .

٢- أنّ الدّارسين لهذا الكتاب والباحثين من النصاريّ وغيرهم يَرون أنّ كاتب هذا الإنجيل اعتمد كثيرًا على إنجيل مرقص ، ومرقص في كلام النصاريّ تلميذ لبطرس ، فهل من المعقول أن يعتمد أحد كبار الحواريّين على تلميذ من تلاميذهم في الأمور التي هم شاهدوها وعايروها وعاشوها أحداثها .
هذا يدلُّ على أنّ كاتبه غير متى الحواريّ وأنّ دعوى النصاريّ أنّ كاتب الإنجيل هو متى الحواريّ دعوى عارية عن الدّليل وهي من باب الظنّ والتّخمين

(١) المدخل إلى العهد الجديد ص ٢٤٣ .

الذي لا يعني من الحق شيئاً .

ثانياً : إنجيل مرقس

هذا الإنجيل الثاني في ترتيب الأناجيل لدى النصارى وهو أقصرها إذ أنه يحوى ستة عشر إصحاحاً فقط .

أما كاتب الإنجيل فهو في زعم النصارى رجُلٌ من أتباع الحواريين والمعلومات عنه قليلة جداً وغامضة ولا تتضح شخصيته وضوحاً يُطمئن النفس ، إذ أن كل ما ورد عنه الإشارة إلى أن اسمه يوحنا ويلقبُ مرقص ، وأنه صاحب بولس وبرنابا في دعوتهما ، ثم افترقا عنهما ، ثم ذكر بولس في رسائله اسم مرقص ذكراً مقتضياً لا يُعطي غناءً في التعريف به .

وورد ذكر اسمه مع بطرس حيث يقول عنه : « تسلم عليكم التي في بابل المختارة معكم ومرقص ابني »^(١) .

فهذه المعلومات تجعل الرجل في عداد المجهولين إذ أنها لم تُعطِ تعريفاً بدينه وعلمه ، وأمانته ، ونحو ذلك مما يجب توافر معرفته فيمن يكون واسطة لكتاب مقدس .

أما الكتاب وهو الإنجيل فأقدم المعلومات التي عزته إلى من يُسمى مرقص ما نقله « يوسابيوس » في تاريخه الكنسي عن « بايلاس » أنه قال : « ولقد قال الشيخ أيضاً إن مرقص الذي صار مفسراً لبطرس قد كتب بكل دقة كل ما تذكره من أقوال وأعمال الرب ، ولكن ليس بالترتيب لأنه لم يسمع الرب ولم يتبعه ولكن كما قلت قبلاً عن بطرس الذي ذكر من تعاليم السيد ما يوافق

(١) رسالة بطرس الأولى ٥ / ١٢ .

حاجة السامعين ، بدون أن يهدف إلى كتابة كل ما قاله الرب وعمله ، وهكذا فصل مرقس أنه لم يعمل خطأً واحداً في كل ما ذكره وكتبه ... »^(١).

هذه أقدم شهادة لدى النصارى عن الكتاب والكاتب فهي شهادة مطعون فيه^(٢) لمجهول الحال لأمر مجمل ، حيث ذكر أنه كتب ما تذكر ، ولم يفصل في المكتوب ما هو فهل تكفي هذه الشهادة في إثبات كتاب يزعم أنه الوسيلة إلى رضوان الله ؟

ثالثاً : إنجيل لوقا

هذا الإنجيل الثالث في ترتيب النصارى لكتابهم ، ويحوي أربعة وعشرين إصحاحاً . وكاتب الإنجيل في زعم النصارى هو أحد الوثنيين الذين آمنوا بالمسيح بعد رفعه وكان رفيقاً لبولس (شاؤول اليهودى) حيث ذكره بولس في ثلاث مواضع من رسائله واصفاً له بأنه رفيقه^(٣) .

ولا يوجد لدى النصارى معلومات عنه سوى أنه أممي رافق بولس في بعض تنقلاته حيث ورد اسمه في تلك الرحلات .

فهو بهذا يُعتَبَرُ شخصيةً مجهولة وغير معروفة ولا متميزة بعدالة وديانة ، ومع هذا أيضاً لا يوجد لدى النصارى دليل يُعْتَمَدُ عليه في صحة نسبة الكتاب إليه ولندرة المعلومات التي تُوثَّقُ نسبة الكتاب إلى لوقا المذكور نجد النصارى يستشهدون بكلام مجهول حيث يقول القس د . فهيم عزيز في كتابه المدخل

(١) انظر : كتاب المدخل إلى العهد الجديد ص ٢١٨ .

(٢) انظر ما سبق من كلام يوسابيوس عن بايلاس ص ١٥٢ .

(٣) انظر : رسالة بولس إلى كولويسي (٤ / ١٤) ، ورسالته الثانية إلى تيموثاوس (٤ / ١١) ،

ورسالته إلى فليمون (٢٤) .

إلى العهد الجديد في استدلاله على صحة نسبه الكتاب إلى لوقا ما يلي :

« هناك مقدمة كُتِبَتْ لإنجيل لوقا فيما « بين » (١٦٠ - ١٨٠ م) ، اسمها « ضد مارسيون » فيها :

يقول الكاتب عن لوقا : « إنَّه من أنطاكية في سوريا مهنته طبيب وكان أعزباً بدون زوجة مات وهو في سن ٨٤ في بوتييه ممثلاً بروح القدس وقد كتب إنجيله كُلُّه في المناطق التي تحيط بأخائيه لكي يفسر للأمم القصة الصحيحة للعهد الجديد الإلهي ... » .

ثم يقول صاحب الكتاب : « هذه مقتطفات عن هذه الشهادة ، التي لا يُعرف كاتبها وقد قبلها كثير من العلماء لأنهم لم يجدوا من أتباع مارسيون^(١) من يُكذِّبها ممَّا يدلُّ على أنها تقليد كنسي قوي »^(٢) .

بمثل هذه الشهادة المجهولة يثبت النصارى صحة كتابهم إلى هذا الرجل المجهول لوقا ، وهي لا شك شهادة لا تغني ولا تُسمن من جوع ، ويدلُّ استدلالهم بها على أنهم لا يملكون أدلة على صحة نسبة الكتاب فتيين لنا من هذا أن النصارى حين يزعمون أن إنجيل لوقا كتاب صحيح وصادق فإن ذلك مجرد دعوى عارية عن الدليل .

رابعاً : إنجيل يوحنا

هذا الإنجيل الرابع في العهد الجديد وهو إنجيل متميز عن الأناجيل الثلاثة قبله إذ تلك متشابهة إلى حد كبير ، أمَّا هذا فيختلف عنها بأنه ركز على قضية

(١) مارسيون هو أحد الخارجين على الكنيسة .

(٢) المدخل إلى العهد الجديد ص ٢٧٢ .

واحدة وهي : إبراز دعوى ألوهية المسيح وبنوته لله (تعالى الله عن قولهم)
بنظرة فلسفية لا تخفى على الناظر في الكتاب لهذا يعتبر الكتاب الوحيد من
بين الأناجيل الذي صرح بهذا الأمر تصريحاً واضحاً .

وإذا بحثنا في صحة نسبة الكتاب إلى يوحنا الحواري الذي يزعم النصاري
أن الكتاب من تصنيفه فنجد الكتاب أقل الكتب نصيباً من الصحة ، لعدة أدلة
أبرزها منكر نسبة الكتاب إلى يوحنا الحواري وهي :

١ - أن بوليكاربوس الذي يُقال إنه تلميذ ليوحنا لم يشر إلى هذا الإنجيل عن
شيخه يوحنا ، مما يدل على أنه لا يعرفه وأن نسبته إلى شيخه غير صحيحة .

٢ - أن الكتاب مملوء بالمصطلحات الفلسفية اليونانية التي تدل على أن لكاثيه
إلماماً بالفلسفة اليونانية ، أمّا يوحنا الحواري كما يذكر النصاري فقد كان
يمتحن الصيد مما يدل على أنه بعيد عن الفلسفة ومصطلحاتها .

٣ - أن كتاب النصاري الأوائل لم ينسبوا هذا الإنجيل إلى يوحنا الحواري وأن
يوسابيوس الذي كان يسأل بايياس عن هذه الأمور يقول : « الواضح أن
بايياس يذكر اثنين اسمهما يوحنا : الأول الرسول وقد مات والثاني الشيخ وهو
حي . ويلوح أنه هو الذي كتب الإنجيل » .

فلهذا يقول صاحب كتاب « المدخل إلى العهد الجديد » بناءً على ذلك إن
الكنيسة كانت بطيئة في قبولها لهذا الإنجيل^(١) .

ولهذا منذ نهاية القرن التاسع عشر ظهر الاعتراض على نسبة هذا الإنجيل إلى
يوحنا الحواري بشكل واسع ووصفته دائرة المعارف الفرنسية بأنه إنجيل مزور

(١) المدخل إلى العهد الجديد ص ٥٥١ .

وهذه الدائرة اشترك في تأليفها خمسمائة من علماء النصارى ونص كلامهم :
 أمّا إنجيل يوحنا فإنه لا مزية ولا شك ككتاب مزور أراد صاحبه مضادة اثنين من
 الحوارين بعضهما لبعض وهما القديسان يوحنا ومتى ، وقد ادعى هذا الكاتب
 المزور في متن الكتاب أنه الحوار الذي يحبه المسيح ، فأخذت الكنيسة هذه
 الجملة على علاقتها ، وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحوارى ، ووضعت اسمه
 على الكتاب نصاً مع أن صاحبه غير يوحنا يقيناً ، ولا يخرج هذا الكتاب عن
 كونه مثل بعض كتب التوراة التي لا رابطة بينها وبين من نسبت إليه وإننا
 لنألف ونشفق على الذين يبدلون منتهى جهودهم ليربطوا ولو بأوهى رابطة
 ذلك الرجل الفلسفى الذى ألف هذا الكتاب في الجيل الثانى بالحوارى يوحنا
 الصياد الجليلي ، فإن أعمالهم تضيع عليهم شدى لخطهم على غير هدى» (١).



(١) نقلاً عن كتاب دراسات في الكتاب المقدس . د . محمود علي حمايه ص ٦٤ .

٣. الأناجيل الأربعة متنا

إن الكتب المقدسة كتب معصومة عن الخطأ محفوظة من الخلل والزلل لأن المفروض فيها أن تكون من قبل رب العالمين الذي يعلم السر وأخفى وهو الحق لا يصدر منه إلا الحق جلّ وعلا .

والنصارى يسندون كتبهم إلى الله عزّ وجلّ عن طريق الإلهام إلى كتّابها^(١). والدّارس لهذه الكتب يستطيع أن يتبين صدق هذه الدّعى من كذبها ، إذ أن الحق لا خفاء فيه .

وقد سبق أن ذكرنا نبذة عن هذه الكتب من ناحية السند ، فتبين أن النصارى ليس عندهم دليل يثبت صحة نسبة كتبهم إلى أولئك النّاس الذين نُسبت إليهم ، ممّا يدلّ على أنّها كتب مزوّرة وغير صحيحة ، وممّا يؤكّد تزويرها وعدم صحتها الاختلافات بينها ، وكذلك الأغلاط العديدة فيها وسنضرب لذلك أمثلة :

(١) انظر :- الكتاب المقدّس هل هو كلمة الله . للقس عبد المسيح ص ٢٢ .

أولاً : الاختلافات

إذا قارنا بين الأناجيل الأربعة نجد بينها اختلافات جوهرية تدلُّ على خطأ كتابها وأنهم غير معصومين ولا ملهمين فمن ذلك :

١ - شجرة نسب المسيح عليه السلام .

إنَّ ممَّا يدهش له الإنسان أشدَّ الدهش أنَّ النَّصارى لم يضبطوا نسب المسيح عليه السلام ولم يتَّفَقوا عليه فأعطاه كلاً من صاحب إنجيل متى وصاحب إنجيل لوقا نسباً مختلفاً وإليك جدولاً بذلك يوضح الفرق بينهما :

إنجيل متى	إنجيل متى	إنجيل لوقا	إنجيل لوقا	إنجيل لوقا	إنجيل لوقا
المسيح ابن	١٤ - يوشيا	المسيح ابن	١٤ - متاثيا	٢٨ - يوسى	٤٢ - داود
١ - يوسف	١٥ - آمون	١ - يوسف	١٥ - شمعي	٣٩ - اليعازر	
٢ - يعقوب	١٦ - منسى	٢ - هالي	١٦ - يوسف	٣٠ - يوريم	
٣ - مثنان	١٧ - حزقيا	٣ - مثناب	١٧ - يهوذا	٣١ - مثنان	
٤ - اليعازر	١٨ - أحاز	٤ - لاوي	١٨ - يوحنا	٣٢ - لاوي	
٥ - أليود	١٩ - يوثام	٥ - ملكى	١٩ - ريسا	٣٣ - شمعون	
٦ - أعيم	٢٠ - عزيا	٦ - ينا	٢٠ - زربابل	٣٤ - يهوذا	
٧ - صادق	٢١ - يورام	٧ - يوسف	٢١ - شألتيل	٣٥ - يوسف	
٨ - عازور	٢٢ - يهوشافاط	٨ - متاثيا	٢٢ - نيري	٣٦ - يونان	
٩ - الياقيم	٢٣ - أسا	٩ - عاموص	٢٣ - ملكى	٣٧ - الياقيم	
١٠ - ابيهود	٢٤ - أبيا	١٠ - ناحوم	٢٤ - أدي	٣٨ - مليا	
١١ - زربابل	٢٥ - رحبعام	١١ - حسلي	٢٥ - قصم	٣٩ - ميثان	
١٢ - شألتيل	٢٦ - سليمان	١٢ - نجاي	٢٦ - المودام	٤٠ - متاثا	
١٣ - يكنيا	٢٧ - داود	١٣ - ماث	٢٧ - عير	٤١ - ناثان	

ففي هذا النسب فوارق وأغلاط عديدة وهي :

١ - أنَّ متى نسب المسيح إلى يوسف بن يعقوب ، وجعله في النهاية من نسل سليمان بن داود عليهما السلام .

أمَّا لوقا فنسبه إلى يوسف بن هالي ، وجعله في النهاية من نسل ناثان بن داود عليه السلام .

٢ - أنَّ متى جعل آباء المسيح إلى داود عليه السلام سبعة وعشرين أبًا أمَّا لوقا فجعلهم اثنين وأربعين أبًا ، وهذا فارق شديد بينهما يدلُّ على خطأهما أو خطأ أحدهما قطعًا .

والنصارى يدَّعون أنَّ أحد الإنجيليين كتب نسب مريم ، والآخر كتب نسب يوسف . وهذا كلام باطل .

إذ أنَّ صاحب « إنجيل متى » (١ / ١٦) يقول : « ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التي ولد منها يسوع الذي يدعى المسيح » .

أمَّا « إنجيل لوقا » (٣ / ٢٣) فيقول : « ولما ابتداء يسوع كان له نحو ثلاثين سنة ، وهو على ما كان يظن ابن يوسف بن هالي » .

فكلاهما صرَّح بنسب يوسف .

أمَّا الأغلاط في هذا النسب فعديدة منها :

١ - أنَّ نسبة المسيح عيسى عليه السلام إلى يوسف خطيب مريم في كلامهم خطأ فاحش ، وفيه تصديق لطعن اليهود في نسب المسيح عليه السلام ، وكان الواجب على النصارى أن ينسبوه إلى أمِّه مريم لا إلى رجل أجنبي عنه .

٢ - أَنَّ صاحب إنجيل متى أسقط أربعة آباء من سلسلة النُسب ثلاثة منهم على التوالي بين « عزيا ويورام » ، حيث النُسب كما هو في أخبار الأيام الأول (٣ / ١١ - ١٣) « عزريا بن أمصيا بن يواش بن أخزيا بن يورام » كما أسقط واحدًا بين « يكنيا ويوشيا » وهو « يهوياقيم » وسبب إسقاط اسم يهوياقيم بين يوشيا و يكنيا هو أن « يهوياقيم » هذا ملك على يهوذا بعد أبيه ، ولكنه كان وثنيًا عابدًا للأوثان فكتب له إرميا يحذره من صنعه ، ويبين له مغيبته أفعاله ، فأحرق « يهوياقيم » الكتاب ولم يرجع عن غيئه .

لهذا قال له إرميا حسب كلامهم : « لذلك هكذا قال الرب عن يهوياقيم ملك يهوذا لا يكون له جالس على كرسي داود وتكون جسده مطروحةً للحرّ نهارًا وللبرد ليلاً » « سفر إرميا » (٣٦ / ٣٠) .

ومعنى هذا الكلام أنه لا يكون من نسله ملك ، فأسقطه « متى » لسبب في نفسه . وعلل صاحب تفسير العهد الجديد ذلك التصرّف بأن « متى » أراد أن يجعل كُلَّ مجموعةٍ من النُسب تحوي أربعة عشر اسمًا^(١) .

ونحن نقول إذا كانت هذه العلة التي لا معنى لها من أجلها حذف أربعة آباء من نسب المسيح ، فذلك يعني أن كاتب الكتاب يكتب لخدمة أهداف في نفسه وأنه لا يكتب ما علم وسمع مجردًا من الهوى والآراء الخاصة ، ومن هنا يمكن أن ندرك كيفية تعامل النصارى الأوائل مع المعلومات الواردة إليهم وأنهم يصوغونها وفق ما يرون ويعتقدون .

ولنا أن نبحث هنا عن السبب ، في هذا الخطأ الفاحش والاختلاف في

(١) تفسير العهد الجديد ص ٣ .

النسب فنقول :

إنَّ سبب خطأ النَّصارى في نسب المسيح أنَّهم نسبوه إلى رجل مغمور غير مشهور وهو « يوسف النَّجَّار » خطيب مريم في زعمهم لهذا أخطأوا في نسبه فأعطاه « متى » نسباً مُلوَكِيًا ، وأعطاه « لوقا » نسباً آخر غير معروف ولا معلوم^(١) . ولكن لماذا أعرض كتاب النَّصارى عن مريم ولم يعطوه نسبها فيجعلوه كما هو الحقُّ عيسى بن مريم بنت عمران ... ؟

السَّبب في هذا ظاهر وهو : أنَّ مريم بنت عمران امرأة عابدة مشهورة تربَّت في بيت النَّبِيِّ زكريا عليه السَّلام الَّذي هو زوج اليصابات خالة مريم ، وهي من نسل هارون عليه السَّلام فتكون مريم من نفس السَّبَط وهو سبط لاوي بن يعقوب عليه السَّلام .

وذلك أنَّ تشريع اليهود ، كما ورد في « سِفْر العدد » (٣٦ / ٦ - ٩) يأمرهم أن تتزوَّج المرأة من سبطها ، ولا تتزوَّج من سبط آخر حتَّى تستمر الأموال في نفس السَّبَط ، ولا تنتقل إلى أسباط أخرى بواسطة الميراث .

فلهذا تكون مريم من سبط زكريا عليه السَّلام ومن سبط زوجته ، وكذلك خطيبها المزعوم يكون من نفس السَّبَط ، وهو سبط لاوي الَّذي منه هارون عليه السَّلام ، وهذا هو الحقُّ الَّذي لا يُشَكُّ فيه لقول الله عزَّ وجلَّ عن مريم : ﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ ﴾ [مريم : ٢٨] .

قال السدي : قيل لها (يا أخت هارون) أي أخي موسى لأنَّها من نسله

(١) يذكر الشيخ رحمة الله الهندي إنَّ اختلاف النَّسب بين لوقا ومتى دليل على أنَّ إنجيل متى لم يكن معروفاً لدى لوقا وما أطلع عليه ولأما خالفه هذه المخالفة الشَّديدة . إظهار الحق (١ / ١٩٧) .

كما يُقَالُ لِلتَّيْمِيِّ : يا أخا تيميم وللْمُضَرِّيِّ : يا أخا مضر^(١) .

وهذا ما أزعج النَّصَارَى وكتاب الأناجيل الأوائل فأعطوه ذلك النَّسَبَ المخترع إلى داود عليه السَّلام ، لأنَّ المسيح كما يزعم اليهود لا بد أن يكون من نسل داود عليه السَّلام . وصدقهم النَّصَارَى في هذا الافتراء ، فاخترعوا له هذا النَّسَبَ إلى داود عليه السَّلام حتَّى يكون مسيحًا . والله أعلم .

□ من الاختلافات بين الأناجيل أيضًا :

٢- ذكر « إنجيل متى » (١١ / ١٣) من كلام المسيح عن يوحنا المعمدان (يحيى عليه السَّلام) قوله : « لَأَنَّ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ وَالنَّامُوسِ إِلَى يُوْحَنَّا تَبَيَّنُوا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَقْبَلُوا فَهَذَا إِيْلِيَا الْمَزْمَعُ أَنْ يَأْتِيَ مِنْ لَهُ أُذُنَانِ لِلْسَّمْعِ فَلْيَسْمَعْ » .

كما ورد في « إنجيل متى » أيضًا (١٧ / ١) ، أَنَّهُمْ سَأَلُوا الْمَسِيحَ : « وَسَأَلَهُ تَلَامِيذُهُ قَائِلِينَ : فَلَمَّاذَا يَقُولُ الْكِتَبَةُ إِنَّ إِيْلِيَا يَنْبَغِي أَنْ يَأْتِيَ أَوَّلًا فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ : إِنَّ إِيْلِيَا يَأْتِي أَوَّلًا وَيُرَدُّ كُلُّ شَيْءٍ ، وَلَكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ إِيْلِيَا قَدْ جَاءَ وَلَمْ يَعْرِفُوهُ بَلْ عَمَلُوا بِهِ كُلُّ مَا أَرَادُوا ، كَذَلِكَ ابْنُ الْإِنْسَانِ أَيْضًا سَوْفَ يَتَأَلَّمُ مِنْهُمْ ، حِينَئِذٍ فَهَمَّ التَّلَامِيذُ أَنَّهُ قَالَ لَهُمْ عَنْ يُوْحَنَّا الْمَعْمَدَانِ » .

فَالْمَسِيحُ هُنَا يَبَيِّنُ أَنَّ يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلامُ هُوَ إِيْلِيَا .

(١) تفسير ابن كثير (٣ / ١١٢) ولا يعكُرُ على هذا التفسير ما روى المغيرة بن شعبة أَنَّهُ قَالَ : بعثني رسول الله ﷺ إلى نجران فقالوا : « أَرَأَيْتَ مَا تَقْرَءُونَ » يا أخت هارون ﴿ وَمُوسَى قَبْلَ عِيسَى بِكَذَا وَكَذَا ؟ قَالَ : فَجَمَعْتُ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : « أَلَا أَخْبَرْتَهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ » . أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٣ / ٦٨٥) فهذا لا ينفي ما ذكر من المعنى السابق لأنَّ النَّبِيَّ ﷺ إِنَّمَا يَبَيِّنُ أَنَّ لَفْظَ الْأَخَوَةِ فِي الْآيَةِ لَيْسَتْ أَخَوَةُ النَّسَبِ بَعْنَى أَنْ تَكُونَ هِيَ وَإِنَّمَا خَرَجَا مِنْ بَطْنٍ وَاحِدٍ ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ التَّشْبِيهِ بِهِ ، أَوْ بغيره فِي الصَّلَاحِ .

ويخالف هذا قول « يوحنا » في إنجيله (١ / ١٩) حين جاء اليهود يسألون يحيى عن نفسه حيث قال : « أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه من أنت ، فاعترف ولم ينكر وأقر أنني لست أنا المسيح فسألوه من أنت ، إيليا أنت ؟ فقال : لست أنا . النبي أنت ؟ فأجاب : لا . فقالوا له من أنت لتعطي جوابًا للذين أرسلونا ، ماذا تقول عن نفسك . قال : أنا صوت صرخ في البرية قوموا طريق الرب كما قال أشعيا النبي » .

فهنا أنكر يحيى عليه السلام أن يكون هو إيليا وهذا تناقض واضح .

٣ - أن « متى » ذكر في إنجيله (٢٠ / ٢٩ - ٣٤) أن عيسى عليه السلام لما خرج من « أريحا » قابله أعميان فطلبوا منه أن يشفيهما من العمى فلمس عيونهما فشفيًا .

وقد ذكر هذه القصة « مرقس » في (١٠ / ٤٦ - ٥٢) وبين أن بارينماوس الأعمى بن نيمائوس هو الذي طلب ذلك فقط .

٤ - أن « مرقس » ذكر في (٦ / ٨) أن عيسى عليه السلام أوصى حواريه حين أرسلهم للدعوة في القرى بأن لا يحملوا شيئًا للطريق غير عصا فقط لا مزودًا ، ولا خبزًا ، ولا نحاسًا .

وذكر ذلك « لوقا » في (٩ / ٣) إلا أنه قال : « إن عيسى أوصاهم وقال لهم (لا تحملوا شيئًا للطريق لا عصا ولا مزودًا ولا خبزًا ولا فضة) . ففي الأول : أجاز لهم حمل العصا ، والثاني : ذكر أنه نهاهم عن حمل العصا أيضًا .

٥ - أن « إنجيل متى » ذكر فيه في (١٥ / ٢١) أن المرأة التي طلبت من

المسيح شفاء ابنتها كانت كنعانية .

❖ وذكر القصة « مرقص » في إنجيله (٧ / ٢٤) ، ونصّ عبارته عن جنس المرأة : « وكانت المرأة أعمية وفي جنسها فينيقية سورية »^(١) .

٦ - أن « إنجيل متى » ذكر أسماء تلاميذ عيسى الاثني عشر .

❖ فقال (١٠ / ٢) : « وأما أسماء الاثني عشر رسولاً فهي هذه : الأول سمعان الذي يُقال له بطرس ، واندراوس أخوه ، يعقوب بن زبدي ويوحنا أخوه ، فيلبس ، وبرتولماوس ، توما ، ومثي العشار ، يعقوب بن حلفي ، ولباوس الملقب تدانوس ، سمعان القانوني ، ويهوذا الاسخريوطي الذي أسلمه » .
ويذكر « مرقص » في (٣ / ١٦) الأسماء ويتفق فيها مع متى ويختلف ذلك عمّا ذكره لوقا حيث يحذف من قائمة متى (لبانوس الملقب تدانوس) ويضع بدلاً عنه يهوذا أخا يعقوب .

٧ - اختلافهم في الذين حضروا لمشاهدة قبر المسيح بعد دفنه المزعوم .

❖ حيث يقول « متى » (٢٨ / ١) : « وبعد السبت عند فجر أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية ومريم أخرى لتنتظرا القبر » .

❖ وفي « إنجيل مرقس » (١٦ / ١) يقول : « بعدما مضى السبت اشترت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة حنوطاً ليأتين ويدهنه ، وباكرًا جدًا في أول الأسبوع أتتا إلى القبر إذ طلعت الشمس » .

❖ وفي « إنجيل لوقا » (٢٤ / ١) يقول : « ثم في أول الأسبوع أول

(١) هكذا في طبعة ١٩٨٢ دار الكتاب المقدس في القاهرة ، أما طبعة دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ١٩٩٢ م فنصّ العبارة فيها هكذا : « وكانت المرأة يونانية جنسها من فينيقية سورية » .

الفجر أتين إلى القبر حاملات الحنوط الذي أعدده ومعهن أناس .
 في « إنجيل يوحنا » (١ / ٢٠) يقول : « وفي أوّل الأسبوع جاءت مريم
 المجدلية إلى القبر باكراً والظلام باقي فنظرت الحجر مرفوعاً عن القبر » .
 فهذه الاختلافات وغيرها كثير^(١) ذكره علماء الإسلام وغيرهم تدلُّ دلالة
 واضحة على أن الكتاب صنعة بشرية .



(١) ذكر الشيخ رحمة الله الهندي : تسعة وسبعين اختلافاً بين الأناجيل فمن أراد الاستزادة فليراجعها
 في : إظهار الحق (١ / ١٨٧ - ١٤٦) ، وانظر : المسيح في مصادر العقائد المسيحية للمتهندس /
 أحمد عبد الوهاب ص ٧٨ وما بعدها .

ثانيًا : الأغلاط في الأناجيل

كما بين الأناجيل اختلافات توجدُ بها أغلاط وأخطاء كثيرة أيضًا نذكر منها :
 ١- قال « متى » في إنجيله (٣ / ١) مستدلًا للمسيح وولادته من مريم بنبوءة سابقة جاءت على لسان أشعيا (وهذا كله كان لكي يتم ما قيل من الربّ بالنبيّ القائل :
 « هوذا العذراء تحبل وتلد ابنًا ويدعون اسمه « عما نوئيل » الذي تفسیره الله معنا ») .

وهذا غلط لأنّ هذا اللفظ الذي ورد على لسان أشعيا لا ينطبق على المسيح فإنّ له قصّة تدلّ على المراد به وهي :

أنّ « رصين » ملك آرام ، « وفقح بن رمليا » ملك إسرائيل ، اتّفقا على محاربة آحاز بن يوثان ملك يهوذا ، فخاف منهما خوفًا شديدًا فأوحى الله إلى النبيّ أشعيا أن يقول لآحاز : بأن لا يخاف ، لأنّهما لا يستطيعان أن يفعلّا به ما أرادا وأنّ ملكهما سيزول أيضًا ، ويبيّن له أشعيا آيةً لخراب ملكهما وزواله ، أنّ امرأة شابةً تحبل وتلد ابنًا يُسمّى « عما نوئيل » فتصبح أرض هذين الملكين خرابًا قبل أن يميّز هذا الابن بين الخير والشرّ .

ونصّ كلامه : « ها العذراء تحبل وتلد ابنًا وتدعو اسمه « عما نوئيل » زبدًا وعسلًا يأكل متى عرف أن يرفض الشرّ ويختار الخير . لأنّه قبل أن يعرف الصبيّ أن يرفض الشرّ ويختار الخير تخلى الأرض التي أبت خاش من ملكيها » « سفر اشعيا » (٧ / ١٤) .

وقد وقع ذلك فقد استولى « تغلت فلاسر » الثاني ملك آشور على بلاد سوريا وقتل « رصين » ملكها ، أمّا « فقح » فقُتِلَ في نفس السّنة عن طريق

أخذ أقربائه وحكم مكانه ، كُلُّ ذلك حدث بعد هذه المقولة بما يقارب إحدى وعشرين سنة أي قبل ميلاد المسيح بما يُقَارِبُ سبعة قرون^(١) .

٢- قال « متى » في إنجيله (٢٧ / ٥١) بعد الصُّلب المزعوم للمسيح وإسلامه الرُّوح : « وإذا حجاب الهيكل قد انشقَّ إلى اثنين من فوق إلى أسفل . والأرض تزلزلت والصُّخور تفتَّت والقبور تفتَّحت ، وقام كثير من أجساد القديسين الرُّاقدين وخرجوا من القبور بعد قيامته ، ودخلوا المدينة المقدَّسة وظهروا لكثيرين » .

فهذه الحكاية التي ذكرها متى لم يذكرها غيره من كتاب الأناجيل ممَّا يدلُّ على أنَّ كلامه لا حقيقة له ، لأنَّها آية عظيمة تتوافر الهمم على نقلها .

٣- أنه ورد في « إنجيل متى » (١٢ / ٤٠) وكذلك في (١٦ / ٤) أنَّ المسيح قال إنَّه لن يُعْطِيَ لليهود آية إلا آية يونان (يونس عليه السَّلام) .

ونصَّه : « لأنَّه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيَّام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الإنسان قي قلب الأرض ثلاثة أيَّام وثلاث ليال » .

وهذا غلط لأنَّ المسيح عليه السَّلام في زعمهم صُلبَ ضَحَى يوم الجمعة ومات بعد ثلاث ساعات ، أي في العصر ، ودُفِنَ قُبَيْلَ غروب الشَّمْسِ ، وبقي في قبره تلك الليلة ، ويوم السَّبت من الغد ، وليلة الأحد ، وفي الصُّباح جاؤا ولم يجدوه في قبره ، ممَّا يدلُّ على أنَّه مكث في زعمهم ليلتين ويومًا واحدًا فقط . فيكون كلام متى السَّابق غلط واضح .

٤- أنَّ « متى » ذكر في مواضع من كتابه أنَّ القيامة ستَقُومُ على ذلك الجليل

(١) انظر : إظهار الحقِّ لرحمة الله الهندي (٢ / ٣٠٥) .

ومن ذلك قوله في (١٦ / ٢٧) على لسان المسيح : « فَإِنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ سَوْفَ يَأْتِي فِي مَجْدٍ أَبِيهِ مَعَ مَلَائِكَتِهِ ، وَحِينَئِذٍ يُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبِ عَمَلِهِ ، الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ مِنَ الْقِيَامِ ههنا قَوْمًا لَا يَذُقُونَ الْمَوْتَ حَتَّى يَرَوْا ابْنَ الْإِنْسَانِ آتِيًا فِي مَلَكُوتِهِ » .

كما ورد في الإنجيل نفسه (٣ / ٢٣) قولهم على لسان المسيح : « فَإِنَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ لَا تَكْمَلُونَ مَدَنَ إِسْرَائِيلَ حَتَّى يَأْتِيَ ابْنُ الْإِنْسَانِ » .
فهذه التَّصَوُّصُ تُؤَكِّدُ الْقِيَامَةَ قَبْلَ مَوْتِ الْكَثِيرِينَ مِنْ ذَلِكَ الْجِيلِ ، وَقَبْلَ أَنْ يَكْمَلَ الْحَوَارِيُّونَ الدَّعْوَةَ فِي جَمِيعِ مَدَنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَهَذَا أَمْرٌ لَمْ يَتَحَقَّقْ ، وَلِهَذَا الْآنَ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ وَتِسْعَمَائَةٍ وَثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ غَلَطَ فَاحِشٌ .
٥ - جاء في « إنجيل لوقا » (١ / ٣٠) في البشارة بالمسيح قوله : « وَيُعْطِيهِ الرَّبُّ إِلَهُهُ كُرْسِيَّ دَاوُدَ أَبِيهِ وَيَمْلِكُ عَلَى بَيْتِ يَعْقُوبَ إِلَى الْأَبَدِ وَلَا يَكُونُ لِمُلْكِهِ نِهَايَةٌ » .

وهذا خطأ بَيِّنٌ لِأَنَّ الْمَسِيحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَكُنْ مُلْكًا لِلْيَهُودِ ، وَلَا مُلْكًا عَلَى آلِ يَعْقُوبَ ، بَلْ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُعَادِينَ لَهُ إِلَى أَنْ رُفِعَ إِلَى السَّمَاءِ بِسَبَبِ مُحَاوَلَتِهِمْ قَتْلَهُ .

٦ - ورد في « إنجيل مرقس » (١١ / ٢٣) : « فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ : لِيَكُنْ لَكُمْ إِيمَانٌ بِاللَّهِ ، لِأَنَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ : إِنَّ مَنْ قَالَ لِهَذَا الْجِيلِ انْتَقِلْ وَانْطَرِحْ فِي الْبَحْرِ وَلَا يَشْكُ فِي قَلْبِهِ بَلْ يُؤْمِنُ أَنَّ مَا يَقُولُهُ يَكُونُ فَمَهْمَا قَالَ يَكُونُ لَهُ ، لِذَلِكَ أَقُولُ لَكُمْ : كُلَّ مَا تَطْلُبُونَهُ حِينَما تُصَلُّونَ فَآمِنُوا أَنْ تَنَالُوهُ فَيَكُونُ لَكُمْ » .

« وورد أيضًا في « إنجيل مرقس » (١٦ / ١٧) : « وهذه الآيات تتبع المؤمنين يخرجون الشياطين باسمي ، ويتكلمون بالسنّة الجديدة ، يحملون حيات ، وإن شربوا شيئًا مميتًا لا يضرهم ويضعون أيديهم على المرضى فيبرؤون » .

« وفي « إنجيل يوحنا » (١٤ / ١٢) : « الحقّ الحقّ أقول لكم : من يؤمن بي فالأعمال التي أنا أعملها يعملها هو أيضًا ، ويعمل أعظم منها لأنّي ماضٍ إلى أبي ومهما سألتكم باسمي فذلك أفعله » .
فهذه النصوص الثلاثة لا شكّ في أنّها خطأ فلا يستطيع النصارى أن يدعوا ذلك لأنفسهم .

كما أنّ عبارة « إنجيل يوحنا » فيها مغالاة شديدة ، حيث زعم أنّ من آمن بالمسيح يعمل أعظم من أعمال المسيح نفسه ، وهذا من الترهات الفارغة^(١) .
وبمجموع ما ذكر عن الأناجيل من ناحية تاريخها ، ومتنها يتبيّن لنا أنّ هذه الكتب لا يمكن أن تكون هي الكتاب الذي أنزله الله عزّ وجلّ على عبده ورسوله ، وأحسن أحوالها أن تكون متضمّنة لبعض ما أنزل الله على عيسى عليه السّلام . والله أعلم .



(١) انظر هذه الأغلاط وغيرها كثير في إظهار الحقّ لرحمة الله الهندي (٢ / ٢٩٤ - ٣٥٢) فقد ذكر اثنين وسبعين غلطًا في العهد الجديد وحده ، فمن أراد الاستزادة فليراجعه .

المطلب الثالث

إنجيل برنابا^(١)

١- التعريف بـ « برنابا » :

برنابا : اسمه « يوسف » ويُلقَّب ابن الوعظ وهو لاوي قبرصي الجنسية ، وهو خال « مرقس » صاحب الإنجيل فيما يُقال ، وكان من دعاة النَّصْرَانِيَّة الأوائِل ويظهر من إنجيله أنَّه من الحواريين الذين لهم مكانة لدى المسيح عليه السلام والنَّصَارَى يرون أنَّه من الدُّعاة الذين لهم أثر ونشاط ظاهر . وكان من أعماله أنَّه باع حقله وأتى بقيمته من النقود ووضعها تحت تصرف الدعاة^(٢) وهو الذي قدم بولس « شاؤول اليهودي » للحواريين حين كانوا متخوفين منه^(٣) ثم اختلف معه بعد فترة من العمل في الدَّعوة سويًّا وانفصلا^(٤) .

٢- التعريف بإنجيله :

أقدم خبر عن إنجيل برنابا كان قريبا من عام ٤٩٢ م وذلك حين أصدر البابا « جلاسيوس » الأوَّل أمرا يحرم فيه مطالعة عدد من الكتب ، كان منها كتاب يُسمَّى « إنجيل برنابا » وهذا كان قبل مبعث النَّبِيِّ ﷺ . ثم لم يظهر له خبر إلَّا في أواخر القرن السادس عشر الميلادي حيث عثر أحد الرهبان اللاتينيين

(١) لا يعتبر هذا الإنجيل من مصادر النَّصَارَى لأنهم لا يعترفون به وإنما ذكر هنا تبعا للحديث عن الأناجيل ولأهمية ما يتضمن من معلومات ومبادئ .

(٢) أعمال الرسل (٤ / ٣٧) .

(٣) أعمال الرسل (٩ / ٢٧) .

(٤) انظر : أعمال الرسل (١٥ / ٣٦) .

وهو (فرامرينو) على رسائل (لإريانوس) يندد فيها بيولس وأسند (إريانوس)
تنديده هذا إلى إنجيل برنابا . فحرص هذا الراهب على الأطلاع على هذا
الإنجيل . واتفق أنه أصبح مقرباً للبابا « سكتس » الخامس ، ودخل معه يوماً
إلى مكتبته فأخذت البابا غفوة نام فيها فأخذ فرامرينو يطالع في مكتبته رغبة
في قطع الوقت ، فوقعت يده على هذا الكتاب فوضعه في ثوبه وأخفاه ، ثم
استأذن بعد أن أفاق البابا ، وخرج فطالع الكتاب بشغف شديد ثم أسلم على
أثر ذلك . وقد بين هذه المعلومات المستشرق سايل في مقدمة ترجمته للقرآن
الكريم ، ثم في أوائل القرن الثامن عشر ١٧٠٩ م عثر (كريم) أحد
مستشاري ملك بروسيا على هذه النسخة باللغة الإيطالية ، وكان مقيماً وقتئذ
في إمبردوم عند أحد وجهاء المدينة ، وعثر على هذه النسخة عنده في مكتبته
وأهداها كريم إلى الأمير (ايوجين سافوي) لولعه بالعلوم والآثار التاريخية .
ثم انتقلت هذه النسخة فيما بعد عام ١٧٣٨ م مع جميع مكتبة ذلك الأمير
إلى مكتبة البلاط الملكي في فينا حيث هي موجودة الآن ، ثم ترجمت بعد إلى
الإنجليزية وعنها إلى العربية من قبل الدكتور خليل سعادة وهو لبناني نصراني .
وكان يوجد لهذا الكتاب نسخة أخرى بالأسبانية ، يظن أنها منقولة عن
الإيطالية عثر عليها في أوائل القرن الثامن عشر أيضاً ، وكانت عند رجل يدعى
الدكتور « هلم » أهداها إلى المستشرق (سايل) ثم دفعها هذا بدوره إلى الدكتور
« منكهوس » الذي ترجمها إلى الإنجليزية ودفعها مع ترجمتها عام ١٧٨٤ م إلى
الدكتور « هويت » أحد مشاهير الأساتذة في أكسفورد ببريطانيا وعنده اختفت
هذه النسخة مع ترجمتها . وقد أورد الدكتور « هويت » مقتطفات عديدة منها في
دروسه . كما ذكر ذلك خليل سعادة . مترجم الكتاب إلى العربية .

وحين ظهر هذا الإنجيل أحدث دويًا في الأوساط النصرانية لما فيه من المضادة لعقائدهم فحاولوا دفعه بوسائل كثيرة ، ومما زعموه : أنه تأليف عربيّ مسلم ، أو يهوديّ أندلسيّ تنصّر ثم أسلم^(١) . وهذا في الواقع من التخرّصات ويدلّ على بطلانها أمور منها :

١- لماذا يؤلّف رجلٌ أسلم كتابًا للنصارى ويفتري الكذب وهو قد دخل في الإسلام

٢- إن فيه معلومات غير موجودة في كتب اليهود والنصارى الآن .

٣- إن مترجم الكتاب إلى العربية وهو خليل سعادة النصرانيّ قد وصف صاحب الإنجيل بأنه على إمام واسع جدًا بالعهد القديم والنصرانية أكثر ممن نذروا أنفسهم للدين النصرانيّ وتفسيره وتعليمه ، حتّى إنه لينذر أن يكون فيهم من يقرب من إمام صاحب هذا الإنجيل ، فكيف يكون مسلمًا وله هذا الإمام الواسع ؟

٤ - إنّ مما يدفع أن يكون صاحبه مسلم أنّ فيه أخطاء لا يمكن أن تقع من المسلم لبدايتها ، ومنها قوله : إنّ السموات عشرة ، وخلطه بين اسم ميخائيل وميكائيل ويقول أدريل بدل إسرافيل . وعلى كلّ حال فهذا كتاب ظهر في بلاد نصرانية وبخط ولغة نصرانية ، ولم يرِدْ عن أحد من المسلمين أنّه اطلع عليه على سعة اطلاع علماء المسلمين وحرصهم على الرّد على النصارى ، وهو بلا شكّ ممّا يظهره الله عزّ وجلّ لإرغام أنوفهم وكشف زيفهم أمام أنفسهم .

٣- أهمّ مبادئه :

الذي جعل النصارى يحملون على هذا الإنجيل ويتنصّلون منه هو مخالفته

(١) انظر المقدمة المطبوعة مع الإنجيل للدكتور خليل سعادة فقد ذكر هذه المعلومات السابقة كما ذكر أيضًا ذلك الزعم بأن مؤلفه مسلم كتبه ونحله النصارى .

لأنجيلهم وعقيدتهم في أخطر وأهم نقاطها وهي :

أولاً : أنه صرّح بأن المسيح عليه السلام إنسان وليس بإله ولا ابن إله ، ويثبت أن سبب تأليف إنجيله كان لرّد هذه الفرية التي أطلقها بولس مغ غيرها من الافتراءات كترك الختان وأكل اللحوم النجسة^(١) .

ثانياً : أن الذّيح هو إسماعيل ، وليس إسحاق ، كما هو زعم اليهود في كتابهم^(٢) .

ثالثاً : التصريح بالبشارة بالنبي ﷺ باسمه وأنه المسيح المنتظر^(٣) .

رابعا : أن المسيح لم يُصلّب ، وإنما رُفِعَ إلى السماء ، وأنّ الذي صُلب هو يهوذا الاسخريوطي ، حيث أُلقي عليه شبه المسيح حتّى وقع الشكّ في قلوب التلاميذ أن المصلوب هو المسيح ، إلى أن دعى المسيح الله أن ينزل ليزيل الشك عن قلوبهم ، فنزل وأخبر تلاميذه وأمه أنه لم يمّت وأنه باق إلى وشك نهاية العالم ، وبقي معهم ثلاثة أيّام ثم رُفِعَ إلى السماء^(٤) .

هذه أهم مبادئ هذا الكتاب الذي أحدث مجادته دويّا لدى النصارى .
أمّا نحن المسلمين فلا يقدّم عندنا هذا الكتاب ولا يؤخّر فنحن مطمئنون لكتاب ربنا الذي بين أيدينا نعرف به الحقّ وعلى ضوئه نقيس الحقّ .
وهذا كتاب لا سند له ولا تاريخ ، ثم هو من تأليف رجل ليس بمعصوم فقد

(١) انظر : إنجيل برنابا ص ٣ .

(٢) إنجيل برنابا ص ٦٧ - ٦٨ ، ٣٠٠ .

(٣) إنجيل برنابا ص ٦٩ ، ١٤٦ - ١٤٩ ، ٣١٨ .

(٤) إنجيل برنابا ٣٠٨ - ٣٢٠ .

يخطئ ، ويضلُّ ، وينسى ، وهذه لا تجعل لكتابه قيمة دينية عقائدية ، وإنما تجعل له قيمة تاريخية وأدبية ، والله أعلم .



المبحث الثاني

المجامع النُصرانيَّة

- المطلب الأوَّل : تعريفها .
- المطلب الثاني : أهم المجامع المسكونيَّة .

★★★★

المطلب الأول

تعريفها

المجامع النصرانية يعرفها النصارى بأنها : هيئات شورية^(١) في الكنيسة تبحث في الأمور المتعلقة بالديانة النصرانية وأحوال الكنائس^(٢) .
والمجامع النصرانية نوعان :

- ١- مجامع محلية : وهي التي تبحث في الشؤون المحلية للكنائس التي تنعقد فيها .
- ٢- ومجامع مسكونية (عالمية) : تبحث في العقيدة النصرانية ومواجهة بعض الأقوال التي يرى غرابتها ومخالفتها للديانة .

وأول المجامع كما يذكر كتاب أعمال الرسل كان مجمع أورشليم الذي عقد أيام الحواريين من أجل النظر في إلزام غير اليهود بالشريعة الموسوية أم لا . حيث قرّر المجتمعون هناك أنهم لا يلزمون بالختان ولا بالشرائع الموسوية ، وإنما يلزمون فقط بالامتناع عن الذبح للأصنام والزنى وأكل الخنوق والدم^(٣) .

(١) هكذا يزعم النصارى أنها هيئات شورية والناظر في تلك المجامع خاصة التي بحثت في العقيدة يجد أنها تنتهي ولم يتفق المجتمعون على الأمور التي بحثت فيكون هناك جبر وموافقة قسرية على قول من تلك الأقوال أو إذا لم يمكن الجبر والقسر يحدث الانقسام بأن تذهب كل مجموعة بقولها الذي جاءت به كما سيوضح من دراسة تلك المجامع . وهذا يتنافى مع كونها هيئات شورية إلا أن يقال أنها هيئات شورية إلزامية .
(٢) انظر : كتاب (يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء) ص ٢٠٣ ، فقد نقل هذا عن تاريخ الأقباط لزكي شنودة ، وكتاب الكنيسة المصرية لميشيل جرجس .

(٣) انظر : سفر أعمال الرسل . الإصحاح الخامس عشر . ويلاحظ أن هذا - إن صدق كاتب سفر الأعمال فيما ذكر - من أوائل التحريفات التي أدخلها النصارى على دين المسيح عليه السلام فهم لم يذكروا دليلاً على ذلك من كلام المسيح عليه السلام إنما فقط من استحسانهم وآرائهم ، وهذا ما مهد لساتر التّحريفات التي تمت عن طريق المجامع فيما بعد .

المطلب الثاني

أهم المجامع المسكونية

١ . مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م

كان هذا المجمع أول المجامع المسكونية وأخطرها أيضا .

سبب انعقاده :

سبب انعقاده هو التّعارض والاختلاف العقائديّ الموجود في الكنيسة في تلك الأزمان وذلك أنّه ما إن توقّف الاضطهاد الواقع على النّصارى من قبل الرّومان بمرسوم ميلان^(١) . حتّى ظهر على السّطح ذلك الخلاف العقائديّ الكبير بين طوائف النّصارى ، والذي كان يخفيه من قبل الحالة الاضطهاديّة الواقعة على جميع أصناف النّصارى والذي كان من أسباب رسوخ هذه الانحرافات العقائديّة كما سيتبيّن .

وكان أبرز وجوه الاختلاف : ذلك الخلاف والتّعارض بين دعوة كنيسة الاسكندرية التي كانت تُنادي بالوهيّة المسيح على مذهب بولس ، وبين دعوة الأسقف الليبيّ « آريوس » في الاسكندرية أيضا . الذي وُصِفَ بأنّه عالم مثقف ، وواعظ مفوّه ، وزاهد متقشّف وعالم بالتفسير ، حيث أخذ ينادي بأنّ الله إله واحد ، غير مولود ، أزليّ ، أمّا الابن فهو ليس أزليّاً وغير مولود من

(١) مرسوم ميلان أصدره الإمبراطور قسطنطين والإمبراطور ليسينيوس سنة ٣١٣ م ويقضي بإعطاء المسيحيين الحرية في الديانة وإرجاع أملاكهم المقتنصة وإقرار حرية الأديان عموما . انظر : نصّ المرسوم في كتاب (تاريخ أوروبا للعصور الوسطى) ص ٥٠ ، تأليف د . الباز العريني .

الأب وأن هذا الابن خرج من العدم مثل كُلِّ الخلائق حسب مشيئة الله وقصده^(١).

و شايح أريوس في دعوته العديد من الأساقفة ، منهم أسقف نيقوميديه المسمّى أوسايوس وغيره .

وكان الإمبراطور « قسطنطين » في ذلك الوقت قد أبدى تعاطفًا قويًا تجاه النصارى ورفع عنهم الاضطهاد واهتمّ بشؤونهم^(٢) فهاله ما رأى من انقسام النصارى ، وأدرك خطورة تلك الانقسامات على دولته ، والتي كان أخطرها ما كان بين أسقف كنيسة الاسكندرية الكسندروس واريوس وأتباعه .

وقد تطور الخلاف بينهما بأن طلب أسقف الاسكندرية عقد مجمع في الاسكندرية للنظر في قضية أريوس ودعوته ، وقرّر المجمع قطع أريوس من الخدمة ، وهذا جعل أريوس يخرج من الاسكندرية ويتوجّه إلى آسيا حيث عقد في « بثنيه » بآسيا الصغرى مشايعوه من الأساقفة مجمّعًا قرّر فيه قبول أريوس وأتباعه وكتابة طلب إلى أسقف الاسكندرية برفع الحرمان الذي قرّره على أريوس^(٣). فهذا ما جعل الإمبراطور قسطنطين يدعو إلى مجمع عام في نيقية سنة

(١) انظر : كتاب تاريخ الفكر المسيحي (١ / ٦١٩) .

(٢) يرى كثير من المؤرخين أنّ أهداف قسطنطين من ذلك التقريب للنصارى ، كانت أهدافًا سياسية حيث رأى أنّ الديانة النصرانية تنتشر على حساب الأديان الأخرى ، كما أنّه أراد أن يكونوا عونًا له في القضاء على إمبراطور يزنطة ليسينيوس . وهذا ما تحقّق له فيما بعد وكان قسطنطين يعتبر نفسه الكاهن الأعظم للديانة النصرانية وهو في نفس الوقت يجمع بين عبادة الشمس والانتساب للنصرانية ، ولم يسمح بتعميده إلّا وهو على فراش الموت على مذهب اريوس وذلك سنة ٣٣٧ م . انظر : (تاريخ أوربا في العصور الوسطى) تأليف هـ . فيشر - ترجمة محمد زياده ص ٦ - ٧ .

(٣) انظر : تاريخ الفكر المسيحي (١ / ٦٢١ - ٦٢٢) .

٣٢٥ م لبحث هذه القضية .

- عدد الحاضرين ومذاهبهم :

اختلف كلام النصارى في ذكر عدد المجتمعين فالبعض يرى أن عدد المجتمعين كان ٣١٨ أسقفًا فقط ، وبعضهم يرى أنهم ما بين ٣٠٠ - ٥٢٠^(١) ويذكر مارى سليمان في كتاب « المجدل » وكذلك ابن البطريق أن عددهم كان (٢٠٤٨) أسقفًا^(٢) . أمّا مذاهب الحاضرين فكانت متباينةً تباينًا شديدًا . وكما يقول ابن البطريق بأنهم كانوا مختلفين في الآراء والأديان .

- فمنهم من كان يقول : إن المسيح وأمه إلهان من دون الله وهم البربرانية .

- ومنهم من كان يقول : إن المسيح من الأب بمنزلة شعلة نار انفصلت من شعلة نار فلم تنقص الأولى بانفصال الثانية منها وهي مقالة سابليوس .

- ومنهم من كان يقول : لم تحبل به مريم تسعة أشهر ، وإنما مرّ في بطنها كما يمرّ الماء في الميزاب .

- ومنهم من كان يقول : إن المسيح إنسان مخلوق من اللاهوت كواحد منا في جوهره ، وإنّ الابن من مريم ، ويرون أنّ الله جوهر قديم واحد وأقنوم واحد ولا يؤمنون بالكلمة ولا بالروح القدس ، وهي مقالة بولس الشمشاطي بطريرك أنطاكية .

- ومنهم من كان يقول : إنهم ثلاثة آلهة لم تزل : صالح ، وطالح ، وعدل بينهما . وهي مقالة مرقيون وأصحابه .

(١) انظر : تاريخ الفكر المسيحي (١ / ٦٢١ - ٦٢٢) ، وتاريخ الكنيسة - لجون لوريمر (٣ / ٤٢) .

(٢) انظر : كتاب أخبار بطارقة المشرق من كتاب المجدل ص ١٥ ، وكتاب (يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء) ص ٢١٢ ، وينقل هذا عن ابن البطريق من نقل زكي شنودة في تاريخ الأقباط .

- ومنهم من كان يقول بالوهيئة المسيح ، وهي مقالة بولس ومقالة الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً^(١) .

قرارات المجمع ونتيجته :

بعد أن تداول المجتمعون الآراء في ذلك المجمع خرجوا بتقرير الوهية المسيح عليه السلام وأنه ابن الله - في زعمهم - أي من ذات الله^(٢) وأنه مساو لله جلّ وعلا ، وأنه مولود منه غير مخلوق - تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً .

كما قرّروا أن هذا الإله تجسّد بصورة البشر لخلاص الناس ، ثم ارتفع إلى السماء بعد قيامته من الموت ، كما تمّ لعن « أريوس » ومشايعيه وحرق كتبه وقد وقع كثير من المجتمعين على هذه القرارات لمنصرة قسطنطين لها ، ويرى ابن البطريق أن (٣١٨) أسقفاً فقط هم الذين أظهروا هذا القول ووقعوا عليه وخالفهم بقية الأساقفة^(٣) ، والبعض الآخر يرى أن الجميع وقعوا عليها ما عدا يوسايوس أسقف نيقوميديّة في قول بعضهم وشخص آخر فقد رفضا التوقيع على ذلك النصّ^(٤) .

(١) كتاب محاضرات في النُصْرانية ص ١٢٤ ، حيث ينقل عن ابن البطريق ، وكذلك نقلها زكي شنودة في كتابه « تاريخ الأقباط » ، ونقلها عنه د . رؤوف شلبي في كتابه « يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء » ص ٢١٢ .

(٢) يلاحظُ هنا أن نصّ قانون الإيمان الذي قرّره في ذلك المجمع هو النصّ الذي قدّمه أسقف الإسكندرية القتال بالوهية المسيح . والبعض يذكر أن كلمة « أن الابن من نفس جوهر الأب » وهي التي كان يدور حولها الخلاف الكبير بين أولئك المجتمعين كانت من اقتراح الإمبراطور قسطنطين ، الذي كان لا يزال في ذلك الوقت وثنيًا ، ولم يعلن دخوله في النُصْرانية . وهذا يدلُّنا على مستوى تلك الموافقة الظاهرية التي وقعت في ذلك المجمع وأنها كانت لرأس الإمبراطور ذلك المجمع وتدخّله المباشر فيه . انظر : تاريخ الكنيسة ص ٤٨ .

(٣) انظر : محاضرات في النُصْرانية ص ١٢٤ .

(٤) انظر : مجمع الشرع الكنسي ص ٤٣ ، تاريخ الكنيسة ص ٤٩ .

وهكذا انتصر في أوَّل الأمر القائلون بالوهيَّة المسيح بمساندة وتأييد الإمبراطور حيث ينصُّ بعض المؤرِّخين على ترأسه لذلك المجمع^(١) كما هُزموا فيما بعد بقوة الإمبراطور ، ثم عادوا كذلك .

ومَّا يدلُّ على أنَّ المجتمعين في نيقية لم يقبلوا ذلك القول بالوهيَّة المسيح ولم يكن عند القائلين به حُجَّة مُقنِعة : أنَّهم كما يذكر القس حنَّا الخضرى بعد ذكر الانتصار الَّذي حقَّقه مشايعوا مقولة يولس قال : « ولكن للأسف الشديد كانت الحقيقة الواقعة تختلف الاختلاف كُلَّه عن القرارات السنودسية والجمعية . فقد رجع الأساقفة بعد مجمع نيقية إلى أبرشياتهم والقسوس إلى كنائسهم وبدأ كُلُّ منهم يَعْلَم ما كان يَعْلَم به قَبْلًا بل إنَّ البعض تطرَّف في الهرطقة الَّتِي فاقت هرطقة « أريوس » نفسه . فمع أنَّ « أريوس » وبعض أتباعه نُفُوا إِلَّا أنَّ الأريوسية بنت عَشَّها في حداث كثيرين من الأساقفة والرُّعاة »^(٢) .

ولما كان قرار نيقية بالوهيَّة المسيح فرض بقوة السُّلطان ، فإنَّ السُّلطان وهو الإمبراطور رجع فيما بعد عنه وأمر بعقد مجمع صور سنة ٣٣٤ م وقرر فيه إعادة « أريوس » إلى الكنسية ، وخلع « أثنا سيوس » أسقف الاسكندرية أحد أكبر المدافعين عن عقيدة الوهيَّة المسيح ، كما أنَّ الإمبراطور نفسه قد عُمِّد وهو على فراش الموت على مذهب « أريوس » حيث عُمِّده الأسقف

(١) انظر : « تاريخ أوربا في العصور الوسطى » . هـ . فيشر ص ٨ ، و « تاريخ أوربا للعصور الوسطى

» د . الباز العربي ص ٧٤ .

(٢) تاريخ الفكر المسيحي ص ٦٤٣ .

« أوساييوس النيقوميدي » أكبر أنصار أريوس^(١).

وهكذا يتبين أن هذا المجمع الذي يُعَدُّ من أخطر المجامع كان ألوبةً بيد الإمبراطور الوثني الذي لم يكن من أهل تلك الملة وقت ترأسه ذلك المجمع ، كما أن المجتمعين لم يكونوا يعتمدون على نصوص متفقّة مقبولة لدى الجميع ولأنّهم الإذعان لدلولها ، وإنما كانوا يعتمدون على تصوراتهم أو تصوّرات أمثالهم من الناس .

٢ . مجمع القسطنطينية

دعا الإمبراطور « ثيودسيوس » سنة ٣٨١ م إلى عقد مجمع القسطنطينية لمواجهة الدّعوات التي كانت منتشرة بين الكنائس .

منها دعوة « مقدونيوس » الذي كان أسقفا للقسطنطينية ، الذي نادى بأنّ الروح القدس مخلوق وليس إلها .

ودعوة « صابيليوس » الذي كان ينكر وجود ثلاثة أقانيم .

ودعوة « أبوليناريوس » الذي كان أسقفا على اللاذقية والشّام والذي أنكر وجود نفس بشريّة في المسيح .

فحضر ذلك المجمع مائة وخمسون أسقفا قرّروا فيه ألوهيّة الروح القدس ولعن وطرد من خالف ذلك^(٢) فاكتمل بذلك ثلوث النصارى .

وكما هو ظاهر فإنّ هذا المجمع عُقِدَ بدعوة من الإمبراطور « ثيودسيوس »

(١) انظر : تاريخ الفكر المسيحي (١ / ٦٥٠) ، وتاريخ الكنيسة (٣ / ٥٩) .

(٢) انظر : مجمع الشّرع الكنسي ص ٢٤٦ ، تاريخ الكنيسة (٣ / ١٠٤ ، ١١١) ، النصرانية من التّوحيد إلى التّثليث ص ١٨٣ .

الَّذِي كَانَ قَدْ سَنَّ الْقَوَانِينِ وَالتَّشْرِيعَاتِ لِمَصْلَحَةِ الْقَائِلِينَ بِالْوَهْيَةِ الْمَسِيحِ وَالمَثَلَيْنِ
مِنَ النَّصَارَى .

٣ . مجمع أفسس سنة ٤٣١ م

انعقد هذا المجمع لمواجهة قول « نسطور » أسقف القسطنطينية ، الذى قيل
عنه إنه كان يقول بأن المسيح له طبيعتان إلهية وإنسانية بشرية^(١) وأن مريم والدة
الإنسان وليست والدة الإله . فعقد المجمع في أفسس سنة ٤٣١ م بحضور مئة
وستين أسقفا وقرّر فيه أن المسيح إله وإنسان ذو طبيعة واحدة وأقنوم واحد
وأن مريم أمّ إلههم وحكم على « نسطور » بالطرد من الكنيسة^(٢) .

ثم عُقد بعده مجامع عديدة في البحث عن طبيعة المسيح منها :

٤ . مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١ م

وفي هذا المجمع عادوا للبحث في طبيعة المسيح وقرّر المجمع فيه : أن المسيح
له طبيعتان إلهية وبشرية بلا اختلاط ولا تحوّل ولا انقسام ولا انفصال^(٣) ١٩
وكان المناصرون لهذا القول هم الأساقفة الغربيين الذين لعنوا وطرّدوا من لا
يقول بهذا القول .

(١) انظر : كتاب تاريخ الفكر المسيحي (١٧٠ / ٢) ، تاريخ الكنيسة (٢١٥ / ٣) . ويذكر
البعض أن نسطور كان يرى أن المسيح لم يكن إلهاً وإنما هو إنسان مملوء من البركة والتّعمة . انظر
كتاب النصارى من التّوحيد إلى التّثليث ص ١٨٤ .

(٢) انظر : مجمع الشّرع الكنسيّ ص ٢٨٨ ، تاريخ الكنيسة (٢١٩ / ٣) ، النصارى من التّوحيد
إلى التّثليث ص ١٨٥ .

(٣) انظر إلى الجمع بين المتضادات في عقيدتهم وهو كلام يعادون عليه ويوالون ، وهو هراء مفتري
ليس لهم عليه أدنى دليل أو برهان عقليّ أو شرعيّ .

ولم توافقهم الكنائس الشرقية على هذا وقد أصروا على قرارهم في مجمع أفسس بأن المسيح طبيعة واحدة إلهية وبشرية ، وهذا من أهم الفوارق بين الكاثوليك القائلين بالطبيعتين والأقباط والأرمن والشرقيين القائلين بالطبيعة الواحدة^(١).

بعد هذا عقدت مجامع عديدة من أهمها :

٥ . المجمع الثامن سنة ٨٦٩ م

وكان سبب انعقاده الخلاف بين كنيسة القسطنطينية وكنيسة روما في الروح القدس هل انبثق من الأب فقط وهو زعم كنيسة القسطنطينية أم من الأب والابن معًا كما هو زعم كنيسة روما ؟
وقد قرر في هذا المجمع قول كنيسة روما ، بأن المسيح انبثق من الأب والابن معًا . ولم يوافق على ذلك بطريرك القسطنطينية .

فانقسمت بسببه الكنيسة إلى قسمين :

- ١- الكنيسة الغربية ويزعمها البابا في روما وهم الكاثوليك .
- ٢- الكنيسة الشرقية ويزعمها بطريرك القسطنطينية وهم الأرثوذكس .

٦ . المجمع الثاني عشر الذي عقد سنة ١٢١٥ م

وتقرر فيه أن العشاء الرباني يتحول إلى جسد ودم المسيح ، وأن الكنيسة البابوية الكاثوليكية تملك حق الغفران وتمنحه لمن تشاء .

(١) انظر : مجمع الشرع الكنسي ص ٣٦٤ ، وتاريخ الكنيسة (٣ / ٢٢٦ - ٢٣٢) .

٧ - مجمع روما عام ١٧٦٩ م

والَّذِي تَقَرَّرَ فِيهِ عَصْمَةُ الْبَابَا فِي رُومَا^(١) .

من خلال هذا الاستعراض السَّريع لتلك المَجامع النُصْرانيَّةِ يَتَبَيَّنُ لَنَا مَا يَلِي :

١ - أَنَّ النُّصَارَى لَا يَمْلِكُونَ أَدَلَّةً صَحِيحَةً صَرِيحَةً فِي أَكْثَرِ دَعَاوِيهِمْ ، لِهَذَا اخْتَلَفُوا تِلْكَ الْاِخْتِلَافَاتِ الْخَطِيرَةِ الَّتِي تَمَسُّ جَمِيعَ نَوَاحِي الْعَقِيدَةِ لَدَيْهِمْ .

٢ - أَنَّ مَا يَسْتَنْدُ إِلَيْهِ النُّصَارَى وَيَتَحَمَّسُونَ لَهُ لَا يَعْدُو أَنْ يَكُونَ فَهْمًا خَاصًّا يَسْعَى أَصْحَابُهُ لِتَثْبِيْتِهِ عَنْ طَرِيقِ تِلْكَ الْمَاجِمَاعِ ، وَلَا يَخْلُو الْأَمْرُ مِنَ الْأَهْوَاءِ وَالْأَغْرَاضِ الْخَاصَّةِ مِنْ حُبِّ لِلرَّئِاسَةِ وَفَرْضِ السَّيْطَرَةِ .

٣ - أَنَّ الْمَاجِمَاعَ لَمْ تَكُنْ يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ هَيْئَةً شُورِيَّةً يَتَبَاخَثُ الْقَسَسُ فِيهَا الْآرَاءَ وَيَتَوَصَّلُوا فِيهَا إِلَى الْحَقِّ بِأَدْلَتِهِ ، بَلْ كَانَتْ فِي الْأَغْلَبِ تُعَقَّدُ لِفَرْضِ رَأْيٍ أَوْ تَصَوُّرٍ عَنْ طَرِيقِ تِلْكَ الْمَاجِمَاعِ وَبِقُوَّةِ السُّلْطَانِ أَوْ قُوَّةِ الْكَنِيسَةِ .

٤ - أَنَّ تِلْكَ الْمَاجِمَاعَ كَانَتْ أَدَاةَ يَدِ الْأَبَاطِرَةِ الرَّؤُومَانِ يَسْخَرُونَهَا لِرَغْبَاتِهِمْ فِي التَّوَشُّعِ وَالسَّيْطَرَةِ .

٥ - أَنَّ تِلْكَ الْمَاجِمَاعَ كَانَتْ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ الْفِرْقَةِ وَتَثْبِيْتِهَا فِي الْعَالَمِ النُّصْرَانِيِّ ، بِحَيْثُ أَنَّهُمْ لَمْ يَخْرُجُوا فِي وَاحِدٍ مِنْهَا مُتَّفَقِينَ ، بَلْ كُلَّمَا اجْتَمَعُوا فِي مَجْمَعٍ مِنْ تِلْكَ الْمَاجِمَاعِ يَزْدَادُ اخْتِلَافُهُمْ وَبِالْتَّالِيِ انْقِسَامُهُمْ .

٦ - أَنَّ الْمَاجِمَاعَ صَاغَتْ الْعَقِيدَةَ النُّصْرَانِيَّةَ بِكُلِّ تَفَاصِيلِهَا مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ تِلْكَ الْعَقِيدَةَ بِتَفَاصِيلِهَا صَنَعَتْ بَشْرِيَّةٌ لَمْ يَنْزِلْهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

(١) انظر : كتاب « يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء » ص ٢٥٤ .

٧ - أن الجامع النصرانية هي المصدر الحقيقي للديانة النصرانية المحرفة ، لأن تلك الفهوم التي كانت تُقرَّر وتُصدَّر وفقها القَرارات لم تكن تُعتمد على نصوص قطعية واضحة ، بل أحيانا كانت تعتمد على نصوص متشابهة وكلام محتمل لأكثر من معنى ويكون من أقلها احتمالا المفهوم الذي تدعيه الكنيسة كما في دعوى ألوهية المسيح عليه السلام .

وأحيانا كانت لا تعتمد على أي نص موجود لديهم وهو الأكثر ، بل يكون تركيبا ذهنيا وهميا أو تصورا خاطئا يبنى على تصور خاطئ ، كما في قراراتهم المتعلقة بألوهية الروح القدس ، وطبيعة المسيح ، وعصمة البابا ونحو ذلك .
ويصدق عليهم فيما يدعونه من عقيدة ، ويشترعونه للناس أنهم جعلوا أنفسهم أربابا من دون الله يُحلّون ويحرّمون بدون علم .

فينطبق عليهم قول الله عز وجل : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنِ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتِلْهُمْ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ * اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ﴾ [التوبة : ٣٠ ، ٣١] .



الفصل الرابع

عقيدة النصارى

المبحث الأول : التثليث .

المبحث الثاني : الصلب والفداء .

المبحث الثالث : محاسبة المسيح الناس .

المبحث الرابع : قولهم في الجنة والنار .

عقيدة النصارى

المسيح عليه السلام جاء بها بفضاء نقيّة توحيدا خالصا ومنهجاً ربانيّاً واضحاً
كما تقدّم بيانه في أوّل الكلام على النّصرانيّة .

إلا أنّ النّصارى انحرفوا بهذه الدّيانة عن وجهها الصّحيح ، إلى وثنيّة خالصة
وعقائد منحرفة لم يعرفها المسيح عليه السلام ولا حوارثوه .

وقد كان ابتداء تحريفها من دخول بولس (شاؤول اليهودى) هذه الدّيانة
بعد رفع المسيح عليه السلام - كما سيأتي بيانه .

وهذه الدّيانة المحرّفة لم تُقرّر على ما هي عليه في الوقت الحاضر إلاّ بعد
انصرام ما يقارب خمسة قرون من رفع المسيح عليه السلام ، حيث أصبحت
تقوم على ثلاثة أسس وهي :

١- التّثليث . ٢- الصّلب والفداء . ٣- محاسبة المسيح للنّاس .

وسنّين بيانا مختصرا مقولتهم في كلّ واحد من هذه العقائد ونبين بإذن الله
بطلانها .

المبحث الأول

التثليث

- المطلب الأول : تعريفه ومرادهم به .
- المطلب الثاني : استدلالات النصارى على التثليث .
- المطلب الثالث : إبطال ونقض ما استدلوا به على التثليث .
- المطلب الرابع : أدلة إثبات الوحدانية وإبطال التثليث من العهد القديم والأنجيل .
- المطلب الخامس : الأقانيم الثلاثة تعريفها وأدلتهم عليها وبيان بطلان تلك الأدلة .
- المطلب السادس : الاتحاد : (التجسّد) .

★★★★

المطلب الأول

تعريفه ومرادهم به

مراد النصارى بالتثليث كما يقول قاموس الكتاب المقدس هو : إله واحد الأب والابن والروح القدس إله واحد ، جوهر (ذات) واحد متساوين في القدرة والمجد^(١) .

ويفسرون هذه العقيدة بقولهم : إنَّ تعليم الثالوث يتضمن :
(١) وحدانيَّة الله .

(٢) لاهوت الأب والابن والروح القدس .

(٣) أنَّ الأب والابن والروح القدس أقانيم يمتاز كُلُّ منهم عن الآخر منذ الأزل وإلى الأبد .

(٤) أنَّهم واحد في الجوهر متساوون في القدرة والمجد .

(٥) أنَّ بين أقانيم الثالوث تمييزاً أيضاً في الوظائف والعمل ، لأنَّ الكتاب يعلم أنَّ الأب والابن والروح القدس واحد في الجوهر ، متساوون في القدرة والمجد .

(٦) أنَّ بعض أعمال اللاهوت تُنسب في الكتاب المقدس إلى الأب والابن والروح القدس مثل خلق العالم وحفظه . وبعض الأعمال تُنسب على الخصوص إلى الأب ، مثل الاختيار والدعوة ، وأنَّ بعض الأعمال تُنسب خصوصاً إلى الابن مثل الفداء ، وبعض الأعمال تُنسب خصوصاً إلى الروح القدس مثل التجديد والتقديس^(٢) .

(١) قاموس الكتاب المقدس (ص ٢٣٤) .

(٢) انظر : كتاب : « حقائق أساميَّة في الإيمان المسيحي » ص ٥٣ .

ما سبق بيانه هو شرح النصارى لهذه العقيدة .

ويُتّضح منها أنّهم يقولون :

إنّ وحدانيّة الله وحدانيّة حقيقة وكذلك تثليثه ، أي أنّه ثلاثة حقيقة ، أي ثلاثة أشخاص ، وفي نفس الوقت يتميّز كلّ واحد من هؤلاء الثلاثة بأعمال ومميّزات ليست من مميّزات الآخر ، وهم في نفس الوقت متساوون في قدرتهم ومجدهم ، ووجودهم لم يسبق أحد منهم الآخر .

وهذا في الواقع جمع بين الضّدين ، فالوحدانيّة تنفي الشّرك ، والشّرك ينفي الوحدانيّة ، فلا يمكن أن تجتمع الوحدانيّة والشّرك في مكان واحد بل هما ضدان لا يجتمعان كالسّواد والبياض .

والنصارى يعتقدون اجتماعهما مخالفين بذلك الحسّ والعقل والنقل ، ويحاول النصارى أن يقرّبوا هذه العقيدة للنّاس بضرب الأمثلة لها .

فمرة يشبّهونها بالإنسان المكوّن من دم وروح وجسد .

ومرة بالشّمس المكوّنة من جرم وأنّها تُنير الأرض وتدفعها .

ومنهم من شبّهها بالشّجرة فإنّ لها أصل وهي الجذور والسّاق والورق^(١)

وهذه التشبيهات ليس فيها واحد يمكن أن يكون مطابقا لدعوى النصارى في التّثليث ، لأنّ جميع هذه الأشياء إمّا أن تكون ذاتا واحدة لها أجزاء وأبعاد ، أو صفات وآثار ، بخلاف دعواهم في التّثليث فإنّهم ثلاثة حقيقيّون ذوو أعمال مختلفة متباينة ، وهم في نفس الوقت واحد حقيقيّ ، بخلاف

(١) انظر : حقائق أساسية في الإيمان المسيحي ص ٥٢ .

تشبيههم له بالإنسان المكوّن من دم وروح وجسد ، فهذه مكونات الجسم ولا يستقلّ واحد منها بذاته ، كما أنّ الدّم ليس الرّوح ، والرّوح ليس الجسد ، والجسد ليس هو الروح والدم بخلاف دعوى التّثليث الذي يزعمون فيه : أنّ كلّ واحد من الثلاثة هو الآخرين ، لهذا صرّح كثير منهم بعدم معقولية التّثليث وأنها قضية لا يفهمها العقل ولا يقبلها فمن ذلك :

❖ قول القس : « توفيق جيد » في كتابه (سر الأزل) « إنّ الثّالوث سرّ يصعب فهمه وإدراكه . وإنّ من يحاول إدراك سرّ الثّالوث تمام الإدراك كمن يحاول وضع مياه المحيط كلّها في كفّه »^(١).

❖ ويقول « باسليوس إسحاق » في كتابه (الحق) : « أجل أنّ هذا التّعليم عن التّثليث فوق إدراكنا ولكن عدم إدراكه لا يطله »^(٢).

فهذا ما صرّحوا به وتوصّلوا إليه في النهاية : أنّ التّثليث أمر مرفوض عقلا وغير مقبول ولكنهم مع ذلك يؤمنون به .

ويحاول بعضهم أن يشبه ذلك بقول المسلمين في صفات الله عزّ وجلّ « إنّ العقول لا تدرك كيفيّتها » وهذا تلبّيس وتدليس منهم . لأنّ إثبات صفات الله يقبله العقل ولا يرفضه ، وعدم إدراك كيفيّتها يتلاءم مع مستوى علم الإنسان بالله عزّ وجلّ ، ومن هذا الباب كثير من الغيبيّات التي يؤمن الإنسان بها وفقّ السّمع ويقبلها العقل ، مثل ما ذكر عن الجنّة ، والنّار ، وكذلك عذاب القبر

(١) هذا القسيس يحاول أن يخفّف من العبارة الدّالة على استحالة التّثليث واستحالة قبوله بجعله مرّا ثمّ زعمه أنّه لا يدرك تمام الإدراك كأنه يوحى بأنّه يمكن أن يدرك منه بعض المعاني وتخفى البعض ، والواقع أنّه لا يدرك منه شيء .

(٢) انظر : هذه النقول وغيرها في كتاب « النصرانية من التّوحيد إلى التّثليث » ص ٢٠٧ .

وغيرها . وهذا يختلف تماما عن التثليث الذي يزعم النصارى أن الثلاثة الحقيقية هي الواحد الحقيقي ، والواحد الحقيقي هو الثلاثة ، فهذا الذي ما لا يطبق العقل قبوله ، وفهمه .

ولابد من الإشارة هنا إلى أن التثليث لم يرد بهذا الاسم ولا مرة واحدة في جميع كتب العهد القديم أو الجديد وأن أول من نطق به هو « تيوفيليوس » أسقف أنطاكية السادس والمعتقد أنه توفي بعد ١٨٠ م .

قال القس « حنا الخضري » : (إن أول شخص استعمل كلمة ثالث في تاريخ العقيدة المسيحية هو أسقف أنطاكية ، ولقد استعمل هذا الاصطلاح في صيغة غريبة وهي (ثالث الله) كما أنه يرى في الأيام الثلاثة السابقة لخلق الشمس إشارة إلى الثالث)^(١) .

وذكر في « القاموس » : « أنه يظن أن أول من استعمل هذه الكلمة وصاغها هو « ترتليان » في القرن الثاني ثم « إتنا سيوس » ، الذي وضع أساس هذه العقيدة التي قبلها مجمع نيقية عام ٣٢٥ م ، ولقد تبلور ذلك الأساس على يد « أغسطينوس » في القرن الخامس الميلادي وصار القانون عقيدة الكنيسة الفعلية من ذلك التاريخ إلى يومنا هذا^(٢) .

ففي هذا دلالة على أن النصارى ابتدعوا عقيدة التثليث في وقت متأخر جداً والواقع أنهم استوردوها من الأديان الوثنية التي كانت تُحيط بهم ، أو كانوا عليها قبل أن يدخلوا في النصراينة ، فقد ذكر كثير من الكتاب أن التثليث كان منتشراً في كثير من المناطق .

(١) تاريخ الفكر المسيحي ص ٤٦٣ .

(٢) قاموس الكتاب المقدس ص ٢٣٢ .

فمن ذلك قول « يرتشرد » في كتابه (خرافات المصريين الوثنيين) :
 « لا تخلو كافة الأبحاث المأخوذة عن مصادر شرقية من ذكر أحد أنواع
 التثليث أو التولّد الثلاثي أي الأب والابن والروح القدس » .

وجاء في كتاب (سكان أوربا الأول) : « كان الوثنيون القدماء
 يعتقدون بأنّ الإله واحد ذو ثلاثة أقانيم » .

وقال « بنويك » في كتاب (اعتقاد المصريّين) : « وأغرب عقيدة عم
 انتشارها في ديانة المصريّين (الوثنيين القدماء) ، هي قولهم « بلاهوت
 الكلمة » وأنّ كلّ شيء صار بواسطتها وأنّها (أي الكلمة) منبثقة من الله ،
 وأنّها الله »^(١) .

فيتّضح من هذا أنّ مصدر تلك العقيدة الباطلة من الوثنيّين الضالّين قبل
 النصارى ، وهذا ما حذّر الله منه النصارى في قوله عزّ وجلّ : ﴿ يَا أَهْلَ
 الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ
 وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ [المائدة : ٧٧] . وما بينه الله عزّ وجلّ
 لنا في قوله : ﴿ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ
 يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتِلْهُمْ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ [التوبة : ٣٠] .
 وإنّ الإنسان ليعجب بعد هذا من زعم النصارى أنّ التثليث هو الدّين الحقّ
 وأنّ الله لا يقبل من العباد طاعتهم ما لم يأتوه مثلثين !! ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا
 بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ .



(١) انظر هذه النقول وغيرها كثير في كتاب العقائد الوثنية في الديانة النصارية ص ٣٥ ، ٣٦ ، ٤١ .

المطلب الثاني

استدلالات النَّصارى على التَّثليث

ليس للنَّصارى على التَّثليث ما يستحقُّ أن يُسمَّى دليلاً إذ استدلاتهم عليه تدلُّ على أنَّهم لَفَقُوا كلاماً زعموه دليلاً فمن ذلك قولهم :

١ - أنَّ الله عزَّ وجلَّ ورد اسمه بالعبريَّة (ألوهيم) الذي يدلُّ على الجمع وأنَّه استخدم صيغة الجمع في التحدُّث عن نفسه ، في مثل ما ورد في « سيفر التكوين » (١ / ٢٦) : (وقال الله نعمل الإنسان) .

٢ - ألفاظ الصُّورة الموضوعة للمعموديَّة وهي : (عمدوا باسم الأب والابن والروح القدس) الواردة في « إنجيل متى » (٢٨ / ١٩) .

٣ - ظُروف معموديَّة المسيح حيث ورد في « إنجيل متى » (٣ / ١٦) : « فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء ، وإذا السَّموات قد انفتحت له ، فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وأتياً عليه وصوت من السَّموات قائلاً : هذا هو ابني الحبيب الذي به سررتُ »^(١).

بهذه الأدلَّة التي هي أوهى من خيوط العنكبوت يزعم النَّصارى أنَّ الله ثلاثة وأنَّ هؤلاء الثلاثة واحد ، ويتركون جميع أسفار العهد القديم التي نصَّت على وحدانيَّة الله وانفراده جلَّ وعلا في وحدانيَّة الذات والصفات والعبادة وكذلك جميع النُّصوص الواردة في العهد الجديد التي تدلُّ على ذلك أيضا .

○ ○ ○ ○

(١) انظر : حقائق أساسية في الإيمان المسيحي ص ٦١ .

المطلب الثالث

إبطال ونقض ما استدلوأ به على التثليث

أدلة النَّصارى المذكورة هي من السَّخف والضعف بحيث يهْمُ العاقل بالإعراض عنها . إلاَّ أنَّه لا بُدَّ من الردِّ عليهم لأنَّ استدلالهم بها يعني أنَّ لها شأنًا عظيمًا في نفوسهم ، فنقول :

أما الدليل الأول :

فدعواهم في أنَّ (ألوهيم) تعني الجمع فهذا باطل بتَّصُّ التَّوراة التي نصَّت على أنَّ الله واحد^(١) .

كما أنَّ اليهود الذين وُجِّه إليهم الخطاب بهذا لم يفهموا ذلك ولم يعملوا به بل يعتبرون أنَّ ادِّعاء إله غير الإله الواحد الذي هو الله شرك أكبر يستحقُّ معتقده القتل . كما أنَّ كلمة (ألوهيم) كما يذكر الدَّارسون واردة في نصٍّ من النُّصوص التي تتكون منها التَّوراة الحاليَّة وأنَّه يقابلها في النصِّ الآخر لنفس القصَّة لفظ : (يهوه)^(٢) . أمَّا ما أورده من « سفر التَّكوين » ، فلا يعني أكثر من أنَّها وردت على صيغة التَّعظيم .

ومن أولى بالتَّعظيم والتَّفخيم في الخطاب من الله عزَّ وجلَّ ، كما أنَّ معات الأقوال واردة في العهد القديم على لفظ الإفراد ، فكيف تُترك تلك المعات ويُؤخَذ بهذه اللفظة الواحدة وشبهها .

(١) سيأتي إيراد النُّصوص في هذا ص ٢٠٢ .

(٢) انظر في بيان النُّصوص كتاب القرآن الكريم والتَّوراة والإنجيل والعلم ص ٢٣ .

أما الدليل الثاني :

وهو لفظ المعمودية (عمدوا باسم الأب والابن والروح القدس) فهؤلاء ثلاثة وليسوا واحداً ، ولا تعني أكثر من طلب الإيمان بهؤلاء الثلاثة الذين هم الله جلّ جلاله ، ورسوله المسيح ، والملك جبريل عليه السلام ، كلٌّ على ما يليق به إذا صدق راوي هذه العبارة وسيأتي زيادة إيضاح لهذه العبارة في الكلام على الروح القدس^(١) .

أما الدليل الثالث :

فعلى فرض صحة الرواية بذلك فهي تدلُّ على ثلاثة وهم : المسيح الذي اعتمد ، والروح القدس الذي نزل على شكل حمامة ، وقائل من السماء (هذا ابني الحبيب) .
فأين أن هؤلاء الثلاثة واحد ، هذا ما لا يستطيع النصارى إثباته لا نقلاً ولا عقلاً .

○ ○ ○ ○

(١) انظر ما يأتي ص ٢١٥ .

المطلب الرابع

أدلة إثبات الوحدانية وإبطال التثليث من العهد القديم والأناجيل

التوحيد دين الرُّسل جميعًا ولم يخالف في ذلك إلا ضلال النَّصارى ومنحرفوهم ، وهو أوضح مطالب التَّوراة والكتب الملحقة بها إذ يقوم الكتاب كُلُّه على التَّوحيد ومحاربة الشُّرك والوثنيَّة بكُلِّ أشكالها .

❖ ومن الأدلَّة على هذا ما ورد في « سِفْر التَّثْنِيَّة » (٤ / ٣٥) : (إِنَّكَ قَدْ أَرَيْتَ لَتَعْلَمَ أَنَّ الرَّبَّ هُوَ الْإِلَهِ لَيْسَ آخَرُ سِوَاهُ) .

❖ وكذلك ما ورد في « سِفْر التَّثْنِيَّة » (٦ / ٤) : « اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلَ الرَّبَّ إِلَهَنَا رَبٌّ وَاحِدٌ » .

❖ وفي « إِنْجِيل مَتَّى » (٤ / ٧) : « قَالَ لَهُ يَسُوعُ اذْهَبْ يَا شَيْطَانِ . لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ لِلرَّبِّ إِلَهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ » .

❖ وكذلك ورد في « إِنْجِيل لُوقَا » (٤ / ٨) .

❖ وفي « إِنْجِيل مَرْقَسَ » (١٢ / ٢٨) : أَنَّ أَحَدَ الْيَهُودِ سَأَلَ الْمَسِيحَ « أَيُّهُ وَصِيَّةٌ هِيَ أَوَّلُ الْكُلِّ فَأَجَابَهُ يَسُوعُ : إِنَّ أَوَّلَ كُلِّ الْوَصَايَا هِيَ اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلَ الرَّبَّ إِلَهَنَا رَبٌّ وَاحِدٌ ... فَقَالَ لَهُ الْكَاتِبُ : جَيِّدًا يَا مُعَلِّمُ بِالْحَقِّ قُلْتَ لِأَنَّهُ اللَّهُ وَاحِدٌ وَلَيْسَ آخَرُ سِوَاهُ » .

فهذه وصيَّة المسيح وأَنَّهَا أَوَّلُ الْوَصَايَا وَأَعْظَمُهَا وَلَوْ كَانَ يَقُولُ بِالتَّثْلِيثِ لَوَجِبَ عَلَيْهِ أَنْ يَنْصَرَّ عَلَيْهِ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ إِذْ كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مُبَلِّغًا

عن الله عزَّ وجلَّ ولم يوضَّح أهم ما أُمِر به .

وفي « إنجيل يوحنا » (١٧ / ٣) : أن المسيح عليه السَّلام قال في آخر أيامه : « وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ، ويسوع المسيح الذي أرسلته » .

لقد أنطق الله هؤلاء الكُتَّاب بالحق الذي لا حقَّ غيره ، وهو أن لا إله إلا الله وحده وعيسى المسيح رسول الله ، فأين هذا الكلام التَّوراتي الواضح من دعوى التَّثليث المظلمة التي افتراها ضلال النَّصارى وغلوا في دينهم وقالوا بها على الله غير الحق . قال عزَّ وجلَّ : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [النساء : ١٧١] .

○ ○ ○ ○

المطلب الخامس

الأقانيم الثلاثة تعريفها وادلتهم عليها وبيان بطلان تلك الأدلة

النصارى يزعمون كما سبق بيانه بأن الله ذو ثلاثة أقانيم^(١) :

١- الأب .

٢- والابن .

٣- والروح القدس .

وسنبيّن مرادهم بكلّ واحد من هذه الأقانيم ، ونبيّن بطلانه .

★★★★

(١) الأَقْنوم : كلمة يونانية الأصل تدلّ على شخصيّة متبيّرة وبوازيها في الإنجليزية كلمة Person أي شخص . انظر : حقائق أساسيّة في الإيمان المسيحيّ ص ٥٢ .

١- الألقوم الأول : الأب

١- المراد به : يُرادُّ به عندهم الذات الإلهية مجردة عن الابن والروح القدس ، وهو بمنزلة الأصل والمبدأ لوجود الابن ، مع أنَّ هذا لا يعني لديهم أنَّ الأب سبق الابن في الوجود بل الابن أزلِّي الوجود معه لم يسبق أحدهما الآخر .

٢ - أدلَّتْهم على أبوة الله للمسيح تعالى الله عن قولهم :

وردت كلمة الأب لدى النصارى في العهد الجديد في مواطن عديدة وورد في بعضها نسبة ؛ أبوة الله للمسيح .

منها ما ورد في « إنجيل متى » (١٠ / ٣٢) : (فكل من يعترف بي قدام الناس أعترف أنا أيضًا به قدام أبي الذي في السموات) .

وأيضا قوله عن وقت القيامة (٢٤ / ٣٦) : (وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد ولا ملائكة السموات إلا أبي وحده)^(١) .

ورد في « إنجيل لوقا » (٢ / ٤٩) من كلام المسيح لأُمّه وزوجها في زعمهم : (فقال لهما : لماذا كنتما تطلبانني ألم تعلما أنه ينبغي أن أكون في ما لأبي)^(٢) .

وورد أيضا في « إنجيل يوحنا » (٨ / ١٩) : (فقالوا له : أين هو أبوك ، فأجاب يسوع : لستم تعرفونني ، أنا ولا أبي لو عرفتموني لعرفتم

(١) وانظر أيضًا في إنجيل متى (١٢ / ٦) (١٥ / ١٣) (١٦ / ١٧) (١٨ / ١٠ ، ١٩ ، ٣٥)

(٢٠ / ٢٣) (٢٤ / ٣٦) (٢٥ / ٣٤) (٢٦ / ٢٩) .

(٢) وانظر في إنجيل لوقا (٢٢ / ٢٩) .

أبي أيضًا^(١) .

فبناءً على هذه النصوص زعم النصارى أن الله تعالى « أب » للمسيح أبوة حقيقية ، وهو كلام باطل ، ووهم خاطئ . وافترأ على الله ؛ تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً .

٣ - الرد عليهم وبيان بطلان قولهم :

الرد عليهم وبيان بطلان قولهم من وجوه :

أولاً : أن النصارى اعتمدوا في إثبات هذا على ألفاظ وردت في الأناجيل الأربعة وغيرها من كتب العهد الجديد ، وهذه الأناجيل كما سبق بيانه لا تصلح أن تكون مستنداً لهذا لأنها كتب غير موثقة ، ولم يستطع النصارى أن يثبتوا صحة نسبتها إلى الأشخاص الذين نسبت إليهم فضلاً عن أن ينسبوا إلى المسيح عليه السلام أو إلى الله عز وجل .

كما أن بينها اختلافات عديدة في هذه الألفاظ نفسها فكلمة (أبي) وردت في إنجيل متى من كلام المسيح ما لا يقل عن اثنتي عشرة مرة ، ولا تكاد تراها في إنجيل مرقس أما إنجيل لوقا فذكرت في موضعين تقريباً ، وأما إنجيل يوحنا فوردت فيه فيما يقارب ثمانية عشر موضعاً^(٢) يدل على أن هذه الكلمة تتبع عقيدة خاصة وفهما خاصاً لدى الكاتب لا يرتبط فيه ولا يلتزم بعبارة المسيح وألفاظه ، وإنما يكتبها ويعبر عنها الكاتب وفق عقيدته وتصوره .

(١) وانظر أيضاً إنجيل يوحنا في (٥ / ١٨ ، ٤٣) ، (٦ / ٣٢ ، ٦٥) ، (٨ / ٢٨ ، ٣٨ ، ٤٩ ،

٥٤) ، (١٠ / ٢٥ ، ٢٩ ، ٣٧) ، (١٤ / ٢١ ، ٢٨) ، (١٥ / ١ ، ٢٤) .

(٢) انظر هذه المواضع فيما تقدم ص ٢٠٥ .

مثال ذلك : أنَّ المثال المذكور عن وقت الساعة من إنجيل متى ، ورد فيه :
« أبي وحده »^(١) .

وقد ذكر مرقس في (١٣ / ٣٢) هذه العبارة إلاَّ أنَّها عنده هكذا :
« وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين في
السَّماء ولا الابن إلاَّ الأب » .

فهنا قال الأب بدون ياء النسب وهناك في « متى » قال « أبي » وبينهما فرق عظيم .
ثانيا : أنَّ النصارى لا يعتقدون أنَّ الله أب للمسيح أبوة حقيقية من ناحية أنَّ
الأب غير الابن وأنَّه قبله في الوجود ، بل يرون ويعتقدون أنَّ الله تعالى أب
للمسيح وهو في نفس الوقت هو هو وليس هو غيره ولم يسبق الأب الابن في
الوجود ، وهذا يجعل كلمة الأب الواردة في الأناجيل لديهم ليس لها مفهوم
حقيقي ، وهذا يطل استدلالهم بهذه النصوص ويجعلهم يستدلُّون بها على
غير ما يقصدون ويعتقدون .

ثالثا : على فرض صحَّة الروايات الواردة لديهم في الأناجيل في كلمة
« الأب » فيجب أن تُفسَّر على معنى غير الأبوة الحقيقية لأمرين :

١ - أنَّهم أوردوا على لسان المسيح كلاما كثيرا لا يمكن أن يُحمَلَ على المعنى
الظاهري بل لابدُّ من حمله على المجاز .

كقوله : (فقال لهم يسوع : أنا هو خبز الحياة) « يوحنا » (٦ / ٣٥)

وأيضا أنه قال لليهود : « أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم

تريدون أن تعلموا » « يوحنا » (٨ / ٤٤) .

فهذا كلام لا يُؤخذُ على ظاهره فكذلك أبوة الله للمسيح .

٢ - أن نسبة الأبوة إلى الله ليست خاصة في المسيح بل وردت في العهد القديم وفي الأناجيل منسوبة إلى غير المسيح .

ومن ذلك ما ورد في « سفر صموئيل الثاني » (١٤ / ٧) في كلام الله في زعمهم عن سليمان بن داود عليهما السلام : « أنا أكون له أبا وهو يكون لي ابنا » .

وورد في « إنجيل متى » (١ / ٦) من كلام المسيح لتلاميذه : « احترزوا من أن تصنعوا صدقتكم أمام الناس لكي ينظروكم ، وإلا فليس لكم أجر عند أبيكم الذي في السموات »^(١) .

وفي « إنجيل مرقس » (١١ / ٢٥) من قول المسيح لتلاميذه أيضا : « ومتى وقفتم تصلون فاغفروا إن كان لكم على أحد شيء لكي يغفر لكم أيضا أبوكم الذي في السموات زلاتكم ، وإن لم تغفروا أنتم لا يغفر لكم أبوكم الذي في السموات أيضا زلاتكم » .

وفي « إنجيل لوقا » (١١ / ٢) من قول المسيح لتلاميذه : « فقال لهم : متى صليتم فقولوا أبانا الذي في السموات » .

وفي « إنجيل يوحنا » (١٧ / ٢٠) وهو من آخر كلام المسيح بعد القيامة المزعومة : « قال لها يسوع لا تلمسيني لأنني لم أصعد بعد إلى أبي ولكن اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم إني أصعد إلى أبي وأبيكم واللهي

(١) وانظر للاستزادة في إنجيل متى (٦ / ٦ ، ١٤ ، ١٨ ، ٢٣) ، (٧ / ١١) ، (١٠ / ٢٠ ، ٢٩) ، (١٣ / ٤٣) ، (١٨ / ١٤) .

والهكم .

فهذه النصوص على فرض صحتها فيها دلالة واضحة على نسبة أبوة الله تعالى للتلاميذ ، والمراد بها في كلام النصارى في هذه المواضع أبوة النعمة^(١) وما سبق ذكره من أبوة الله للمسيح لا تختلف عن هذه النصوص ، فإذا ليس في هذا اللفظ ما يدل على معتقد النصارى في الله وأنه أب للمسيح سوى من ناحية النعمة والإحسان .

○○○○

(١) انظر : قاموس الكتاب المقدس ص ١٨ .

ب - الأقبوس الثاني ، الابن

١ - المراد به : يُراد بالابن عندهم كلمة الله المتجسدة وهو المسيح عليه السلام ويزعمون أن الابن مساو للأب في الوجود وأن الأب خلق العالم بواسطة الابن وأنه الذي نزل إلى الأرض بالصورة البشرية فداء للبشر ، وهو الذي يتولى محاسبة الناس يوم القيامة . تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا .

٢ - أدلتهم على أن المسيح ابن الله ؛ تعالى الله عن قولهم :

يستدل النصارى لذلك بما ورد في الأناجيل من النصوص التي تنسب المسيح ابنا لله .

ومن تلك النصوص ما ورد في « إنجيل متى » (١٦ / ١٦) من قول بطرس له لما سأله المسيح عن نفسه ماذا يقول الناس عنه قال : « أنت هو المسيح ابن الله الحي »^(١)

وفي « إنجيل يوحنا » (١١ / ٤) ورد على لسان المسيح في زعمهم : « فلما سمع يسوع قال : هذا المرض ليس للموت بل لأجل مجد الله ليعتجد ابن الله »^(٢) .

فمثل هذه الإطلاقات اعتقد النصارى أن المسيح ابن الله بمعنى أنه خرج من الله عز وجل وهو قول باطل وافتراء على الله عز وجل .

(١) وانظر في متى هذا الإطلاق في (١٧ / ٣) ، (٢٩ / ٨) ، (٣٣ / ١٤) ، (٤٣ / ٢٧) ،

ورود في إنجيل مرقس في ثلاث مواضع فقط (٣ / ١١) ، (٦ / ٥) ، (١٥ / ٣٩) ، وفي

إنجيل لوقا في ثلاث مواضع كلها من كلام إبليس والشياطين وهي في (٤ / ٣ ، ٩ ، ٤١) .

(٢) وانظر في إنجيل يوحنا في (١ / ١٨ ، ٤٩) ، (٣ / ١٦ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٥ ، ٦ / ٧٠) ،

(٩ / ٣٥) ، (١١ / ٧) ، (١٩ / ٧) ، (٢٠ / ٣١) .

٣ - الرد عليهم وبيان بطلان قولهم :

ما أورد النصارى من أدلة لا تصلح أن تكون مستنداً لإثبات عقيدة خطيرة كهذه لما يلي :

أولاً : أن كتبهم التي يستندون إليها في هذا هي كتب غير موثقة وغير سليمة من التحريف وقد سبق بيان هذا .

ثانياً : أن البنية التي يزعمها النصارى تختلف عن ظاهر لفظ « ابن الله » الوارد في الأناجيل ، فالابن في الأصل جزء من الأب ومتخلق من نطفته ويكون الأب سابقه في الوجود والفضل له في وجوده ، وما يعتقد النصارى في المسيح لا يتفق مع البنية الحقيقية ، وإنما يزعمون أن الابن هو الأب ، وأنه مساو له في الجوهر والوجود وهي أمور لم ترد في الأناجيل ، ولا يستطيع النصارى أن يقيموا عليها الدليل العقلي فضلاً عن الشرعي .

ثالثاً : أن هذا اللقب وهو « ابن الله » أطلق على غير المسيح في مواطن كثيرة من أناجيلهم .

« منها في « إنجيل متى » (٥ / ٩) « طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون » .

« وفي (٥ / ٤٥) أن المسيح خاطب تلاميذه قائلاً : « وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات » .

« وفي « إنجيل يوحنا » (١ / ١٢) فقد ورد عن المؤمنين بالمسيح : « وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنين باسمه الذين

ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله .
 وفي « إنجيل لوقا » (٢٠ / ٣٦) قال : « لأنهم مثل الملائكة وهم أبناء
 الله أبناء القيامة » .

كما ورد وصف يعقوب وبنيه بذلك .

كما ورد في « سفر الخروج » (٤ / ٢٢) أن الله خاطب موسى قائلا
 له : « فاقول لفرعون هكذا يقول الرب : اسرائيل ابني البكر ، فقلت لك
 أطلق ابني ليعبدني) .

وكذلك ورد في « سفر أشعيا » (٤٣ / ٦) : « اتت ببني من بعيد
 وبناتي من أقصى الأرض » .

والنصارى لا يقولون إن بني إسرائيل والحواريين أبناء الله حقيقة ، وإنما
 يقولون هذه بنوة مجازية تعني العبادة من طرف العباد ، والحفظ واللفظ
 والرعاية من قبل الله عز وجل لهم^(١) فكذلك إذا ما ورد من بنوة المسيح لله لا
 تعني غير ذلك ، إذ أن العبارتين واحد فيجب أن يستويا في الدلالة والمعنى ما
 لم يذلل دليل على خلاف ذلك ، وليس هناك ما يدل على خلاف ذلك .
 رابعا : أن المسيح عليه السلام قد دلت الأدلة الكثيرة على بشريته وأنه
 رسول الله^(٢) كما أوردت الأناجيل وصف نفسه بأنه ابن الإنسان وابن داود
 وغير ذلك من الألقاب الدالة على النص على بشريته .

ومن ذلك ما ورد في « إنجيل متى » (٨ / ٢٠) : « فقال له يسوع :

(١) انظر : قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٩ .

(٢) انظر : ما سبق في فصل نشأة النصرانية وطبيعتها .

للشعالب أجرة ولطيور السماء أوكار . وأما ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه ^(١) .

وفي « إنجيل مرقس » (٢ / ٢٨) « ابن الإنسان ، هو رب البيت أيضا » ^(٢) .

وفي « إنجيل لوقا » (٧ / ٣٤) من كلام المسيح لليهود : « جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب فتقولون هو ذا إنسان أكل شرب خمر محب للعشارين والخطاة » ^(٣) .

وفي « إنجيل يوحنا » (١ / ٥١) : « الحق أقول لكم من الآن ترون السماء مفتوحة وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الإنسان » .
وفيه أيضا (٨ / ٤٠) يقول لهم المسيح : « وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعته من الله » ^(٤) .

(١) وتكرر هذا الوصف في إنجيل متى في المواضع التالية : (٦ / ٩) ، (١٠ / ٢٣) ، (١١ / ١٩) ، (١٢ / ٨ ، ٣٢ ، ٤٠) ، (١٣ / ٤١) ، (١٦ / ١٣) ، (١٧ / ٩ ، ١٢ ، ٢٢) ، (١٨ / ١١) ، (١٩ / ٢٨) ، (٢٠ / ١٨ ، ٢٨) ، (٢٤ / ٢٧ ، ٣٠ ، ٣٧ ، ٣٩) ، (٢٥ / ١٣) ، (٢٦ / ١) ، (٤٥ / ٦٤) .

(٢) وانظر أيضا هذا اللفظ فيه في (٢ / ١٠) ، (٨ / ٣٨ ، ٣١) ، (٩ / ٩ ، ١٢) ، (١٠ / ٣٣) ، (١٣ / ٢٦) ، (١٤ / ٢١ ، ٤١) ، وابن داود في (١ / ٤٨) .

(٣) وانظر أيضا (٥ / ٢٤) ، (٦ / ٥٦ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٢٢ ، ٥٨) ، (١١ / ٣٠) ، (١٢ / ٨ ، ١٠ ، ٤٠) ، (١٧ / ٢٢ ، ٣٦ ، ٣٠) ، (١٨ / ٢١ ، ٢٨) ، (١٩ / ١٠) ، (٢١ / ٢٧) ، (٢٢ / ٢٢ ، ٤٩) .

(٤) وانظر أيضا فيه في (٣ / ١٤ ، ١٣) ، (٥ / ٢٧) ، (٦ / ٢٧ ، ٦٢) ، (١٢ / ٣٤) ، (١٣ / ٣١) .

فورد وصف نفسه بأنه ابن الإنسان في ثمانية وستين موضعاً تقريباً في الأناجيل الأربعة ، أمّا ما ورد وفيه إطلاق (ابن الله) عليه فقد ورد في ثلاثة وعشرين موضعاً تقريباً في الأناجيل الأربعة ، منها أربعة مواضع فقط التي ورد فيها هذا الوصف من كلام المسيح ، أمّا الباقي فليس من كلام المسيح بل بعضه من كلام إبليس والشياطين فكيف يترك الظاهر الواضح الذي تؤيده النصوص الكثيرة ، والواقع والذي يتفق مع العقل والمنطق إلى المعنى الخفيّ البعيد الذي تعارضه النصوص ولا يتفق مع العقل ولا المنطق .



ج - الأَقْنُومُ الثَّالِثُ : الرُّوحُ الْقُدُسُ

١ - المراد به : يُرَادُ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ الْأَقْنُومُ الثَّالِثُ وَهُوَ عِنْدَهُمْ مَسَاوٍ لِلْأَبِ وَالابْنِ فِي الذَّاتِ وَالْجَوْهَرِ وَالطَّبَعِ وَهُوَ فِي كَلَامِهِمْ رُوحُ اللَّهِ الَّذِي يَتَوَلَّى تَأْيِيدَ أَتْبَاعِ الْمَسِيحِ وَتَطْهِيرَهُمْ ^(١) .

٢ - أَدْلَتُهُمْ عَلَى قَوْلِهِمْ فِي الرُّوحِ الْقُدُسِ وَالرَّدُّ عَلَيْهِمْ :

يَسْتَدِلُّ النَّصَارَى عَلَى قَوْلِهِمْ بِالْوَهِيَّةِ الرُّوحِ الْقُدُسِ بِأَنَّ الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ لَدَيْهِمْ وَصَفَ الرُّوحَ الْقُدُسَ بِصِفَاتٍ لَا يُوصَفُ بِهَا إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَدَلَّ هَذَا عِنْدَهُمْ عَلَى أَلُوَهِيَّتِهِ ^(٢) .

الرَّدُّ عَلَيْهِمْ بِأَن يُقَالَ :

إِنَّ مَا أوردوه من ذلك ممَّا في العهد القديم فلا حجة لهم فيه ، لأنَّ اليهود الَّذِينَ هم في الأصل أهل تلك الكتب لم يفهموا منها ذلك ، ولا يرون فيه سوى أَنَّهُ أَحَدُ مَلَائِكَةِ اللَّهِ يرسله اللَّهُ بما يشاء .

أَمَّا مَا أوردته النَّصَارَى من الأناجيل فليس في الأناجيل أي عبارة تدلُّ على المعنى الَّذِي يدعونه في الرُّوحِ الْقُدُسِ وَهُوَ الْأَلُوَهِيَّةُ .

فقد ورد اسم الرُّوحِ الْقُدُسِ فِي حَمَلِ مَرْيَمَ بِالْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي « إِنْجِيلِ مَتَّى » (١ / ١٨) : « لَمَّا كَانَتْ مَرْيَمُ مَخْطُوبَةً لِيُوسُفَ قَبْلَ أَنْ يَجْتَمِعَا وَجَدَتْ حُبْلَى مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ » .

(١) ، (٢) انظر حقائق أساسية في الإيمان المسيحي ص ٦٠ ، قاموس الكتاب المقدس ص ٤١٤ ،
التصانيف من التوحيد إلى التثليث ص ٢٣٥ .

والروح القدس في هذه القصة المراد به جبريل عليه السلام ، كما فسره بذلك « لوقا » في إنجيله (١ / ٢٦) : « وفي الشهر السادس أرسل جبرائيل الملاك من الله إلى مدينة من الجليل اسمها ناصرة إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف واسم العذراء مريم » .

فعلى هذا التفسير يكون الروح القدس المراد به جبريل عليه السلام في كل موطن ورد ذكره فيه ، إلا أن تكون الصفة المطلقة عليه لا تُطلق إلا على الله عز وجل فهنا لابد من التحقق من صحة العبارة ودقة نقل الألفاظ .

ومما ورد لديهم في هذا ما أورده في إنجيل يوحنا عن (الباركليت) أو المعزى **فمما قالوا فيه (١٦ / ١٢) : « وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمر آتية » .**

فهذا فيه دلالة واضحة على أن الموصوف بأنه روح الحق شخصية مستقلة وهو مبلغ لرسالة أوكل إليه تبليغها . فليس فيه ما يدل على ألوهيته ولا أنه جزء من الإله ، ولا للزم أو أن يكون الأنبياء آلهة أيضا ، لأنهم يعلمون كل ما علمهم الله به ويخبرون عن أمور آتية مستقبلية .

أما ما أورده في « إنجيل متى » (٢٨ / ١٩) أن المسيح قال لتلاميذه بعد قيامته : « فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس » .

فأولا : هذا النص لم يذكره إلا صاحب إنجيل « متى » وهو إنجيل غير موثق وغير ثابت النسبة إلى « متى » الحواري .

ثانيا : على فرض صحّة هذه العبارة فإنّ هؤلاء ثلاثة وليسوا واحداً وكلّ واحد منها له مدلوله الواضح تفسيره فالأب هو الربّ .

أمّا الابن فلا يمكن أن يكون البنوّة الحقيقية ، وقد سبق بيان هذا^(١) وأنّ المراد به العبد الصّالح فيكون المقصود به المسيح عليه السّلام وهو عبد الله ورسوله .
 أمّا الرّوح القدس فلا يمكن أن يكون المقصود به جزء من الإله الذي هو صفة الحب أو الحياة أو نحو ذلك إذ هذه لا دليل عليها إنّما يعني الملك جبريل عليه السّلام كما هو مصرّح به في رواية لوقا السّابق ذكرها بأنّ الملك جبريل هو الذي نزل على مريم فتكون العبارة هي دعوة النّاس إلى الإيمان بالله والنّبّي والملك .



(١) انظر ماتقدم ص ٢٠٨ .

المطلب السادس

الاتحاد : (التَّجَسُّد)

الاتحاد لدى النَّصَارَى المراد به هو : أَنَّ اللَّهَ - تبارك وتعالى - اتخذ جسد المسيح له صورة ، وحلَّ بين النَّاسِ بصورة إنسان هو المسيح^(١) - تعالى اللَّهُ عَمَّا يقولون .

أدلتُّهم على دعواهم في الاتحاد (التَّجَسُّد) :

النَّصَارَى يزعمون أَنَّ لهم أدلَّةً على هذه الدعوى .

ومن أظهر ما يستدلُّون به على ذلك ما ورد في « إنجيل يوحنا » في بدايته (١ / ١ - ١٤) من قول صاحب الإنجيل : « في البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند اللَّهِ ، وكان الكلمة اللَّه ... والكلمة صار جسداً وحلَّ بيننا » .

ومن أدلتُّهم أيضًا ما ورد في « إنجيل متى » (١ / ٢٣) من البشارة بالمسيح وهو قولهم : « وهذا كله كان لكي يتمَّ ما قيل من الرَّبِّ بالنَّبِيِّ القائل : هو ذا العذراء تحبل وتلد أبنًا ، ويدعون اسمه : عمانوئيل الَّذي تفسيره اللَّه معنا » .

ويستدلُّون أيضًا يقول بولس في « رسالته الأولى لتيموثاوس » (٣ / ١٦) : « عظيم هو سرُّ النَّصْرَى . اللَّه ظهر في الجسد . تبرَّر في الرُّوح » .

كما يستدلُّون أيضًا بما ورد في « الرسالة إلى العبرانيين » (١ / ٢) :

(١) انظر حقائق أساسية في الإيمان المسيحي ص ٧٦ - ٧٧ .

« الَّذِي بِهِ أَيْضًا عَمَلُ الْعَالَمِينَ الَّذِي هُوَ بِهَاءِ مَجْدِهِ وَرِسْمِ جَوْهَرِهِ وَحَامِلُ كُلِّ الْأَشْيَاءِ بِكَلِمَةِ قُدْرَتِهِ » .

فهذا أهم ما يستدلُّون به ويعوِّلون عليه في هذه القضية الخطيرة والعقيدة العجيبة .

الردُّ عليهم :

يُردُّ على النَّصَّارى في هذه العقيدة الباطلة من عدَّة أوجه :
أولًا : هذه العقيدة من المستحيل عقلًا قبولها لأنها تعني أَنَّ اللَّهَ جَلَّ جلاله وتقدَّست أسماؤه قد تقمَّص هيئة النُّطفة أو هيئة الجنين ودخل في بطن مريم وعاش في تلك الأحوال والأقدار فترة من الزَّمن يرتضع الدَّم ثم اللبن وتمرُّ عليه أحوال وأطوار الجنين والوضع ثم الطُّفولة ومستلزماتها .

فهل في الأقوال والتَّصوُّرات أشدَّ بطلانًا وأقبح تصوُّرًا من هذه العقيدة وهذه المقولة ، إِنَّ الْإِنْسَانَ السَّوْيَّ ليعجز عن التَّعبير عن قباحة مثل هذه اللوازم لهذه المقولة الفاسدة .

ثم يُقالُ لهم من الَّذي كان يدير العالم ويدبر شؤونه وربّه وسيده ومدبِّره في زعمهم في بطن امرأة يتقلَّب بين الفرث والدَّم .

فهل يعقل النَّصَّارى ما يقولون ويزعمون أم لا يعقلون ؟!

ثانيًا : إِنَّ دعوى التَّجسُّد لديهم بما فيها من اللوازم الفاسدة والتَّصوُّرات القبيحة المهينة في حقِّ اللَّه جَلَّ جلاله وتقدَّست أسماؤه إنما هي مبررات للصُّلب ثم الفداء في زعمهم وسيأتي بيان بطلان ذلك كُلِّهِ^(١) وأنها من

(١) انظر ما تقدم ص ٢٢٥ وما بعدها .

مخترعات النَّصاري التي لا دليل عليها ، فعلى ذلك فما بُني على باطل فهو باطل أيضًا .

ثالثًا : ما يستندون إليه مما ورد في إنجيل يوحنا فقد سبق بيان عدم الثقة به لعدم وجود إسناد يثبت صحة ذلك الإنجيل ، وأنه أقل الكتب نصيبًا من الصحة بل صرح الكثير من النَّصاري كما سبق بيانه بأنه « إنجيل مزور »^(١) . كما أنَّ النصَّ المذكور منه هو نصٌّ مضطرب لفظًا ومعنى ولا يتضح مدلوله وإنما ينبئ عن عقيدة مهزوزة مضطربة ليست واضحة المعالم .

فقلوه : « في البدء كان الكلمة » ما هو الذي كان الكلمة ؟ إذا كان الله تعالى ؟ فهل الله كلمة ؟ هذا ما يبدو من سياق العبارة حيث يضيف « وكان الكلمة الله » فهل في عقيدة النَّصاري أنَّ الله كلمة ؟

ذلك باطل ولا يقول به النَّصاري ، كما أنَّ معنى ذلك أنَّ كلمة أنتجت كلمة والكلمة الأولى هي الله والكلمة الثانية المسيح ، ولا يقول النَّصاري بذلك ، فهي عبارة مضطربة لا معنى لها في عقيدة النَّصاري .

ثم ما المراد بالبدء ؟ هل يعني ذلك بداية الله أم بداية الكلمة التي يزعمون أنَّها المسيح ؟ كلاهما باطل في عقيدة النَّصاري فهم يعتقدون أنَّ الله أزلي والكلمة معه أزلية ؟ وأنَّ الله لم يسبق المسيح في الوجود^(٢) فهذه أيضًا لا مدلول ولا معنى لها في عقيدة النَّصاري بل هي تناقض عقيدتهم .

ومابعدها أعجب منها حيث يقول : « وكان الكلمة عند الله » فكيف هي الله

(١) انظر ما سبق ص ١٥٥ ، ١٥٦ .

(٢) انظر ما سبق ص ١٩١ .

وكيف هي عنده ؟ هذا ما لا يقبله العقل السليم ، أمّا عقول النصارى الضالة فتقبله لأنهم يزعمون أن المسيح هو ابن الله وهو الله في نفس الوقت .

ثم قوله : « والكلمة صار جسداً ثم حلّ بيننا » هذا بيت القصيد لدى النصارى وهو أن الكلمة تحولت إلى جسد وهو المسيح وحلت بين الناس ، ومرادهم بالكلمة في تأويلاتهم الفلسفية عقل الله أو فكر الله ، وهي مقولة الفلاسفة الوثنيين حيث زعموا أن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد وهذا الذي صدر عنه هو العقل الفعال وهو الذي خلق العالم بواسطته وهذه مقولة الفلاسفة^(١) اقتبسها كاتب الإنجيل وضمنها كتابه بدون مستند من وحي سماوي .

رابعاً : النصّ المذكور من إنجيل متى واستشهادهم بالنبوة السابقة قد سبق بيان أنها غلط من أغلاطهم ومن دلائل تحريفهم وأن ما كتبوه إنما أملاه البشر وليس من عند الله ، إذ أن هذه النبوة المقصود بها شخص آخر ولد وتحققت النبوة في زمن ذلك النبيّ أشعياء كما نصّر على ذلك العهد القديم^(٢) .

فعليه فهو استشهاد خاطئ وما بُني عليه خطأ وضلال ، ثم إن النصارى لتعمّقهم في إضلال أنفسهم وأتباعهم يحرفون تفسيره من « الله معنا » إلى « الله ظاهر لنا »^(٣) ومعلوم أن معية الله لا يتّضح منها التجسّد صراحة فأضافوا « الله ظاهر لنا » حتى تكون مفسّرة للمعية ، وهذا من تعمّقهم في الضلال

(١) انظر : موسوعة الفلسفة (١ / ١٩٧) في ذكره للأفلاطونية المحدثة .

(٢) انظر ما سبق ص ١٦٨ .

(٣) انظر كتاب « الله طرق إعلانه عن ذاته » لعوض سمعان ص ٣٣ ، نقلاً عن كتاب « المسيح في

القرآن ، لعبد الكريم الخطيب ١٧٧ .

وإضلال الناس .

خاصة : ما أورده من كلام بولس هو كلام مردود عليه وغير مقبول إذ يجب أن يبين مستنده لما يقول من كلام المسيح نفسه ولأنه يعتبر مدع كاذب ، وهذه حقيقة هذا الرجل الذي أضل النصارى عن دين المسيح حيث تُنسب إليه جميع التحريفات التي عليها النصارى .

سادساً : ما أورده من « الرسالة إلى العبرانيين »^(١) فإنَّ صحَّ كلامهم في نسبة الرسالة إلى بولس فالقول فيها ما سبق . وإن لم يثبت نسبتها إلى بولس فكيف يأخذ النصارى عقيدة خطيرة كهذه من كتاب لا يُعرف كاتبه ولا يدرى من هو ؟!

كما يدلُّنا هذا على مستوى اهتمام النصارى بالأمور الدينيَّة وعنايتهم بصحَّة ثبوتها والثقة بناقليها حيث أنهم اعتمدوا على أقوال المجهولين والتكرات في أخطر عقيدة يعتقدونها وهي التجسُّد المزعوم ، ويبيِّن ذلك لنا مدى وضوح النداء القرآني لهم في قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ [المائدة ٦٨] .

سابعاً : أنَّ هذه العقيدة مع خلوها من النصوص الشرعية التي تثبتتها فهي مناقضة للعقل ويعترف النصارى بذلك ويجعلونها من الأسرار .

وفي هذا يقولون عن التجسُّد : « فهو سرُّ الأسرار الذي فيه يستعلن الله العظيم الأبدي إلى الإنسان الضَّعيف في صورة الناس المنظورة وتحت

(١) الرسالة إلى العبرانيين هي إحدى رسائل العهد الجديد وكاتبها على التحقيق مجهول غير معروف ، وبعض النصارى يزعم نسبتها إلى بولس وبعضهم ينكر ذلك وينسبها إلى آخرين .

انظر : المدخل إلى العهد الجديد ص ٦٨٢ .

حكم الزَّمن ، وبالعقل لا يدرك الإنسان من هذا السِّر شيئاً ، وأنما يمكن للروحانيين بالروح القدس أن يعرفوا حتَّى أعماق الله ^(١) .

لقد قطع النصارى على أنفسهم نعمة النَّظر ، واستخدام العقل الذي وهبهم الله إياه وتحكّموا في أتباعهم بإجبارهم على إلغاء عقولهم فيما يملون عليهم من ترهات وسخافات يزعمهم أنّها سرٌّ لا يُدرَك ولا يُفهم ولا يُعرف . والأمر إذا خلا من الدَّلِيل الشرعيّ والدَّلِيل العقليّ لا يكون إلّا من إملاء الشياطين وأتباعهم .

ثم إنَّ النصارى يخدعون النَّاس بما يزعمون من أنَّ الأمر يُدرَك بالروح القدس فإنَّ هذا من الكلام الفارغ الذي لا معنى تحته لأنهم يزعمون أنَّ قبول شخص من الأشخاص لهذه العقيدة إنّما يتمُّ بالروح القدس فإذا لم يقبلها عقله ولا قلبه بناءً على خلوّها من الدَّلِيل الشرعيّ والعقليّ . قالوا له إنَّ الروح القدس لم يهبك الإيمان بها .

وهذا كلام فارغ إذ من المعلوم أنَّ جميع الوثنيّين يؤمنون بترهاتهم وشركهم ، وإيمانهم بها لم يقم على دليل شرعيّ ولا عقليّ وهذا وجه بطلان عقائدهم . إذا فقبولهم لها تمَّ عن طريق التَّسليم لعلمائهم ودعاتهم بدون دليل أو وعي صحيح فمن هنا يشبه النصارى الوثنيين من ناحية دعواهم وجوب التَّسليم لمقولتهم بدون استناد على الشرع أو استخدام للعقل في القضية .

أمّا الروح القدس فأقبحُ هنا إقحاماً وإلّا فما الذي يثبت أنَّ الروح القدس هو الذي جعل أحدهم يؤمن بما يُقالُ له وليس شيطاناً من الشياطين ؟ كيف يفرق الإنسان بين الاثنين ؟ ليس هناك وسيلة للتَّفريق إلّا بالدَّلِيل الشرعيّ والعقليّ معاً

(١) تأملات في سرِّ التَّجسّد ص ٧ .

. وقد استطاع النَّصَارَى بخبث شديد أن يعطِّلوهما بما زعموا أنَّه سرٌّ .
 وهم إذا عجزوا عن إقامة الدليل على قضية زعموا أنَّها سرٌّ . ومعنى ذلك إما
 أنَّ كبارهم يعلمونه أو لا يعلمونه . والحقيقة أنَّهم لا يعلمونه ولا يدرون له
 وجهًا ، وأنَّ علم الطَّالِبِ المبتدئ منهم مثل علم أكبر القسوس فيهم في مثل
 هذه القضايا ، وإذا كان أمر لا يعرفه الكبير ولا الصَّغير فكيف يقبلونه ؟
 فلا بالشرع اشتناروا ولا بالعقل استرشدوا ، ودعوى أنَّ الرُّوحَ القُدسَ يعلمهم
 دعوى فارغة لا حقيقة لها وإلاَّ وجب أن يوحى إليهم بالسرِّ وهم يعلمونه
 النَّاسَ حتَّى تكون للنَّاس قناعة وهم أنفسهم يجدوا القناعة بما يقولون
 ويعتقدون .

ثم ما هذه الدَّعوى العريضة التي زعموا ، وهي أنَّ الرُّوحانيِّين يعرفون أعماق
 الله ، ماذا يعرفون عن أعماق الله ؟

انظر كيف فتحوا الباب للافتراء على الله والكذب عليه جل وعلا بما لا
 يستطيعون أن يأتوا منه بشيء والله عزَّ وجلَّ يقول : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ
 عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

ويقول : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ [طه : ١١٠] .

جلَّ وعلا عن افتراءات الجاهلين وتخريصات المتخريصين الظَّالمين .

المبحث الثاني

الصليب والفداء

الصليب : هو التعليق على خشبة .

واليهود والنصارى يعتقدون أن المسيح عليه السلام مات مصلوباً وزعم اليهود أن المسيح كفر بالله لهذا حملوا عليه وطالبوا بدمه وزعموا أنه مات مصلوباً . والموت على الصليب يستلزم اللعنة عندهم .

فقد ورد في « سفر التثنية » (٢١ / ٢٢) : « وإذا كان على إنسان خطيئة حقها الموت فقتل وعلقت على خشبة فلا تبت جسده على الخشبة بل تدفنها في ذلك اليوم . لأن المعلق ملعون من الله » .

أما النصارى فهم يعتقدون كذلك أن المسيح مات مصلوباً ، إلا أنهم يعللون ذلك بأنه صلب فداء للبشر لتخليصهم من خطيئة أبيهم آدم عليه السلام ، وهي أكله من الشجرة التي نهي عنها ، فانتقلت تلك الخطيئة إلى أبنائه . وأغضبت الله عليهم أيضاً ، فكان لا بد من وسيط يتحمل هذا الإثم ويرضى بأن يموت على الصليب .

وهذا الوسيط المختص في زعمهم لا بد أن يكون ذا وضع متميز خال من الإثم والخطأ ولا يكون هذا إلا في ابن الله . الذي هو الله في زعمهم ، ثم لا بد أن يكتسب الخطيئة عن طريق الجسد .

فهذا ما جعله يتجسد في صورة عيسى ويخرج من بطن مريم ثم يموت على الصليب فداء للبشر ، فيرضى الله بذلك عن بني آدم وترتفع عنه تلك الخطيئة

إذ أنّه بناءً على عدله عندهم كان لا بُدَّ من العقاب وبناءً على رحمته أنزل نفسه
وصلب نفسه فداء لهم ليرحمهم^(١).

فتبيّن لنا أنّ هنا أمرين وهما الصّلب والفداء فتبيّن كلّ واحد منهما :

■ المطلب الأول : الصّلب .

■ المطلب الثاني : الفداء .



(١) انظر : كلام النصارى في كتاب الخطيئة والكفارة ص ٣٣ ، ٤٣ ، وانظر كلامهم في كتاب
(كفارة المسيح) ص ١٧ - ٢٤ ، و ص ٩٤ - ٩٥ ، وانظر كتاب (ماهي النّصرانيّة ص ٧٦ - ٨٨)

المطلب الأول

الصّلب

أ - قصة الصّلب إجمالاً كما وردت في الأناجيل :

يعتقد النصارى كما سبق بيانه أن المسيح مات مصلوباً . وقصة الصّلب كما وردت في الأناجيل باختصار هي : أن المسيح عليه السّلام طلبه اليهود ليقتلوه لأنّه في زعمهم كفر بالله ، فدللهم على مكانه أحد أتباعه وهو يهوذا الاسخريوطي بعد أن أغروه بالمال ، فقبضوا عليه ليلة الجمعة بعد أن كان فرغ من صلاة طويلة تضرّع وتوسّل فيها إلى الله عزّ وجلّ أن لا يذيقه هذه الكأس ثم ساقوه إلى دار رئيس الكهنة الذي تحقّق من أنّه مستحقّ للقتل ، ثم حمل إلى دار الوالي الرّوماني الذي حكم عليه بالصّلب بناءً على رغبة اليهود ، فصُلب السّاعة الثّالثة صباحاً من يوم الجمعة ومات على الصّليب السّاعة الثّامنة مساءً أي وقت العصر بعد أن صاح « إلهي إلهي لماذا تركتني » . ثم أنزل من الصّليب في تلك الليلة وأدخل قبراً بقي فيه تلك الليلة ثم نهار السبت ثم ليلة الأحد ، ولما جاؤا إليه صباح الأحد وجدوا القبر خالياً وقيل لهم إنّهم قام من قبره . هذا ما ورد في الأناجيل من قصة الصّلب إجمالاً .

ب - اختلاف المعلومات الواردة في الأناجيل عن الصّلب :

إذا نظرنا إلى قصة الصّلب في الأناجيل نجدها مختلفة في أكثر نقاطها ، وإليك بيان الاختلافات الموجودة في رواية هذه القصة .

(١) لوقا ذكر : أنّه تراءى للمسيح ملك من الملائكة يقوّى عزيمته في آخر صلاة صلاها . ولم يذكر ذلك الآخرون .

٢ (ذكر « لوقا » : أن المسيح صلى مرة واحدة ، ولم يوقظ تلاميذه إلا مرة واحدة ، أما متى ، ومرقص فذكرا أن ذلك تكرر ثلاث مرات ، ويوحنا لم يذكر من ذلك شيئا .

٣ (أن الأناجيل الثلاثة : « متى - مرقص - لوقا » ذكرت : أن العلامة بين يهوذا الذي دل اليهود على مكان المسيح واليهود هو أن من يقبله فهو المسيح ، ويوحنا ذكر أن المسيح خرج إليهم وسألهم عمّن يطلبون فقالوا : يسوع فقال لهم : أنا هو .

٤ (أن « يوحنا » ذكر : أن اليهود لما قبضوا على المسيح ساقوه إلى حنان الذي كان حما لرئيس الكهنة قيافا ، أما الأناجيل الأخرى فلم تذكر ذلك ، بل ذكرت أنهم ذهبوا به مباشرة إلى قيافا رئيس الكهنة اليهود .

٥ (ذكر « يوحنا » : أن بطرس وتلميذا آخر تبعوا المسيح إلى رئيس الكهنة ، أما الآخرون فلم يذكروا سوى بطرس الذي خرج بعد ذلك ولم يشاهد المحاكمة .

٦ (سؤال رئيس الكهنة للمسيح وقت المحاكمة ، حسب « مرقص » : « أنت المسيح ابن المبارك فقال يسوع أنا هو وسوف تبصرون ابن الإنسان جالسا عن يمين القوة وأتيا في سحاب السماء » .

وفي « متى » : « أستحلفك بالله الحي أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله . قال له يسوع أنت قلت . وأيضا أقول لكم من الآن تبصرون ابن الإنسان جالسا عن يمين القوة وأتيا على سحاب السماء » .

وفي « لوقا » : أن الجماعة سأله « إن كنت أنت المسيح فقل لنا .

فقال لهم إن قلت لكم لا تؤمنون وإن سألتكم لا تجيبوني ولا تطلقوني .
ولكن من الآن يكون ابن البشر جالسا عن يمين قدرة الله . فقال الجميع .
أفأنت ابن الله . فقال لهم أنتم تقولون أني أنا هو .

وفي « يوحنا » أن رئيس الكهنة سأل المسيح عن تلاميذه وعن تعليمه فأجابه
وليس في شيء منها قوله السابق عن نفسه .

(٧) أن الأناجيل الثلاثة ذكرت أن المسيح لم يُجِبْ بيلاطس الوالي الروماني
بشيء حتى تعجب منه بيلاطس .

أمّا « إنجيل يوحنا » فيذكر كلاما كثيرا بين المسيح وبيلاطس .

(٨) أن الأناجيل الثلاثة ذكرت أن الصليب الذي صُلب عليه المسيح سخر له
رجل اسمه « سمعان القيرواني » لحمله .

أمّا « إنجيل يوحنا » فيذكر أن المسيح هو الذي حمل صليبه .

(٩) أن « لوقا » ذكر : أن المسيح التفت إلى الجموع وهو في طريقه إلى
الصليب وحذرهم مما سيقع لهم في الأيام القريبة من الأمور الخطيرة العظيمة .
ولم يذكر ذلك أي من الأناجيل الأخرى .

(١٠) أن علّة صلب المسيح حسب لوقا مكتوبة على الصليب هكذا (هذا
هو ملك اليهود) باليونانية ، واللاتينية ، والعبرانية .

وفي « مرقس » : « ملك اليهود » ولم يذكر اللغات التي كتب بها .

وفي « متى » : « هذا هو يسوع ملك اليهود » ولم يذكر اللغات .

وفي « يوحنا » : « يسوع الناصري ملك اليهود » باليونانية واللاتينية

والعبرانية .

(١٠) أن « مرقص ومتى » ذكرا أن اللصين الذين صلبا مع المسيح كانا يعيرانه مع الناس .

أمّا « لوقا » فذكر : أن أحدهما عيَّره والآخر ردَّ عليه ودافع عن المسيح ولم يذكر يوحنا ذلك .

(١١) أن « يوحنا » ذكر : أنه كان يقف عند الصليب أم المسيح وأخت أمه ومريم المجدلية مع التلميذ الذي يحبه المسيح ويعني نفسه .

و « لوقا ومرقص ومتى » ذكروا : أن نساء من بعيد كنَّ ينظرن إليه ، من بينهن مريم المجدلية ومريم أم يعقوب الصغير ويوسى وسالومه وآخر كثيرات ، ولم يذكروا حضور أي تلميذ من تلاميذه الصلب .

(١٢) في « متى ومرقص » : أن المسيح صرخ في الساعة التاسعة ، وقال « ألولى ألولى لما شبقتي ، الذى تفسيره إلهي إلهي لماذا تركتني » .

وفي « لوقا » قال : « ونادى يسوع بصوت عظيم قائلا يا أبت في يديك أستودع روحي » .

وفي « يوحنا » أنه لم يصرخ وإنما قال : « قد أكمل ونكس رأسه وأسلم الروح » .

(١٣) الاختلاف في الأحداث بعد الصلب :

حيث قال « متى » : « انشق حجاب الهيكل ، والأرض تزلزلت ، والصخور تشققت ، والقبور تفتحت ، وقام كثير من أجساد القديسين الرَّاقيدين وخرجوا من القبر بعد قيامته ، ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا

لكثيرين .

وفي « مرقس » : « انشق حجاب الهيكل إلى اثنين » .

وفي « لوقا » : « أظلمت الشمس وانشق حجاب الهيكل » .

و « يوحنا » لم يذكر من ذلك شيئاً .

(١٤) الاختلاف في عدد ووقت الذين جاؤا صباح الأحد لمشاهدة القبر الذي كان فيه المسيح ووجدوه خاليا - وقد سبق ذكر ذلك^(١) .

فهذه الاختلافات العديدة بينهم في رواية أعظم حادث في حياة المسيح حسب معتقد النصارى وهو الصلب إن دلَّ على شيء فإنما يدلُّ على أنَّهم ليس لديهم على مؤكَّد ومحقَّق في هذا الأمر ، وأنَّ ذلك كُله من باب الظنِّ والحرص الذي لا يغني من الحقِّ شيئاً ، ولأما اختلفوا لو كان عندهم شيء مدوَّن أو رواة ثقات عاينوا وشاهدوا الأحداث . وإنَّ من دلالة صدق الرواة لحدث من الحوادث اتَّفاقهم على رواية الخبر وتفاصيل وقائعه ، وإنَّ من دلالة كذب الرواة أو عدم علمهم به اختلافهم في رواية الخبر وتباين كلامهم عنه . وهذا حقيقة ما كان من حال النصارى في هذا الحادث الذي قامت النصارئة المحرَّفة كُلُّها عليه كما سبق بيانه ، وهو أنَّهم ليس عندهم علم به مؤكَّد إن يظنُّون إلا ظناً .

وانظر واستمع إلى دقَّة كلام الله عزَّ وجلَّ في تعبيره عن الواقعة وعن رواتها حيث قال عزَّ وجلَّ : ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا

(١) انظر ما تقدم ص ٢٢٥ .

لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَتْبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ
عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿ [النساء : ١٥٧ ، ١٥٨] .

فأكد الله جلّ وعلا عدم صلبه وأن الله رفعه إليه ، وبين أن الأمر شبه على
اليهود الذين زعموا أنهم صلبوه ، كما أن الذين اختلفوا فيه وهم النصارى
الضالّون ليس عندهم علم مؤكّد فيما يقولون ، إن يتبعون إلا الظنّ فيما يقولون
ويزعمون ويؤكد ذلك أن الأناجيل الثلاثة : « متى ، ومرقس ، ولوقا » ، قد
ذكر فيها : أن التلاميذ حال القبض على المسيح تركوه وفروا جميعاً ، فهم لم
يعانوا القبض عليه ، ولا محاكمته ، ولا رفعه على الصليب ، ولا موته ، ولا
دفنه ، ولا قيامته من القبر ، وأنّ الذي شاهد الصليب مجموعة من النساء كنّ
ينظرن إليه من بعيد .

أما رواية « إنجيل يوحنا » بأن التلميذ الذي يحبّه المسيح كان حاضراً وقت
المحاكمة وعند الصليب ، وكذلك أمّ المسيح كانت موجودة وقت الصليب ،
فهى رواية غير صحيحة لاشكّ لخالفها لرواية الأناجيل الثلاثة الأخرى . كما
أنّ إنجيل يوحنا هو أقلّ الأناجيل نصيّاً من الصّحّة - كما سبق بيانه في فصل
المصادر .

أما الحقيقة بالنسبة للمسيح عليه السلام فهى أن الله أنجاه من أعدائه اليهود .
وهذا الذي يتناسب مع سؤال المسيح وتضرّعه إلى الله أن يعبر عنه هذه
الكأس^(١) فقد استجاب الله له ورفع له إليه .

(١) انظر اتهام المسيح إلى الله وشدة تضرّعه إلى الله أن ينجيه من أعدائه في إنجيل متى (٢٦ / ٣٦ -

(٤٥) ، ومرقس (١٤ / ٣٤ - ٤١) ، ولوقا (٢٢ / ٤١ - ٤٦) .

وقد دلت السُّنة على أنَّ المسيح عليه الصَّلَاة والسَّلَام سينزل آخر الزَّمان .
 وفي هذا يقول عليه الصَّلَاة والسَّلَام : « والذي نفسي بيده ليوشكن
 أن ينزل فيكم ابنُ مريم حَكَمًا مَقْسُطًا ، فيكسر الصَّلِيبَ ، ويقتل الخنزير ،
 ويضع الجزية ويفيض المال حتَّى لا يقبله أحد »^(١) .

○ ○ ○ ○

(١) أخرجه خ - كتاب البدع (٤ / ٤١٤) مع الفتح ، وأخرجه م (١ / ١٣٥) .

المطلب الثاني

الفداء

وهو ما سبق بيانه^(١) من أن موت المسيح كان كفارة لخطيئة آدم التي انتقلت إلى أبنائه .

أ - أدلة النصارى على الفداء :

يزعم النصارى أن مستندهم في ذلك الكتاب المقدس ونورد فيما يلي بعض النصوص التي يستدلون بها لهذه العقيدة لديهم منها :

(١) (أنا هو الراعي الصالح ، الراعي الصالح يذل نفسه عن الخراف)
« يوحنا » (١٠ / ١١) .

(٢) (لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية) « يوحنا » (٣ / ١٦) .

(٣) (إن ابن الإنسان لم يأت ليخدم بل ليخدم وليذل نفسه فدية عن كثيرين) « مرقس » (١٠ / ٤٥) .

هذا مما ورد في الأناجيل .

ومما ورد في كلام النصارى في « العهد الجديد » :

(١) في « رسالة يوحنا الأولى » (٤ / ١٠) : (بهذا أظهرت المحبة أن ذاك وضع نفسه لأجلنا) .

(٢) قال « بولس » في « رسالته لكورنثوس » (١ / ١٥ / ٣) : (مات من

(١) انظر ما تقدم ص ٢٢٥ .

أجل خطايانا حسب الكتب) .

« وأيضًا في « كورنثوس » (٥ / ٢١) : (إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيئَةً خَطِيئَةً لِأَجْلِنَا لِتَصِيرَ نَحْنُ بِرَ اللَّهِ فِيهِ) .

« وقال في « رسالته لأهل أفسس » (٢ / ١٦) : (أَسْلَمَ نَفْسَهُ لِأَجْلِنَا قُرْبَانًا وَذَبِيحَةً لِلَّهِ رَائِحَةً طَيِّبَةً)^(١) .

ب - بيان بطلان أدلتهم وكلامهم في الفداء :

الأدلة التي أوردها النصارى لا قيمة لها ولا اعتبار في مسألة الفداء لعدة أمور :
أولاً : أَنَّ الاستدلال بما ورد في الأناجيل فرع عن ثبوت صحة تلك الأناجيل وسلامتها من التحريف ؛ وقد سبق بيان حال هذه الأناجيل وَأَنَّ النصارى لا يملكون أدلة لثبوتها .

ومثلها في الضعف الرسائل الملحقة بها وبولس الذي كثر كلامه عن الفداء في رسائله ، كلامه غير مقبول لأنه لم يشاهد المسيح ولم يسمع كلامه فما ذكره لم يسنده عن الخواريين ولم يبين مصدره فيه فهو من قبل نفسه .

ثانياً : أَنَّ جميع النصوص التي يذكرونها في الدلالة على أَنَّ الصَّلب وقع فداءً للبشر ليس فيه نصّ واحد يعين الخطيئة التي يزعم النصارى أَنَّ الفداء كان لأجلها ، وهي خطيئة آيينا آدم التي انتقلت في زعم النصارى إلى أبنائه بالوراثة فجميع النصوص لا تُعينُ هذا الأمر ولا تحدده ، ممَّا يدلُّ على أَنَّها من مخترعات النصارى المتأخرين الذين حاولوا أن يرقعوا بها فساد القول بالفداء كفارة عن الخطايا .

ثالثاً : أَنَّ كلام النصارى في الخطيئة التي رفعها المسيح عليه السَّلام بموته

(١) أورد هذه الأدلة صاحب كتاب « كفارة المسيح » ص ١٣٢ - ١٣٥ .

المزعوم على الصليب كلام مضطرب ، ولا ينصّون في كلامهم على الخطيئة التي كفرها المسيح في كلّ مقام^(١) .

رابعا : أنّ المراد من كون المسيح كفّارة للخطايا أحد أمرين : أحدهما : تكفير خطايا الناس التي اقترفوها في الماضي . أو التي سيقترفونها في المستقبل وكلاهما باطل .

أمّا الخطايا فلا تستحقّ هذا الفداء الإلهي في زعمهم وقد كان يتمّ تكفيرها بالتوبة والقربان لدى اليهود قبلهم وكان كافيا .

أمّا الخطايا الماضية المستقبليّة فلا يستطيع النصارى أن يزعموا أنّ صلب المسيح مكفّر لها لأنّ ذلك يعني إباحتها ، وعدم ترتّب العقوبة على ذنب من الذنوب مهما عظم ، وفي هذا إبطال لدعوة المسيح ودعوة الحواريين وبولس أيضًا إلى تنقية النفس من الآثام والخطايا وفتح للإباحيّة والفجور والكفر .

مع العلم أنّ تكفير الخطايا إذا أُطلق لا يُرادُ به سوى ما وقع فيه الإنسان من الآثام وهي الخطايا الماضية إذ التّكفير من كفّر أي : سترَ وغطّى^(٢) ولا يكون ذلك إلّا فيما وقع وحدث .

ثانيهما : ما يذكره كثير من النصارى وهو تكفير خطيئة آدم عليه السّلام التي انتقلت إلى أبنائه .

وهو ادّعاء باطل كما سبق بيانه وسيأتي زياده لبيان أوجه البطلان أيضا . والنصارى اخترعوا هذه الفرية ، وادّعوها بدون دليل من عقل أو شرع حتّى

(١) انظر : المسيحية الأصلية ص ١١٦ - ١٢٥ .

(٢) قال في القاموس ص ٦٠٥ : « وكَفَّرَ الشيءَ ستره كَكَفَّرَهُ » .

يُزْرَو قَضِيَّة الصُّلْب الَّتِي اعْتَقَدُوهَا وَآمَنُوا بِهَا ، وَيَرْفَعُوا عَنِ الْمَسِيحِ تِلْكَ السَّبَبَةَ الشَّنِيعَةَ الَّتِي تَلْحَقُهُ بِالصُّلْبِ وَهِيَ اللَّعْنُ^(١) .

فَادَّعَوْا أَنَّ الصُّلْبَ هُوَ الشَّرَفُ الْحَقِيقِيُّ وَهُوَ الْهَدَفُ الْأَسْمَى مِنْ رِسَالَةِ الْمَسِيحِ ، وَلَوْلَا الصُّلْبُ مَا جَاءَ الْمَسِيحُ^(٢) فَأَخَذُوا يَدْنِدِنُونَ حَوْلَ هَذَا الْأَمْرِ وَيَبْحَثُونَ لَهُ عَنِ الْأَوْجَهِ الَّتِي تَجْعَلُهُ فِي حَيْزِ الْمَقْبُولِ وَالْمَعْقُولِ .
إِلَّا أَنَّ كَلَامَهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ يَزِيدُ الْأَمْرَ تَعْقِيدًا وَإِرْبَاكًا لِلْقَارِئِ وَالسَّامِعِ .

وإليك مقتطفات من كلام « ج . ر . و . ستوت » في كتابه « المسيحيّة الأصلية » في الموضوع حيث افتتح الكلام عن معنى الصُّلْبِ بقوله :

« ولكن لا أجسر أن أتناول الموضوع (يعني معنى الصُّلْب) قبل أن اعترف بصراحة بأنّ الكثير منه سوف يبقى سرًّا خفيًّا ، ذلكم لأنّ الصُّلْبَ هُوَ المحور الذي تدور حوله أحداث التاريخ^(٣) ؟ ! وباللعجب كيف أن عقولنا الضعيفة لا تدركه تمامًا ولا بد أن يأتي اليوم الذي فيه ينقشع الحجاب وتُحلُّ كل الألغاز ، ونرى المسيح كما هو ... »^(٤) .

(١) انظر ص ٢٢٥ .

(٢) يقول صاحب كتاب المسيحية الأصلية ص ١٠٥ : « لا مبالغة في القول أن الشخص الرئيسي في الكتاب هو يسوع المسيح وأن الظاهرة الرئيسيّة في حياته كما يصوِّرها الكتاب هي موته .. ثم يقول ص ١١٠ : لأنّ الصُّلْبَ رمز إيماننا .. لا نصرة بدون الصُّلْب ولا مسيحيّة بدون الصُّلْب » .
(٣) ما هي أحداث التاريخ ؟ إن قصد التاريخ النصري . فنعم . وإن قصد تاريخ البشرية قبل المسيح وبعده فهي مبالغة ومجازفة مكشوفة .

(٤) لعلّه يقصد أنه سيبقى سرًّا إلى أن يجيء المسيح مرة ثانية . فهل يليق أن يبقى التأس في عمى كلّ هذه الأزمان ؟ ولا حظّ أن النصاري كلّما عجزوا عن فهم عقيدة من عقائدهم صرّحوا بأنه سرٌّ . وهذا ذر للرماد في العيون .

ثم يقول في آخر الكلام بعد فلسفة مطوّلة استغرقت عشر صفحات :
 « ومن المدهش أن هذه القصة الخاصة بيسوع ابن الله الذي حمل خطايانا ليست محبوبة في عصرنا الحاضر ، ويُقال عن حمله خطايانا ورفعہ قصاصها عنا إنه عمل غير عادل وغير أدبي وغير لائق ويمكن تحويله إلى سخرية وهزء ... » .

ثم قال : « وفوق الكل يجب أن لا ننسى « أن الكل من الله » نتيجة رحمته ونعمته المتفاضلة فلم يفرض على المسيح قصاصاً لم يكن هو نفسه مستعداً له فإنَّ الله « كان في المسيح مصالحا العالم لنفسه » فكيف يمكن أن يكون الله في المسيح بينما جعل المسيح خطية لأجلنا ؟ . هذا ما لا أستطيع أن أجيب عنه . ولكن الرسول^(١) عينه يضع هاتين الحقيقتين جنباً إلى جنب ، وأنا أقبل الفكرة تماماً كما قبلت أن يسوع الناصري هو إنسان والله في شخص واحد . وإن كانت تبدو ظاهرياً على شيء من التناقض ، لكنني أراه في عمله كما أراه في شخصه ، وإن كنا لا نستطيع أن نحل هذا التناقض أو نفك رموز هذا السرِّ فينبغي أن نقبل الحق كما أعلنه المسيح وتلاميذه بأنه احتمال خطايانا بمعنى أنه احتمال قصاص الخطية عنا كما تعلّمنا الكتب^(٢) .

وإننا لنعجب غاية العجب من هذا الاعتراف بعدم معقولية هذه العقيدة ثم الإصرار عليها ، فهذا غاية الضلال والانحراف ، وكان الأولى بهم إذ لم يعقلوا هذه المسائل أن يبحثوا في مصادرها حتى يظهر لهم الحق ، فإنَّ تلك

(١) يعني بالرسول « بولس » شاؤول اليهودي . وهل أهلك النصارى إلا هذا الضال .

(٢) انظر : المسيحية الأصلية ص ١١٠ ، ١٢١ .

المصادر أساس الانحراف والضلال الذي يُوجد لدى النصارى سواء في ذلك الأناجيل أو الرسائل الملحقه بها .

ولكن يزول عجبنا إذا علمنا أنَّ ما عليه النصارى من انحراف وضلال إنما هو صيغةٌ محسنةٌ من الوثنيّات السابقة ، فرأى النصارى أنها شيء جميل بالنسبة لما كانوا عليه من الوثنيّات ، وما عرفوا الإسلام وما فيه من الحق والجمال والانسجام والوضوح الذي يبعث في النفس الطمأنينة والراحة ، لما هي عليه من عقيدة .

ولو أنَّ النصارى وأهل الكتاب عموماً أصغوا إلى الدّعوة الربّانية الواردة في القرآن الكريم لانكشف لهم كثيراً من الأوجه التي أدخلتهم في الحيرة ولم يخرجوا منها ، ومن هذه الدّعوة الواردة آيتان كريمتان فيهما شفاء لما هم فيه .

أما الآية الأولى : فقوله عز وجل : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة : ١٥] .

أما الآية الثانية : فقوله عز وجل : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ [المائدة : ٧٧] .

□ وما يُرَدُّ به على النَّصَارَى في دعوى الصَّلب والفداء ، إضافة لما سبق
أَنْ يُقَالَ لَهُمْ :

١- أَنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِي يَزْعُمُونَ أَنَّ الصَّلبَ والفداء كان لأجل خطيئته قد
تاب من خطيئته بقوله عزَّ وجلَّ ﴿ ثُمَّ آخِذُوا زِينَتَكُمْ مِمَّا فِي خُنُوعِكُمْ ۖ وَلِكُلِّ وَجْهٍ مَخْرُجٍ إِلَى اللَّهِ حَسْبُ عِلْمٍ ۚ ﴾ [طه : ٢٢] .
وقد قبل الله توبته . كما أَنَّهُ عوقب عليه السَّلَامُ بإخراجه من الجنة وتأثر
أبنائه بالعقوبة ، وإن لم يكونوا مقصودين بها .

كما أورد اليهود في كتابهم أَنَّ الله قال لآدم : (لَأَنْتَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنَ
الشَّجَرَةِ مَوْتًا تَمُوتُ)^(١) وقد وقع هذا لآدم بعد الأكل من الشَّجرة بنزولهم إلى
إلى الأرض ثم موتهم فيها كما أَنَّهُمَا عُوِقِبَا بذلك كما ينصُّ اليهود على
إخراجهما من الجنة إلى الأرض التي فيها الكدُّ والتَّعب . فمن أين أتى
النَّصَارَى بفرية خطيئة آدم ، وأحيوها هذا الإحياء ، وألبسوها هذا اللبوس .

٢- أَنَّ ما وقع من آدم عليه السَّلَامُ هو أكله من الشَّجرة بإغواء الشَّيْطَانِ له
وهذا ذنب منه في حقِّ الله عزَّ وجلَّ الذي نهاه عن الأكل منها ، فالذَّنْبُ بهذا
لم يكن يلزم للتَّكْفِيرِ عنه أَنْ ينزل الرَّبُّ جُلًّا وعلا ليصْلَبَ على الصَّليب ، بعد
أَنْ يُهَانَ وَيَذَلَّ من أَجْلِ أَنْ يُرْضِيَ نفسه ، بل الأمر يكفي فيه قبول التَّوبة
ومغفرة الذَّنْبِ فقط ، وهذا الذي وقع كما نصَّ على ذلك القرآن الكريم .

٣- أَنَّ ما وقع من آدم عليه السَّلَامُ يُعْتَبَرُ يسيرًا بالنِّسبة لما فعله كثير من أبنائه
من سبِّ الله عزَّ وجلَّ والاستهزاء به ، وعبادة غيره جُلًّا وعلا والإفساد في
الأرض بالقتل ، ونشر الفساد ، والفتن وقتل أنبيائه ومحاربة أوليائه إلى غير

(١) انظر : سفر التكوين (٢ / ١٧) .

ذلك ، فهذه أعظم بكثير من خطيئة آدم عليه السلام .
فعلى كلام النصارى أن الله لا يبدؤ أن ينزل كُل وقت ليصلب حتى يجمع بين
عدله ورحمته في زعمهم .

٤- أن صلب المسيح الذي هو الله في زعمهم تعالى الله عن قولهم قد تم بلا
فائدة تُذكر ، فإن خطيئة آدم ليست على بال بنيه ولا تقض مضاجعهم إنما ما
يقلق الإنسان ويخيفه ذنوبه وجرائمه وهذه لا تدخل في كفارة المسيح في
زعمهم (١) .

٥- أن الأنبياء السابقين ليس فيهم من ذكر خطيئة آدم وسأل الله أن يغفرها له
مما يدل على أنها من مخترعات النصارى .

٦- أن الأنبياء السابقين والدعاة الصالحين قبل المسيح بناءً على كلامهم هذا
كانوا يدعون إلى ضلالة وقد أخطأوا الطريق إذ لم يرشدوا الناس إلى حقيقة
تلك الخطيئة ويوعظوهم بخطورتها كما يفهمها النصارى .

٧- أن الأنبياء السابقين وعباد الله الصالحين كُلهم هالكون إذ لم تكفر عنهم
تلك الخطيئة ، لأنه لا يتم تكفيرها إلا عن طريق المسيح المصلوب في زعم
النصارى .

٨- أن بين آدم وعيسى عليهما السلام زمناً طويلاً ، فمعنى ذلك أن الله بقي
متحيراً كُل هذه المدة إلى أن اهتدى إلى الوسيلة التي يعقد المصالحة فيها بين
الناس ونفسه .

٩- أن الخطيئة وقعت من آدم عليه السلام فلا تنتقل إلى أبنائه ولا يستحقون

(١) انظر ما سبق ذكره في الرد على أدلة النصارى على الصلب ص ٢٢٧ .

هم العقوبة عليها ، لأنه لا أحد يُعاقَبُ بذنب غيره بل هذا ينافي العدل ، وقد نصَّ الله عزَّ وجلَّ على هذا في القرآن الكريم بقوله : ﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [النجم : ٣٨] .

وكذلك ورد في التَّوراة : « لا يقتل الآباء عن الأولاد ولا يقتل الأولاد عن الآباء كُلَّ إنسان بخطيئته يُقتل »^(١) .

١٠- هل من العدل أن يُعاقَبَ غير المذنب ؟ المسيح في زعم النَّصارى ابن الله فهو ليس من جنس بني آدم فكيف يُعاقَبُ بدلاً عن آدم وذريته ودعواهم أنه تقمَّص الجسد لا يزيل هذه الحقيقة في زعمهم وهو أنه ليس من جنس البشر حسب كلامهم .

١١- أنَّ المسيح في زعم النَّصارى ابن الله فأين الرَّحمة التي جعلته في زعمهم يشفق على عبده وخلقه ويترك ابنه للعذاب والبلاء والإهانة واللعن^(٢) والموتة الشنيعة ؟!

١٢- في زعم النَّصارى أنَّ المسيح هو ابن الله وهو الله وأنَّ المصلوب المهان الملعون - تعالى الله عن قولهم وتقُدَّس - هو الله جلَّ جلاله وتقُدَّست أسماؤه فهل يُوجدُ كفر أعظم من هذا وافتراء على الله أكبر من هذا ﴿ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ .

١٣- حسب عقيدة الفداء يكون أعظم النَّاس بُرًا وفضلاً على النَّصارى

(١) سفر التثنية (٢٤ / ١٦)

(٢) يزعم بولس (شاؤول اليهودي) أخزاه الله أنَّ المسيح صار لعنة لأجلهم . انظر رسالته إلى غلاطية (١٣ / ٣) ، وفيها يقول : « فالذي افتدانا من لعنة الثاموس هو المسيح الذي صار لعنة لأجلنا » .

والبشريّة عموماً هم اليهود والرّومان والواشي بالمسيح ، لأنّهم الذين تحقّق على أيديهم في زعم النّصارى الهدف الأسمى الذي جاء من أجله المسيح وهو الموت على الصّليب .

١٤- أنّ جميع تحرّكات المسيح ودعوته وفق اعتقاد النّصارى ليست إلّا تمثيلاً أحسن المسيح أداء الدّور فيه ، ممّا جعل اليهود يغضبون عليه ، فيعلقونه على الصّليب .

١٥- بناءً على دعوى النّصارى في أنّ المسيح فدى البشر بدمه ، فمعنى ذلك أنّه لا حاجة إلى الإيمان به واعتقاد صلبه وألوهيّته وما إلى ذلك ، لأنّ الخطيئة قد ارتفعت عن جميع البشر ببذله نفسه ، مثل من كان عليه دينٌ فجاء أحد من النّاس ف قضى ذلك الدّين عنه ، فالمطالبة تسقط عنه بمجرد القضاء وهذا ما لا يقول به النّصارى مخالفين في ذلك دليل العقل .

١٦- أنّ دعوى النّصارى بأنّ الصّليب وقع على الجسد البشريّ الذي حمل الخطيئة وأنّ هذا الجسد مات . دعوى تنقضها قصة قيامة المسيح عندهم ، فلو كان تجسّد لأجل تحمّل الخطيئة فالأولى به أن يفنى ذلك الجسد أو تحلّ عليه العقوبة .

١٧- إنّ دعوى أنّ المسيح قام من قبره ولمسوه وتأكدوا منه ، ثم ارتفع إلى السّماء تنقض دعوى أنّه ابن الله وأنّه تجسّد بالصّورة البشريّة لأنّ الدور الذي تجسّد من أجله قد أدّاه وانتهى ، ثم إنّ الجسد البشريّ لا حاجة إليه حيث يذهب المسيح في زعمهم عن يمين أبيه وهذان من أوضاع القضايا لو كانوا يعقلون .

بعد هذا كُلُّه من حقِّ الإنسان أن يتساءل : هل النَّصارى على درجة كبيرة من الذِّكاء والخبث الشَّيطاني الَّذي جعلهم يغلفون بغضهم لله عزَّ وجلَّ وبغضهم للمسيح عليه الصَّلَاة والسَّلَام بهذه الدَّعاوى الكاذبة الَّتِي يظهرونها ويصرون على التَّمسُّك بها بدون أدنى دليل عقليٍّ أو شرعيٍّ زاعمين أَنَّهُم يعبرون بذلك عن شِدَّة حُبِّهم لله عزَّ وجلَّ وشِدَّة حُبِّهم للمسيح أيضًا ؟ أم أَنَّهُم على درجة شديدة من الغباء والحمق الغالي الَّذي جعلهم لا يميِّزون بين ما هو ثناء وحُب حقيقيٍّ ، وبين ما هو طعن وسخرية وبغض وأحقاد تنفث على الله عزَّ وجلَّ وعلى نبيِّه المسيح عيسى عليه السَّلَام ؟ .

وصدق الله القائل : ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنْ آَلَهُ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [فاطر : ٨] .

★ ★ ★ ★

■ وفي ختام الكلام على هذه العقيدة الباطلة : لابدَّ من الإشارة إلى أنَّ الديانة النَّصرانيَّة كُلُّها تقوم على مسألة الصُّلب وأنَّ الدَّعوة إلى النَّصرانيَّة تقوم عليها ، إذ ليس في النَّصرانيَّة أيُّ عامل جذب يمكن أن يجذب النَّاس إليها ، وليس فيها ما يُسمِن ولا يغني من جوع سوى هذه القضية الَّتِي يركزون عليها تركيزًا شديدًا ، وهي مسألة : الصُّلب والفداء وذلك بإيحاءهم للنَّاس أَنَّهُم هالكون مردودة عليهم أعمالهم مغضوب عليهم منذ ولادتهم وقبل أن يُولَدُوا ممَّا يجعل الإنسان يحسُّ بثقل عظيم على كاهله من تلك الرِّزية والخطيئة الَّتِي لم يكن له دور فيها ثم إنَّهُم بعد أن يوقعوا الإنسان فريسة الشُّعور بالذَّنْب والخطيئة ، وتأنيب الضُّمير ، والخوف من الهلكة ، يفتحون له باب الرَّجاء

بالمسيح المصلوب ، فيزيتون له ذلك العمل العظيم الذي قام به المسيح لأجل
الناس ويدعونه إلى الإيمان به ، فإذا كان مُمَّن لم يتنور عقله بنور الهداية الربانية
ونور الإسلام يجد أنَّ هذه هي الفرصة العظيمة التي يتخلص بها ، وما علم
المسكين أنَّ الأمر كُلَّهُ دعوى كاذبة وخطئة خبيثة للإيقاع به وأمثاله .



المبحث الثالث

محاسبة المسيح الناس

يزعم النصارى أن المسيح عليه السلام سوف يتولى يوم القيامة محاسبة الناس وإدانتهم ولهم على ذلك نصوص من إنجيل يوحنا وغيره . ومن ذلك .

« ما ورد في « إنجيل يوحنا » (٥ / ٢٦) : « كما أن الأب له حياة في ذاته كذلك أعطى الابن أيضًا أن تكون له حياة في ذاته ، وأعطاه سلطانًا أن يدين أيضًا لأنه ابن الإنسان » .

« وجاء في « رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس » (٥ / ١٠) : « لأنه لا بد أننا جميعًا نظهر أمام كرسي المسيح لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيرًا كان أم شرًا » .

وثبتت هذه العقيدة فرغ عن ثبوت أصلها وهي الأناجيل أو الرسائل .
أما الأناجيل فقد سبق الحديث عنها ، وإنجيل يوحنا أقلها نصيبًا من الصحة .
أما كلام بولس في رسائله فإنه غير مقبول . لأنه كما سيتبين يهودي متعصب وهو أول من انحرف بالديانة النصرانية عن وجهها إلى الشرك ودعوى ألوهية المسيح إلى غير ذلك من الضلالات .

وما نعتقده في ذلك أن الله عز وجل هو الذي يتولى حساب الناس يوم القيامة .

المبحث الرابع

قولهم في الجنة والنار

يعتقد التصاريح بالبعث الجسدي .

ورد في « قاموس الكتاب المقدس » : « تتضمن القيامة بحسب تعليم الكتاب المقدس قيامة الأجساد وتغيير هذه الأجساد وبقاءها إلى الأبد .. » .

ثم قال : « ولقد علم المسيح بوضوح بأن الموتى سيقومون »^(١)

كما أن التصاريح يؤمنون بالنعيم الأبدى في الجنة والعذاب الأبدى في النار ،

كما جاء في « إنجيل متى » (٢٥ / ٣٤) : « ثم يقول الملك للذين عن

يمينه : تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم .. ثم

يقول أيضاً للذين عن اليسار : اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة

لإبليس وملائكته .. فيمضي هؤلاء إلى عذاب أبدي والأبرار إلى حياة أبدية » .

إلا أنهم يزعمون أن الجنة ليس فيها أكل ولا شرب ولا نكاح ولا شيء من

المتع الحسية ، وإنما يعتقدون أن المتعة تكون برؤية الله فقط .

فلهذا يقول « ميخائيل مينا » : « إن نعيم الأبرار هو عبارة عن اتصالهم

بالله ورؤيتهم جلاله . ورؤية الله هي الجزء الأعظم الفائت كل خير الذي

يملا رغبة كل إنسان ويشبع شهوات نفسه ، بل هو سعادته النهائية المشتهاة

من كل مشاعره والتي إليه تتجه كل أشواق قلبه »^(٢) .

(١) قاموس الكتاب المقدس (٧٤٨ - ٧٥٠) . وانظر كتاب « الملكوت » للقمص سيداروس ص ٥٢ .

(٢) انظر كتاب علم اللاهوت ٢ / ١٦٤٢ نقلاً عن كتاب اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية

وإنكارهم هذا يعود إلى أنَّهم يرون أنَّ الأجساد البشريَّة يوم القيامة ستكون أجسادًا روحانيَّة لا تحتاج إلى الطَّعام والشراب وليس فيها شهوة الجماع ولا فرق فيها بين جسد المرأة وجسد الرجل^(١).

ويستدلُّون لذلك ، بنصِّين :

أحدهما : في « إنجيل متى » (٢٢ / ٢٩) وفيه يقول المسيح : « لأنَّهم في القيامة لا يُزَوِّجون ولا يتزوَّجون بل يكونون كملائكة الله في السَّماء » .
والآخر : من كلام بولس في « كورنثوس الأولى » (١٥ / ٤٤) وهو يتحدَّث عن قيامة الأموات : « يزرع جسمًا حيوانيًّا ويَقَامُ جسمًا روحانيًّا » .
وهذا الكلام من بولس لا دليل له عليه وهو من اختراعاته وافتراءاته الغديدة^(٢).

أمَّا النصُّ المنسوب إلى المسيح فليس فيه سوى نفي الزَّواج وليس فيه نفي الطَّعام والشراب ، وقد ثبت في نصوص الأناجيل إثبات الطَّعام والشراب في الآخرة .
فقد ذكر « لوقا » في (٢٢ / ٢٩) : أنَّ المسيح قال لتلاميذه الذين يؤمنون به : « وأنا أجعل لكم كما جعل لي أبي ملكوتًا لتأكلوا وتشربوا على مائدتني وتجلسوا على كراسي تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر » .

وفي « إنجيل متى » (٢٦ / ٢٩) أنَّ المسيح قال لتلاميذه بعد آخر شراب شربه معهم : « وأقول لكم : إنِّي من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة

(١) انظر كتاب الملكوت للقمص سيداروس ص ١٠٣ ، ١٠٤ .

(٢) ويدور أنَّ هذه العقيدة أتت بها بولس من اليهود وذلك أنَّ اليهود قالوا في التلمود « لا مطعم في العالم الآتي ، ولا مشرب ، ولا عشق ، ولا عمل ، ولا حسد ، ولا حقد ، ولا شحنة ، أهل الحق سيجلسون وعلى رؤوسهم التَّيجان وهم يمجِّدون في بهاء وجلال الله » . انظر كنوز التلمود ص ٣٣ .

هذا إلى ذلك اليوم حينما أشربه معكم جديداً في ملكوت أبي .
 فهذه النصوص تعارض ذلك النص السابق الذي ينكر النعيم الحسي ، وتدلُّ
 على عدم صحته لأن الحق أن أهل الجنة يتنعمون فيها نعيماً كاملاً ذكره الله
 عز وجل في القرآن الكريم وبينه النبي محمد عليه الصلاة والسلام بيانا شافيا ،
 وليس هناك مانع عقلي منه والله على كل شيء قدير وفضله عظيم .



الفصل الخامس

أسباب وعوامل انحراف النصيرية

أسباب وعوامل انحراف النصارى

النصرانية في الأصل دين سماوي من عند الله عز وجل كغيره من الأديان السماوية ، يظهر فيه التوحيد وإفراد الله بالعبادة بأوضح ضوره ، ولكننا نراه اليوم دينًا وثنيًا طمست فيه تمامًا معالم التوحيد ، وبدل أن يكون دينًا يوافق العقل والفطرة أصبح دينًا حربًا على العقل وعدوًا لدودًا للفكر السليم الناضج ومضادًا للفطرة السليمة . وكان لهذا الانحراف عوامل كثيرة أظهرته بهذا الشكل والهيئة . ومن أهم هذه العوامل :

أ - الاضطهادات :

الاضطهادات كان لها أثر كبير في انحراف النصارى .

وقد واكبت الاضطهادات نشأة النصرانية ، وكما هو معروف فقد كان اليهود والرومان وراء محاولة قتل المسيح عليه السلام ، ثم لاحقوا من بعده أتباعه في كل مكان ، ونكّلوا بهم واستمرّ هذا التّكيل والقتل الجماعي لهم مدّة ثلاثة قرون^(١) إلى أن جاء الملك قسطنطين الذي تعاطف مع النصارى ورفع الاضطهاد عنهم ثم في آخر أمره تنصّر .

فوقعت بعده على النصارى اضطهادات من نوع آخر وهي : اضطهادات النصارى للنصارى ، فقد تعقّب النصارى الذين قالوا بالتّثليث مخالفينهم بالقتل والتّعذيب وتعقّبوا كل فكرة تخالف مذهبهم إلى عهد النهضة الأوربية والثورة على الكنيسة ، وكان لهذه الاضطهادات أعظم الأثر في اندراس معالم

(١) انظر : تاريخ الكنيسة (١ / ٨٩ ، ١٢٦) .

النَّصْرَانِيَّةُ الصَّحِيحَةُ ، وضياع الإنجيل ، وانقطاع سنده ، وإلجام الأصوات التي تدعو إلى الحق وإلى التوحيد^(١) .

ب - ضياع الإنجيل وانقطاع السند :

تقدّم الكلام على الأناجيل وأنّ الأناجيل الموجودة ليس منها شيء منسوب إلى عيسى عليه السلام ، ولا يُعرف أثر لإنجيل عيسى ، كما أنّ النَّصْرَانِيَّةَ لم يعتنوا بالتدوين مباشرة بعد رفع المسيح ، وأنّما تأخروا في التدوين ممّا جعل كثيراً من الأناجيل تظهر ، ولا يُعرف على اليقين من صاحبها ، ولا من أين أخذ معلوماته .

وهذا انحرف بالنَّصْرَانِيَّةَ عن وجهها الصحيح لأنّ أصحاب هذه الأناجيل ليسوا معصومين فوقعوا في أخطاء كثيرة ، وسوء فهم ، وغير ذلك من العوارض التي تعرض للبشر ، ممّا جعل الدِّيانة المعتمدة على مثل هذه الكتب المليئة بالأخطاء تبدو ديانة مرتبكة مختلة التركيب كما هو حال النَّصْرَانِيَّةَ .

ج - بولس (شاؤول اليهودي) :

هو شاؤول اليهودي أحد ألد أعداء النَّصْرَانِيَّةَ ، وأحد اليهود المتعصّبين لليهوديّة ، ولد وتربّى في طرسوس التي كانت مركزاً من مراكز الفلسفة وتنوّع الثقافات الوثنيّة في ذلك الوقت .

وانتقل بولس إلى أورشليم وتعلّم الشريعة اليهوديّة وكان من أشدّ الناس تعصّباً لها ، ثمّ لما بعث المسيح عليه السلام كان من أشدّ الناس على ديانته وعلى أتباعها .

(١) انظر : أهم عوامل انحراف النَّصْرَانِيَّةَ ص ٢٤٠ ، وما بعدها (رسالة ماجستير) .

فهو يقول عن نفسه : « سمعتم بسيرتي قبلاً في الديانة اليهودية إلي كنت أضطهد كنيسة الله بإفراط وأتلفها ، وكنت أتقدم في الديانة اليهودية على كثيرين من أتباعي في جنسي إذ كنت أوفر غيرة في تقليدات آبائي »^(١) . ثم إن هذا الرجل بدهائه وخبثه لما رأى أن التَّنْكِيل لا يُجدي اتَّخذ لنفسه مع هذا الدين الجديد أسلوباً آخر ، وهو محاولة هدم أصله بالتحريف ، فرغم بناء على ذلك أنه دخل في النصراية .

وفي هذا يقول « لوقا » في « أعمال الرسل » (٩ / ١) : « أما شاؤول فكان لم يزل ينفث تهديداً وقتلاً على تلاميذ الرب فتقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى دمشق إلى الجماعات حتى إذا وجد أناساً من الطريق رجالاً أو نساءً يسوقهم موثقين إلى أورشليم ، وفي ذهابه حدث أنه اقترب إلى دمشق فبغته أبرق حوله نورٌ من السماء ، فسقط على الأرض وسمع صوتاً قائلاً له : شاؤول شاؤول . لماذا تضطهدني ؟ فقال : من أنت يا سيد ، فقال الرب أنا يسوع الذي أنت تضطهده ، صعب عليك أن ترزفس مناخس^(٢) ، فقال وهو مرتعد ومتحير : يا رب ماذا تريد أن أفعل ؟ فقال له الرب قم وادخل المدينة ... وكان شاؤول مع التلاميذ الذين في دمشق أياماً وللوقت جعل يكرز في المجامع أن هذا هو ابن الله . »

وبهذه القصة التي لا دليل عليها ولا شاهد إلا دعواه ، زعم أنه دخل المسيحية وحين قدم نفسه للحواريين لم يقبله الحواريون ، لمعرفتهم بعداوتة

(١) رسالة بولس إلى أهل غلاطية (١٣ / ١) .

(٢) مناخس : جمع منخس وهو الحديدية التي تنخس بها الحيوانات والمراد أن رفس المناخس صعب

ولا يعود بفائدة بل يضُر . انظر : قاموس الكتاب المقدس ص ٩٦٣ .

وبطشه بهم ولكن (برنابا) أحد الخواريين توسّط له عندهم فقبلوه^(١) .
فنشط بعد قبولهم له وصار رأساً في النصرانية بيني الكنائس ويطوف البلاد
شرقاً وغرباً يدعو للمسيحية ويرسل الكتب والرسائل يبين فيها ديناً وأمرًا غريباً
عن الخواريين وعن شريعة عيسى عليه السلام .

أهم التحريفات التي دعى إليها بولس (شاول) :

- ١- دعواه أنّ المسيح عليه السلام ابن الله ، وقد تقدّم نقل صاحب أعمال
الرّسل هذا .
 - ٢- أنّ المسيحية دين عالمي ليس خاصاً بيني إسرائيل بل هو لجميع الأمم . وهذا
خلاف ما جاء على لسان المسيح أنّه مرسلٌ لخراف بني إسرائيل الضّالة^(٢) .
 - ٣- أنّ عيسى عليه السلام إنّما صُلب تكفيراً لخطايا البشر .
 - ٤- قيامة عيسى عليه السلام من الأموات وأنه صعد وجلس عن يمين الله^(٣) .
هذه أظهر المبادئ التي دعى إليها بولس ، والواقع أنّه قلب بها الديانة
النصرانية رأساً على عقب ، فاستبدل التّوحيد بالوثنية والحقّ بالباطل .
وهذه المبادئ التي جاء بها قد ردّها النصارى أولاً ولم يقبلوها .
- ❖ فقد صرّح هو في « رسالته الثانية إلى تيموثاوس » (١ / ١٥) : « إنّ
جميع الذين في آسيا ارتدّوا عني » .

(١) أعمال الرسل (٩ / ٢٦) .

(٢) انظر : إنجيل متى (١٥ / ٢٤) .

(٣) المسيح في القرآن ص ٢٤٠ ، أهم عوامل انحراف النصرانية (رسالة ماجستير) ص ١٢٨ ،
الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة ص ٣٥ .

وهذا هو المتوقَّع من الحواريين والَّذين عرفوا الحقَّ ورأوا المسيح عليه السَّلام . ولكن هذه المبادئ وجدت رواجاً لدى الرومان واليونان وخاصَّة في غرب أوربا حيث كان الغالبيةُ وثنيين فَناسبتهم هذه المبادئ فأخذوا بها ، ثم طبعها بطابع الشُّمول والإلزام مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م حيث قرَّروا فيه ألوهيةَ المسيح عليه السَّلام ، وأنهُ نزل ليُصلِّبَ تكفيراً لخطايا البشر كما تقدَّم (١) . فأصبحت الديانة النُصرانيَّة مدينة في الواقع لبولس ، وليس للمسيح منها إلَّا الاسم فقط .

د - التأثير بالوثنيَّات والفلسفات الوثنيَّة :

لقد نادى المسيح عليه الصَّلاة والسَّلام بأنَّه لم يُرسل إلَّا إلى خراف إسرائيل الصَّالَّة ، بل نهى أتباعه عن الذَّهاب إلى قرى غير اليهوديَّة (٢) إلَّا أنَّ أتباعه فيما بعد خالفوا ذلك ، وتوجَّهوا إلى الوثنيين من الرومان واليونان والفرس وغيرهم في المناطق المجاورة ، والأماكن التي أمكنهم الوصول إليها .

ولما لم تكن الديانة المسيحية فيها مقومات التأثير في تلك المجتمعات ، حيث كانت دعوة لبني إسرائيل خاصَّة وليس لها الصُّبغة العالميَّة التي يمكن أن تتغلَّب بها على تلك الأديان والفلسفات . فلهذا فقد غُلِيتُ وأمكن للديانات الوثنيَّة أن تصبغها بصبغتها ، بل ألغتها تمامًا ، واحتلَّت مكانها ، وأخذت مسماها ، هذا أمر يتَّضح لكلِّ ناظر في الديانة النُصرانيَّة المحرَّفة ، وقد أكَّد علماء الأديان والتَّاريخ ذلك ، وأنَّ الديانة النُصرانيَّة قد اصطبغت بالصُّبغة الوثنيَّة وأنَّها أخذت

(١) انظر ما سبق ص ١٨١ .

(٢) انظر : الإنجيل متى (١٠ / ٥) .

عقيدتها وعبادتها من تلك الوثنيات فضمّتها إليها ووضعت عليها اسمها .

● ومن الأمثلة على ذلك :

١ - أن التثليث قبل النصارى موجود عند الهنادكة والبوذيين .

وفي هذا يقول « فابر » في كتابه « أصل الوثنية » : « وكما نجد عند الهنود ثالثاً مؤلفاً من برهمة وفشنو وسيفا ، هكذا نجد عند البوذيين فإنهم يقولون إن بوذا إله ويقولون بأقانيمه الثلاثة ... » .

كما كان يُوجد ذلك أيضاً لدى المصريين والفرس واليونان والرومان والآشوريين والفينيقيين والاسكندنافيين والتتر والمكسيكيين والكنديين^(١) .

٢ - أن الصليب - فداء للبشر - عقيدة وثنية كانت موجودة لدى الهنادكة ،

وفي هذا يقول « هوك » في كتابه « رحلة هوك » : « ويعتقد الهنود بتجسّد أحد الآلهة وتقديم نفسه ذبيحة فداء عن الناس من الخطيئة » .

وقال « دوان » في كتابه « خرافات التّوراة والإنجيل » ما نصّه : « ويعتقد الهنود بأن كرشنا المولود البكر الذي هو نفس الإله فشنو والذي لا ابتداء ولا انتهاء له على رأيهم ، تحرّك حنواً كي يخلّص الأرض من ثقل حملها فأتاها وخلّص الإنسان بتقديم نفسه ذبيحة عنه » .

وقالت « مسز جمسون » في كتابها « تاريخ سيدنا من الآثار » :

« كان الميليتيون يمثلون الإله إنساناً مصلوباً ، مقيّد اليدين والرّجلين بحبل خشبة وتحت رجله صورة حمل ، والسورثيون يقولون : إنّ تموز الإله ، المولود البكر من عذراء ، تألم من أجل الناس ، ويدعونه : المخلّص ،

(١) انظر في القول عن هذه الديانات كتاب « العقائد الوثنية في الديانة النصراية » ص ٣٥ - ٤٥ .

والفادي والمصلوب ^(١).

٣ - اعتقاد أنَّ إلهاً تجسّد وولد من عذراء هو كذلك من عقائد الوثنيين .
 ففي هذا يقول « دوان » في كتابه السابق : « والهنود يقولون إنَّ كرشنة هو ابن العذراء النقيّة الطاهرة ديفاكي ويدعونها والدة الإله .
 ويقول المصريون : إنَّ هورس المخلص وُلِدَ من العذراء إيسيس ، وأنَّه المنبثق الثاني من عامون ، ويقولون الابن المولود ، ويصوّرونه إمّا على يدي أمّه أو على حضنها » ^(٢).

فهذه أمثلة واضحة على تأثر الديانة النصرانيّة بالأديان الوثنيّة قبلها بل إنَّ الأديان الوثنيّة تغلّبت على الديانة المسيحيّة وصبغت بصبغتها .

وقد صرّح المؤرّخ « ه . فيشر » بذلك التّشابه حيث قال : « غير أنّه ليس ثمة شكّ أنَّ اتّخاذ المسيحيّة - فيما بعد - ديانة رسميّة للبلاد - يعني الامبراطورية الرومانية - ساعد على ازدياد صفوف المسيحيّين زيادة سريعة سيما أنَّ التحوّل عن الوثنيّة إلى المسيحيّة لم يكن انتقالاً إلى جوّ غريب تمام الغرابة ، أو شعوراً بانقلاب باغت مفاجئ ، بل بدا الولوج في المسيحية عمليّة رفيقة في كثير من التدرج الشعوريّ العاطفيّ ، إذ شابها طقوس الديانة المسيحيّة وأسرارها المقدّسة ما للديانة القديمة من طقوس وأسرار كما اشتملت تعاليمها على تعاليم الأفلاطونية الحديثة ^(٣)، يُضاف إلى ذلك

(١) نقلاً عن المرجع السابق ص ٤٩ - ٥٣ .

(٢) نقلاً عن المرجع السابق ص ٦٠ - ٦٦ .

(٣) الأفلاطونيّة الحديثة هي فلسفة دينية ذهبت إلى احتواء المعتقدات السائدة والأساطير ، والطقوس ، وعبادات الشّرق ، والسحر ، والكيمياء القديمة . انظر : الموسوعة الفلسفية ص ٥٦ .

أن القول بوجود واسطة بين الله والناس أمر مألوف عند الفرس وأهل الأفلاطونية الحديثة^(١) سواء^(٢) .

وفي نفس الموضوع يقول « شارل جنير » رئيس قسم تاريخ الأديان في جامعة باريس : « إن المسيحية لم تكن تستطيع مدافعة أمام هذه النزعات والشعائر السائدة ، وإذا كانت - أي النصرانية - قد انتصرت في القرن الثالث على سائر ألوان « التأليف » الديني الوثني ، فذلك لأنها كانت قد تطوّرت هي الأخرى إلى تأليف ديني تجتمع فيه سائر العقائد الخصبة والشعائر الجوهرية التابعة من العاطفة الدينية الوثنية ، قامت هي - أي النصرانية - بترتيبها ، وتركيبها ، وأصفت عليها الانسجام الذي تفتقر إليه ، بحيث استطاعت أن تقف مفردا أمام أشتات المعتقدات والشعائر التي يؤمن بها أعداؤها دون أن تظهر ضعفا أو نقصا عليها في أي من المجالات الهامة . وتمت ظاهرة التّشرب هذه - وهي من الظواهر الأساسية في تاريخ المسيحية - في ببطء بطيء معتمدة على الاتّصال الدائب بتطور الإيمان بين جميع طبقات المجتمع الوثني ، ذلك المجتمع الذي اختلفت فيه صور الإيمان باختلاف بيئاته وباختلاف العهود التي مرّ بها ، .. وإنها لظاهرة تفسر لنا كيف جاء العصر الذي استطاعت فيه المسيحية أن تكسب عطفًا نشيطًا بين رحاب العالم اليوناني الروماني »^(٣) .

(١) « أفلوطين » مؤسس الأفلاطونية الحديثة جعل الخلق والوجود المادي مشتقًا وصادرًا عن الأول وهو الله . « وفيلون اليهودي أكبر من تُنسب إليه الأفلاطونية الحديثة قال : بفكرة الوسيط بين المبدع الأول وهو « الله » وبين الخلق . انظر : موسوعة الفلسفة (١ / ١٩١) .

(٢) تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ص ٧ - ٨ .

(٣) المسيحية نشأتها وتطورها ص ١٥٤ - ١٥٥ .

فهذا يكفي في الدلالة على تشرب الديانة النصراوية للأديان الوثنية التي توجهت إليها ، وهذا في عرف الذين الحق انحلال وكفر بالدين الإلهي ، الذي يجب أن يكون صحيح النسبة إلى الله عز وجل ، في أصوله وفروعه ، نقيًا في عقائده وتشريعاته من خرافات البشر ، وإملاءات الشياطين .

ولكن كيف تشربت الديانة النصراوية الأديان الوثنية ؟

إن الناظر في كبار الدعاة إلى النصراوية في العصور الأولى والذين يُشار إليهم بأنهم من أعظم الناس أثرًا وتأثيرًا في الديانة النصراوية نجدهم فلاسفة بل تعمقوا في الفلسفات الوثنية وبعد تنصُرهم نقلوا تلك الفلسفات معهم إلى الدين الجديد ، وحاولوا أن يسدوا الثغرات التي يجدوها في الديانة النصراوية وما أكثرها بمزيج من الفلسفات التي كانوا عليها من قبل . ومن هؤلاء الذين كان لهم دور في ذلك :

○ بولس (شاؤول اليهودي) : وسبق الحديث عنه .

○ « بوستن » (الشهيد) : الذي ولد سنة ١٠٠ م أو ١٠٥ م فقد ولد من أبوين وثنيين ، وترعى على الديانة الوثنية وتعلم الفلسفة الرواقية^(١) ثم درس فلسفة الأكاديميين^(٢) والفيثاغوريين^(٣) (٤) .

(١) الفلسفة الرواقية : سُميت رواقية لأن أصحابها كانوا يجتمعون في رواق وهي فلسفة أخلاقية ، وتقول عن الله بأنه خالق كل شيء وهو منبث في هذا الكون . انظر : الموسوعة الفلسفية ص ٢١٤ .

(٢) الأكاديمية نسبة إلى المدرسة التي أنشأها أفلاطون وسماها أكاديميا وكانت تدرس الفلسفة اليونانية الموسوعة الفلسفية ص ٦٠ .

(٣) الفيثاغورية : نسبة إلى فيثاغورس اليوناني ومدرسته فلسفية وفيها مبادئ صوفية تتصل بالزهد وهم يرون تحريم أكل اللحوم ويقولون بتناسخ الأرواح . انظر : موسوعة الفلسفة (٢ / ٢٢٨) .

(٤) تاريخ الفكر المسيحي ص ١ / ٤٤٤ .

○ « قاتيان السوري » : المولود عام ١١٠ م من عائلة وثنية درس الفلسفة في بلاد اليونان ، ثم ذهب إلى روما ودرس دياناتهم وفلسفاتهم ، ثم تتلمذ على بوسطن الشهيد^(١)

○ « أثينا غورس الأثيني » : كان معاصراً « لقاتيان السوري » كان يحب الفلسفة ، والشعر وكتابات مليئة بالاقتباسات الشعرية والفلسفية .

○ « ثيوفيلوس الأنطاكي » : وُلِدَ من أبوين وثنيين ، وكانت ثقافته يونانية وثنية ، وهو أول من استعمل كلمة الثالث في تاريخ العقيدة النصرانية^(٢) . ولا نريد أن نطيل في عرض هذا الموضوع إنما المراد الإشارة إلى أن العقائد الوثنية التي اضطبغت بها النصرانية دخلتها عن طريق هؤلاء وأمثالهم الذين كانوا رؤاداً للديانة في بداية انطلاقها إلى البلدان الوثنية حيث عبرت إلى الوثنيين عن طريق هؤلاء المتشبعين بالفلسفات والوثنيات ، حيث صبغوها بفهومهم ومعارفهم وعقائدهم السابقة وقدموها للناس شارحين ومدافعين ديانة وثنية وضعيفة في ثوب ديانة توحيدية سماوية .

هـ - تدخل الامبراطور قسطنطين :

الامبراطور « قسطنطين » امبراطور الدولة الرومانية هو الذي رفع الاضطهاد عن النصارى بعد أن دام ما يقارب (٣٠٠) سنة من قبل اليهود والرومان ، فقرَّب هذا الامبراطور النصارى إليه ، ورفع الاضطهاد عنهم ، فانحازوا هم إليه وقبلوا منه ذلك ، ثم إنه لما رأى اختلافهم وتباين أقوالهم دعاهم إلى مجمع

(١) تاريخ الفكر المسيحي ١ / ٤٥٤ .

(٢) انظر في هاتين الشخصيتين المرجع السابق ١ / ٤٥٩ ، ٤٦٢ .

نيقيه سنة ٣٢٥ م فاجتمعوا في ذلك المجمع ، ولما كان هو وثنيًا ولا علم عنده أيضًا بالمسيحيَّة انحاز إلى ما يوافق هواه ورغبته ، فنصر قول القائلين بالوَهْيِيَّة المسيح ، عليه السَّلام وأمر بلعن وطرده من خالفهم وملاحقته . وبالفعل كان ذلك حتَّى تمَّ بعد ذلك بسنوات طويلة القضاء تمامًا على التَّوحيد ، واندراس معالم ديانة المسيح الصَّحيحة وانتشار النُّصْرانيَّة المثلثة بقوة السُّلطان وأوَّلهم « قسطنطين » الَّذي كان حين انحاز إلى النُّصاري وثنيًا ولم يدخل في الدِّيانة النُّصْرانيَّة إلَّا وهو على فراش الموت^(١) .

و - المِجامع النُّصْرانيَّة :

تقدَّم ذكر المِجامع وأهمَّ قراراتها ، فتبيَّن لنا أنَّ هذه المِجامع هي التي كوَّنت الدِّيانة النُّصْرانيَّة ، ووضعت أهمَّ أُسُسِهَا ، وهي التي حاربت التَّوحيد عن طريق قراراتها ، فأصبحت الدِّيانة النُّصْرانيَّة تدين في الواقع لهذه المِجامع في تكوينها ، وفي دعوتها لمحاربة وتكفير كُلِّ قول يخالف قرارات هذه المِجامع .



(١) سبق الحديث عن قسطنطين في الكلام على مجمع نيقية . فينظر ص ١٧٩ .

الفصل السادس

بعض الشعائر والطُقوس عند النصارى

- أولاً : من العبادات .
- ثانياً : الطُقوس عند النصارى .

بعض الشعائر والطقوس عند النصارى

المسيح عليه الصلاة والسلام من بني إسرائيل وكان ملتزماً بما كان من الشريعة قبله .

وفي هذا يذكر صاحب « إنجيل متى » (٥ / ١٧) أن المسيح قال للجموع شارحاً دعوته : « لا تظنوا أنني جئت لأنقض التاموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمل ، فإننى الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من التاموس حتى يكون الكل » .

إلا أن النصارى بعد المسيح بدّلوا وغيروا ديانتهم في العقيدة والشريعة فألغى « بولس » التاموس أو شريعة موسى ، وأبطل العمل بها ، بل اعتبر العمل بها لا ينجي الإنسان بل يهيجه للجنة .

وفي هذا يقول في « رسالته لأهل غلاطية » (٢ / ١٦) : « إذ نعلم أن الإنسان لا يتبرّر بأعمال التاموس ... لأنه بأعمال التاموس لا يتبرّر جسد ما » .

وفي (٣ / ١٠) يقول : « لأن جميع الذين هم من أعمال التاموس هم تحت لعنة ، لأنه مكتوب ملعون كل من لا يثبت في جميع ما هو مكتوب في كتاب التاموس ليعمل به » .

لهذا انقطعت صلة النصارى بالعبادات والشرائع الموجودة في العهد القديم . وصارت عندهم عبادات وشعائر مختلفة نذكر منها :

أولاً : من العبادات

أ - الصَّلَاة :

وهي سبع صلوات في اليوم والليلة ، وليس لها كَيْفِيَّة محدودة وإنما هي دعاء ويختارونه في الغالب من أدعية المسيح عليه السَّلام ، أو أدعية داود عليه السَّلام كما رووها في « الزمير » من العهد القديم .

وللصَّلَاة عندهم شرطان فقط ، وهما :

١ - أن تقدّم الصَّلَاة باسم المسيح لأنّه الواسطة عندهم - وهذا أصرح ما يكون في عبادتهم له .

٢ - أن يتقدّم الصَّلَاة الإيمان الكامل بما في ديانتهم من التَّليث وغيره .

والصَّلَاة أنواع : منها صلاة فردية سرّية ، وصلاة عائليّة في البيت ، ومنها الصَّلَاة العامة في الكنيسة ، وأهمها صلاة يوم الأحد حيث يقرأ الكاهن منهم شيئاً من الزمير أو الكتاب المقدّس ، والجميع وقوف يستمعون ، وعند نهاية كلّ مقطع يدعون^(١) .

ب - ثانياً : الصَّوْم :

وهو الامتناع عن الطَّعام حتّى بعد منتصف النّهار ، ثم تناول طعام خال من الدَّسم عند البعض ، والبعض منهم يرى الصَّوْم امتناعاً عن الأكل والشُّرب من الصُّباح إلى المساء ، وهم يصومون يوم الأربعاء لأنّه يوم المشاورة على موت المسيح عندهم ، ويوم الجمعة لأنّه صُلبَ عندهم فيه المسيح ، وصوم الميلاد

(١) انظر : دستور الكنيسة الإنجيلية بمصر ص ٤٠ - ٤١ في العبادات المسيحيّة ص ١٦ - ١٧ .

وعدد أيَّامه ٤٣ يوما تنتهي بعيد الميلاد ، وأيَّامًا أخرى غير ذلك ، وضعوها لمناسبات خاصَّة تختلف من كنيسة إلى كنيسة .

وبعضهم يرى أنَّه لا يُوجدُ صيام دوريٌّ على النُصرانيِّ بل يصوم الإنسانُ وقت الحاجة للصَّيام ، ويُعتَبَرُ كُلُّ صيام محدَّد بدعة غير مشروعة^(١) .



(١) انظر : حقائق أساسية في الإيمان المسيحي ص ٢١٦ ، في العبادات المسيحية ص ٢٤ .

ثانياً : الطقوس عند النصارى

أ - التعميد :

وهو مفتاح الدخول في النصرانية فمن لم يعمد فليس نصرانياً عندهم ولو كان من أبوين نصرانيين ، ويختلفون في وقت التعميد ، فمنهم من يعمد الشخص وهو طفل ، ومنهم من يعمد الشخص في أي وقت من حياته ومنهم من يعمد الشخص وهو على فراش الموت .

ومرادهم بالتعميد أن يكون الإنسان طاهراً مبرئاً من الذنوب .

وطريقته عندهم رش الماء على الجبهة ، أو غمس أي جزء من الجسم في الماء ، أو غمس الشخص كله في الماء ، ولا يكون إلا في الكنيسة وعلى يد كاهن^(١).

ب - العشاء الرباني أو القربان المقدس :

هو قطع من الخبز مع كأس من الخمر ، يتناوله النصارى في الكنيسة رمزاً وتذكيراً لصلب المسيح عندهم .

وعند الكاثوليك من النصارى أن من أكل هذا الخبز وشرب الخمر فقد أكل لحم المسيح ، وشرب دمه ، لأنه عندهم يتحول إلى لحم المسيح ودمه .

وغيرهم يراه رمزاً لما حلّ بالمسيح ، أو أن المسيح يحضر روحياً لهذا العشاء ، وليس له وقت محدد وإنما يرون ممارسته مراراً عديدة في العام ويجب أن يبلغ الناس عنه قبل مواعده بأسبوعين على الأقل .

وهاتان الفريضتان الأخيرتان هما أهم شعائر النصارى إذ هما فقط الذي ورد

(١) دستور الكنيسة الإنجيلية ص ٥١ ، حقائق أساسية في الإيمان المسيحي ص ٢٤٠ .

عن المسيح في زعمهم الأمر بها^(١) .

ج - الاعتراف للقسس وصكوك الغفران :

التوبة عند النصارى لا تتم إلا بالاعتراف بالذنوب والخطايا أمام القس أو الكاهن في الكنيسة ، ثم يمسه هذا الكاهن فتغفر ذنوبه^(٢) .

ثم إن ذلك تطوّر حيث قرر في المجمع الثاني عشر سنة ١٢١٥ م أن الكنيسة تملك حقّ الغفران للذنوب وتمنحه لمن تشاء .

فاستغلت الكنيسة والقسس هذا الأمر ، وطبعوا صكوك الغفران ، وباعوها وربحوا من ورائها أموالا طائلة ، وهذه الصكوك يغفر فيها جميع الذنوب السابقة واللاحقة وتخلّص صاحبها من جميع التبعات والحقوق التي في ذمته . وهذا في الواقع وصمة في جبين النصارى ، ومظهر من مظاهر تلاعبهم وعبتهم ، وما اخترعوه إلا لأكل أموال الناس بالباطل .

د - الزواج عند النصارى :

الزواج عند النصارى مسنون لهم ما عدا القسس والرهبان اقتداء في زعمهم بالمسيح عليه السلام الذي لم يتزوج .

وعندهم أن الذي يستطيع أن يضبط نفسه عن الزنا فالأفضل أن لا يتزوج ، ولا يجوز عندهم الزواج بأكثر من واحدة ، ولا طلاق عندهم إلا في حالة الزنا عند الأرثوذكس وإذا طلق أحدهما الآخر فلا يتزوج مرة أخرى . ويجوز الطلاق عندهم في حالة اختلاف الدين بين الرجل والمرأة إذا لم يتم التوافق بينهما .

(١) دستور الكنيسة الإنجيلية ص ٥٣ ، حقائق أساسية ص ٢٥٠ .

(٢) انظر : العبادة المسيحية ص ٨٨ ، ١١٥ .

هـ - حمل الصليب وتقديسه :

النصارى يرمزون بالصليب الذي يحملونه . والذي لا تكاد تجد نصراني إلا وهو يحمله - إلى صلب المسيح عليه السلام عندهم .
ويزعمون أن حمله يُشعِرهم بإنكار النفس واقتفاء أثر المسيح في هذا الإنكار
والسير وراء مخلصهم وفاديتهم^(١) .



(١) انظر في الموضوعين : محاضرات في النصرانية (١١٠ - ١١٧) ، والمسيحية أحمد شلبي (ص :

١٧١ - ١٧٥ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦) .

الفصل السابع

اهم الفرق النّصرانيّة المعاصرة

- الطائفة الأولى : الكاثوليك .
- الطائفة الثانية : الأرثوذكس .
- الطائفة الثالثة : البروتستانت .

أهم الفرق النصرانية المعاصرة

لما فقد النصارى كثيرًا من آثار الوحي والنبوّة - التي جاءتهم ، ولم يعد عندهم أصلٌ صحيحٌ يرجعون إليه - اختلفوا ، وتفرّقوا ، شيعةً وأحزاباً متباغضة متعادية . وفى هذا يقول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَعَزَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ [المائدة : ١٤] .

والعداوة والبغضاء لا تكون إلا بسبب الخلاف والاختلاف .

وقد تقدّمت الإشارة إلى أن الجوامع كانت تُعقّد لمواجهة ما يقع من اختلافٍ ومجمع نيقية سنة ٣٢٥ م دعى إليه « قسطنطين » لما رأى كثرة اختلافهم وتشعب آرائهم ، ثم ألزمهم بالأخذ بقول القائلين بالوهيئة المسيح كما تقدّم . وقد اندثر أكثر هذه المذاهب المخالفة بسبب شدّة الكنيسة على مخالفيها وهم الآن مجمعون على القول بالوهيئة المسيح عليه السلام ، وأنه نزل ليُصلّب تكفيراً لخطيئة آدم عليه السلام واعتبار الكتب الأربعة « متى ، ومرقس ، ولوقا ويوحنا » وبقيّة العهد الجديد ، مع العهد القديم هي الكتب المقدّسة إلا أنّهم يختلفون في بعض الأمور الأخرى .

وينقسمون إلى ثلاث طوائف كبار هي :

◀ الطائفة الأولى : الكاثوليك ▶

وهم أتباع البابا في روما وأهم ما يتميزون به هو :

- ١ - قولهم بأن الروح القدس انشق من الأب والابن معاً (وقد تقدمت الإشارة إلى هذا عند الكلام على المجمع الثامن) .
 - ٢ - يبيحون أكل الدّم والمخنوق .
 - ٣ - أن البابا في الفاتيكان هو الرئيس العام على جميع الكنائس الكاثوليكية .
 - ٤ - تحريم الطلاق بتاتا حتّى في حالة الزنا .
- والكاثوليك هم أكثر الأوربيين الغربيين وشعوب أمريكا الجنوبيّة وتُسمّى كنيستهم الكنيسة الغربيّة .

★★★★

الطائفة الثانية : الأرثوذكس

وهم النصارى الشرقيون الذين تبعوا الكنيسة الشرقية في القسطنطينية (وقد تقدّمت الإشارة إلى سبب انشقاقهم عند الكلام على المجمع الثامن) .
وأهم ما يميّزون به هو :

- ١ - أن الروح القدس انبثق عندهم من الأب فقط .
 - ٢ - تحريم الطلاق إلا في حالة الزنا فإنه يجوز عندهم .
 - ٣ - لا يجتمعون تحت لواء رئيس واحد بل كل كنيسة مستقلة بنفسها .
- وهذا المذهب منتشر في أوروبا الشرقية وروسيا والبلاد العربية .

الطائفة الثالثة : البروتستانت

ويسمّون : « الإنجيليين » ، وهم أتباع مارتن لوثر الذي ظهر في أوائل القرن السادس عشر الميلادي في ألمانيا وكان ينادي بإصلاح الكنيسة وتخليصها من الفساد الذي صار صبغة لها .

□ وأهم ما يميّز به أتباع هذه النحلة هو :

١ - أن صكوك الغفران دجلٌ وكذبٌ وأن الخطايا والذنوب لا تغفر إلا بالتّدم والثّوبة .

٢ - أن لكلّ أحد الحقّ في فهم الإنجيل وقراءته وليس وفقًا على الكنيسة .

٣ - تحريم الصّور والتّماثيل في الكنائس باعتبارها مظهرًا من مظاهر الوثنيّة .

٤ - منع الرهبنة .

٥ - إنّ العشاء الربانيّ تذكّار لما حلّ بالمسيح من الصّلب في زعمهم ، وأنكروا أن يتحوّل الخبز والخمر إلى لحم ودم المسيح عليه السّلام .

٦ - ليس لكنائسهم رئيس عام يتّبعون قوله .

وهذه النحلة تنشر في ألمانيا وبريطانيا وكثير من بلاد أوروبا وأمريكا الشماليّة^(١)

★★★★

(١) انظر في هذا (محاضرات في التّصوّات) ص ١٦١ ، ١٦٤ ، ١٨٠ ، (قل يا أهل الكتاب تعالوا

إلى كلمة سواء) ص ٢٥٧ ، ٢٦٢ .

الفصل الثامن

التنصير

- وسائله .
- أهداف التنصير .

الفصل الثامن

التنصير

هو الدَّعوة إلى النَّصْرانيَّة ويسمَّيه النَّصارى التَّبشير .

وسائله

لنَّصارى في دعوتهم إلى ديانتهم وسائل عديدة منها :

* الدَّعوة المباشرة بالوعظ ، والتَّعليم العام ، والمناداة باتِّباع الدِّيانة النَّصْرانيَّة .

وهذه الوسيلة هي المعمول بها في بلدانهم وبين شعوبهم .

* ومنها : الدَّعوة غير المباشرة ، وذلك عن طريق التَّطبيب والتَّعليم والإغاثة .

فهم يجعلون من تطبيب المرضى وعلاجهم وسيلة إلى إيصال الدَّعوة إلى النَّصْرانيَّة ، وذلك بإقامة المستشفيات والمراكز الصَّحَّيَّة التي تكون ستارًا لدعوتهم .

وكذلك التَّعليم وذلك بإنشاء المدارس من رياض الأطفال ، وما فوقها من المستويات من المعاهد والجامعات .

كما يستغلُّون حاجة المنكوبين والملهوفين للإعانات ، فيغلُّون تلك الإعانات بالدَّعوة إلى النَّصْرانيَّة .

وهذه الوسائل يستخدمونها في البلدان غير النَّصْرانيَّة ، وخاصَّة البلدان الإسلاميَّة^(١) .

(١) انظر : ملامح عن النُّشاط التَّنصيري في الوطن العربي ص ٢٦ .

أهداف التنصير

إنَّ من المعلوم أنَّ العقيدة هي أقوى رابط والولاء الحقيقي لا يكون إلا بها ووفقها .

لهذا يسعى النَّصارى إلى تنصير النَّاس ، وخاصَّة المسلمين حتَّى يكسبوا ولائهم ويسيطروا عليهم ، فهو إذاً وسيلة أخرى من وسائل الاحتلال والسيطرة والاستعمار لا تحتاج إلى بذل النفوس وإزهاق الأرواح بالحروب الطَّاحنة ، بل تحتاج إلى بذل المال واستغلال الفرص المتاحة في البلدان الإسلاميَّة من تمزُّق المسلمين وضعفهم واعتناق كثير من ساسة البلدان الإسلاميَّة للتَّصورات والعقائد المعادية للإسلام من علمانيَّة ، وقوميَّة ، وشيوعيَّة وضعف ولائهم للإسلام وبالتالي للأُمَّة ، وكذلك فساد حال كثير من الشُّعوب الإسلاميَّة ، بسبب المناهج الوافدة وضعف التَّكوين الدِّيني في نفوسهم ، ممَّا يجعل الفرصة متاحةً للمنصِّرين .

وممَّا يدلُّ على أنَّ التَّنصير لا يعدو أن يكون هجمة استعماريَّة جديدة أمور عديدة هي :

أولاً : أنَّ الدَّول التي هي من وراء التَّنصير هي دول إلهيَّة بكلِّ ما تعنيه هذه الكلمة فكيف تشجّع بل تستخدم نفوذها في تغلغل المنصِّرين وتسهيل مهمَّتهم لو لم يكن لها أهداف استعماريَّة .

ثانياً : أنَّ الدَّعوة إلى النَّصرانيَّة فشلت فشلاً ذريعاً في بلدانها ، فتوجَّهها إلى بلدان أجنبيَّة عنها يكلفها ذلك أضعافاً مضاعفة من المال والوقت ، مع التَّأثيرات غير المشجعة ، هذا يدلُّ على أنَّ نشاطها في التَّنصير ليس هدفه نشر النَّصرانيَّة

بحد ذاتها وإنما استعمار المسلمين بشكل أفضل وأكمل بالنسبة لهم .
ثالثاً : تصريحات المنصّرين أنفسهم بأنهم ليسوا إلا أدوات في يد المستعمر ومقدمة له .

وفي هذا يقول « كوتوي زيقلر » في كتابه « أصول التَّنصير » : « ولكن ليس من شك في أن التوسّع الاستعماريّ كان له وجهان : اقتصاديّ ، وسياسيّ ، وكان النشاط التَّنصيريّ جزءاً أساسيّاً من هذا التوسّع الأوربيّ . ونهاية القرن التاسع عشر كانت دوائر التّفوذ السياسيّ الغربيّ قد ثبتت من نهر اليانغتسي إلى النيل ، وأصبحت لندن هي عاصمة العالم الماليّة ووضعت أسس البعثات التَّنصيريّة من تايبيه إلى دكار »^(١) .

ويقول رأس المنصّرين في العصور المتأخّرة ومجرمهم « صموئيل زويمر » ملخّصاً لأهداف التَّنصير وغاياته ، في خطاب له في مؤتمر القدس ، الذي عقده المنصّرون عام ١٩٣٥ م في القدس مخاطباً أمثاله من المنصّرين ما نصّه : « أيّها الإخوان الرُّملاء . نحن كتب الله لهم الجهاد في سبيل المسيحيّة ، واستعمارها لبلاد الإسلام ، فأحاطتهم عناية الرّب بالتّوفيق الجليل المقدّس . قد أدّيتُم الرّسالة الّتي أُنيطت بكم خير أداء . ووفقتُم لها أسمى التّوفيق . وإن كان يخيّل إليّ أنّه مع إتمامكم العمل على أكمل وجه ، لم يفتن بعضُكم إلى الغاية الأساسيّة منه :

إنّي أقرُّكم على أن الذين أدخلوا من المسلمين في المسيحيّة لم يكونوا مسلمين حقيقيّين - لقد كانوا أحد ثلاثة :

(١) أصول التَّنصير في الخليج العربيّ ص ٣١ .

إمّا صغير لم يكن له من أهله من يعرفه بالإسلام - وإمّا رجلٌ مستخفٌ بالأديان لا ينبغي غير الحصول على قوّته ، قد اشتدّ به الفقر وعزّت عليه لقمة العيش - أمّا الآخر فيبغي الحصول على غاية من الغايات الشخصية^(١).

ولكن مهمة التبشير التي ندبتكم لها الدّول المسيحيّة في البلاد الإسلاميّة ليست هي إدخال المسلمين في المسيحيّة ، فإنّ في هذا هداية لهم وتكريماً .

وإنّما مهمّتكم هي أن تخرجوا المسلم من الإسلام ، ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله ، وبالتالي لا صلة له بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها^(٢).

ولذلك تكونون أنتم طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلاميّة ، وهذا ما قمتم به خير قيام ، وهذا ما أهتكم عليه ، وتهنّئكم عليه دول المسيحيّة والمسيحيّون عموماً من أجله كلّ التّهنئة .

لقد قبضنا أيها الإخوان في هذه الحقبة من الدّهر ، من ثلث القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا ، على جميع برامج التّعليم ، في الممالك الإسلاميّة المستقلّة ، أو التي تخضع للتّقود المسيحيّ أو التي يحكمها المسيحيّون حكماً مباشراً ، ونشرنا في تلك الربع مكامن التبشير المسيحيّ والكنائس والجمعيات وفي المدارس التي تهيمن عليها الدّول الأوروبيّة ، والأمريكية ، وفي مراكز كثيرة ، ولدى شخصيات لا تجوز الإشارة إليها^(٣). الأمر الذي يعود فيه الفضل إليكم أولاً ، وإلى ضروب كثيرة من التّعاون باهرة النتائج ،

(١) مراد زومير أنّ الصنف الثالث ممّن أغراه المنصّرون بالشّهوات إمّا المال أو النّساء أو المركز .

(٢) هذا غاية ما يصوبوا إليه هذا الحرم المنحرف ، وهو أن يقوم بدور الشّيطان بين المسلمين .

(٣) يقصد شخصيات متنّذة في الدّول الإسلاميّة تخضع لهم وتحقق لهم أطماعهم .

وهي أخطر ما عرف البشر في حياته الإنسانية^(١).

إنكم أعددتكم بوسائلكم الخاصة جميع العقول في الممالك الإسلامية إلى قبول السير في الطريق الذي مهّدتم له كُلُّ التمهيد .

إنكم أعددتكم نشأ لا يعرف الصلة بالله ، ولا يريد أن يعرفها ، وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية ، وبالتالي جاء النشء طبقاً لما أرادته الاستعمار ، لا يهتم بالعظائم ويحب الراحة والكسل ، فإذا تعلّم فللشهوات ، وإذا تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات يَجُودُ بكل شيء .

إنَّ مهمتكم تتم على أكمل وجه ، وقد انتهيتم إلى خير النتائج وباركتكم المسيحية ، ورضي عنكم الاستعمار فاستمروا في أداء رسالتكم فقد أصبحتم بفضل جهادكم المبارك موضع بركات الله »^(٢).

بمثل هذه الأهداف الخبيثة والوسائل الأخبث يتوجّه النصارى بثياب المتوجّعين على المرضى والمنكوبين والجهلة في عموم البلدان الإسلامية يلبسون لهم مسوح الرهبان وقلوبهم قلوب الذئاب ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [الصف : ٨] وما أبدوه من رضى عن إفساد المسلمين يدلُّ دلالة واضحة على المارّة التي تجرّعوها ، وعلى الخينة التي مثّوا بها في أن يقبل المسلمون ذلك الهراء الذي يسمّونه ديناً ، وذلك التلّفيق الوثنيّ الذي يريدون أن ينطلي على المسلم ، وهذا إن دلَّ على شيءٍ فإنما يدلُّ على أنّهم ليسوا على شيء ، وأنّهم لا يستطيعون أن يعطوا المسلم شيئاً يجذبه

(١) لا يبعد أن يقصد هذا الخبيث الجمعيات الماسونية وأشباهاها ممّن كان له دور هدام في المسلمين .

(٢) نقلاً عن كتاب « معاول الهدم والتدمير في النصرانية والتبشير » ص ١٣ .

إلى دينهم ، وغرّهم أن وجدوا استجابةً من الوثنيين فيما مضى وما ذاك إلا لأنّ الوثني وجد وثنيّة في النصرانيّة فلا بأس مع المغريات أن يلبس ثوب النصرانيّة مع ثوبه الأصلي .

أمّا المسلم صاحب العقيدة والوعي فيعلم أنّ النصرانيّة ليست سوى ديانة وضعيّة ملققة ليس فيها غناء ، ولا يأتي منها شفاء . ويكون النصراني في محاولته لتنصير المسلم كمن يأتي إلى من يملك الملايين فيدعوه إلى استبدالها بفلوس مزيفة . أو كمن يأتي إلى الصّحيح المعافى في بدنه وعقله فيدعوه إلى المكان الموبوء الممرّض . أو كمن يدعو من هو في الثور إلى الظلمة فحقيقة الإسلام الثور ، وحقيقة النصرانيّة الظلمة ﴿ أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأُحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَاهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام : ١٢٢] .

□ وقد روى لي أحد الأخوة مَن يعيش في فرنسا :

« أن رجلاً كان قسيساً فأسلم سرّاً وبقي في عمله في الكنيسة إلا أنه يخفي إسلامه ، وفي مرة استطاع بعض القسس أن يصطادوا شاباً من أصل مسلم وبدأوا يهيئونه للدّخول في ديانتهم ، فجاءه هذا القسيس الذي يخفي إسلامه فأخذه معه إلى بيته ، فأنزله إلى طابق تحت الأرض ، فلما نزل وكان الظلام شديداً - قال له : ماذا ترى ؟

فقال الشاب : لا أرى شيئاً ؟

فقال له القسيس : اصعد معي ، فخرجنا من ذلك المكان إلى وجه الأرض حيث النور ، فقال له : ماذا ترى ؟

فقال الشاب : أرى كُلَّ شيء .

فقال له القسيس : ذلك المكان الذي كُنتا فيه مثل النصرانية ظلمة ، وهذا الذي نحن فيه مثل الإسلام نور ، وأنت تريد أن تترك النور وتذهب إلى الظلمة وأنا أخوك مسلم أخفي إسلامي ، ولكن اذهب واحذر أن تترك النور إلى الظلمة !! » .

فأنقذ الله هذا الشاب بهذا المثال الذي يعبر عن حقيقة الديانة النصرانية ، التي هي ظلمات بعضها فوق بعض ، ثم يحاول بعد ذلك أهلها أن يروّجوها على المسلمين .

إلا أنه من الواجب التحذير بأن الجهل الذي تعيشه كثير من الشعوب الإسلامية ، وأعني به الجهل بالدين ، هو أكبر مطية للمنصرين وأعظم معين لهم في تحقيق أهدافهم في المسلمين لا سمح الله ، أما المرض والتكبات من حروب ، أو زلازل ، أو مجاعات ونحوها فلا تحقق لهم أهدافهم إلا إذا رافقها الجهل بالإسلام ، فعند ذلك يجد المنصرون مجالاً للتأثير على المسلم ، بقلب الحقائق له : بتشويه الإسلام وتزيين النصرانية بالمساحيق الخداعة الكاذبة التي تخفي وثنيّتها وفسادها .

ومن هنا يتبين أهمية العلم - أعني العلم الشرعي - وتوعية الشعوب الإسلامية بحقيقة الإسلام وسموّه وعظمته وعظيم الجزاء من الله عليه في الآخرة بالنجاة من النيران والفوز بالرضوان . فنكون بذلك حصناً الشعوب الإسلامية بالدرع الواقى من كُلِّ دعوة فاسدة مبطلّة ، بل أعطيناها أيضاً السلاح الذي به تستطيع أن ترد على وسوسة المنصرين ووثنيّتهم وتنتصر عليهم بإذن الله .

وليتق الله حُكَّام وولاة أمور المسلمين في شعوبهم ، فيضعوا لهم المناهج التي
تُوعِّي المسلمين بدينهم ، وتبصِّرهم بما ينجيهم غداً في موقفهم أمام ربهم عزَّ
وجلَّ ، وتدفع عنهم غوائل الأعداء ، وترئِص المنصِّرين البعداء .

فإنَّ في صلاح الشُّعوب الإسلاميَّة ، ثبات حكم الحُكَّام ، ودوام دولتهم -
ياذن الله - لأنَّهم حماة وحراسها وسلامة عقائدهم مؤذن بولايتهم ومحبتهم
ونصرتهم ، وفساد عقائدهم وديانتهم مؤذن باختلافهم على حُكَّامهم
وعداوتهم لهم ، فليتَّقوا الله فيهم فإنَّهم غداً أمام الله موقوفون وعن شعوبهم
وما وُلُّوا مسؤولون .

﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

○ ○ ○ ○

الفصل التاسع

البشارة بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم
في الكتاب المقدس

- البشارة الأولى .
- البشارة الثانية .
- البشارة الثالثة .
- البشارة الرابعة .

البشارة بالنبي محمد ﷺ في الكتاب المقدس

لقد بشر المسيح عليه السلام بنبينا محمد ﷺ كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ [الصف : ٦] .

وقد جدَّ النَّصارى ، ومن قبلهم إخوانهم اليهود في حذف هذه البشارات من كُتُبِهِمْ أو صرفها عن وجهها ، ويزعمون أنه لا يُوجدُ في كتبهم إشارة إلى النبي ﷺ وإن وُجدَ شيءٌ صرفه النَّصارى إلى عيسى ابن مريم وصرفه اليهود إلى المسيح الذي ينتظرونه ، وهي في الواقع لا تنطبق إلا على نبيِّ هذه الأمة سيدنا محمد ﷺ وأُمَّته ، وقد بقي من هذه البشارات الشيء الكثير مع تحريفهم لكتبهم .

وقد عدَّ منها « رحمة الله الهندي » في كتابه « إظهار الحق » ثمانى عشرة بشارة ، منها إحدى عشرة بشارة في « العهد القديم » ، وسبع بشارات في « العهد الجديد » .

فذكر بعضًا من تلك البشارات مما ورد في العهدين « القديم » و « الجديد » .

البشارة الأولى :

ورد في « سفر التثنية » (١٨ / ١٧) : « قال لي الربُّ : قد أحسنوا فيما تكلموا أقيم لهم نبيًا من وسط إخوتهم مثلك ، وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكلِّ ما أوصيه به ، ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي

فِيكَلِّمُهُمْ بِكُلِّ مَا أَوْصِيَهُ بِهِ ، وَيَكُونُ أَنَّ الْإِنْسَانَ الَّذِي لَا يَسْمَعُ لِكَلَامِي
الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ بِاسْمِي أَنَا أَطَالِبُهُ .

هذه نص في النبي مُحَمَّدٍ ﷺ لَأَنَّهُ قَالَ : « مِنْ وَسْطِ إِخْوَتِهِمْ » ، وَإِخْوَتِهِمْ
هُمُ أَبْنَاءُ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَأَنَّهُ أَخُو إِسْحَاقَ الَّذِي يَنْتَسِبُ إِلَيْهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ
حَيْثُ هُمَا ابْنَا إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وَأَيْضًا قَالَ (مِثْلُكَ) وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْيَهُودَ يَرُونَ أَنَّهُ لَمْ يَقَمْ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ نَبِيٌّ
مِثْلَ مُوسَى .

حَيْثُ نَصُّوا عَلَى هَذَا الْأَمْرِ فِي « سِفْرِ التَّنْذِيرِ » الْإِصْحَاحِ ٣٤ فِقْرَةَ (١٠) :
« وَلَمْ يَقَمْ بَعْدَ نَبِيِّ فِي إِسْرَائِيلَ مِثْلَ مُوسَى ، الَّذِي عَرَفَهُ الرَّبُّ وَجْهًا لَوَجْهِهِ » .
وَفِي النُّسخَةِ السَّامِرِيَّةِ مِنَ التَّوْرَةِ هَكَذَا : « وَلَا يَقُومُ أَيْضًا نَبِيٌّ فِي
إِسْرَائِيلَ مِثْلَ مُوسَى الَّذِي نَاجَاهُ اللَّهُ شَفَاهَا » .

وَالْيَهُودَ يَزْعُمُونَ أَنَّ هَذِهِ الْبَشَارَةَ لِنَبِيِّ لَمْ يَأْتِ بَعْدَ ، وَإِنْ زَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ
الْمُرَادَ بِهَا يَوْشَعَ بْنِ نُونٍ ، فَهَذَا غَيْرُ صَحِيحٍ لَأَنَّهُ لَيْسَ مِثْلَ مُوسَى ، وَيَزْعَمُ
النَّصَارَى أَنَّ الْمُرَادَ بِهَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَهِيَ فِي الْوَاقِعِ لَا تَصْدُقُ عَلَيْهِ
بِوَجْهِهِ لَأَنَّهُ .

أَوَّلًا : مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَيْسَ مِنْ إِخْوَتِهِمْ .

ثَانِيًا : هُوَ لَيْسَ مِثْلَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَإِنَّهُ تَابِعٌ لَهُ ، كَمَا أَنَّهُ عِنْدَ النَّصَارَى
إِلَهُ وَابْنُ إِلَهٍ فَلَوْ أَقَرُّوا بِأَنَّهُ مِثْلُ مُوسَى لَهَدَمُوا دِيَانَتَهُمْ وَمَا هُمْ عَلَيْهِ .

أَمَّا النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ ﷺ فَتَصْدُقُ عَلَيْهِ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ ، فَإِنَّهُ مِنْ إِخْوَتِهِمْ ،
وَهُوَ مِثْلُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ نَبِيٌّ رَسُولٌ ، وَأَتَى بِشَرِيعَةٍ جَدِيدَةٍ ، وَحَارَبَ

المشركين ، كما فعل موسى عليه السَّلام .

ثم إِنَّه قال : « أَجْعَلُ كَلَامِي فِي فَمِهِ » ، فهذا كناية عن الْقُرْآنِ المحفوظ في الصُّدُورِ الَّذِي تَلَقَّاهُ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مشافهةً من جبريل عليه السَّلام وحفظه في قلبه وتلاه من بعد لأُمَّته من فمه عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حيث كان أُمِّيًّا لا يقرأ ولا يكتب عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ . ثم إِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا أَتَمَّ وعده للنَّبِيِّ ﷺ أَنَّ الَّذِينَ لَا يَطِيعُونَهُ فَإِنَّ اللَّهَ سَيُطَالِبُهُمْ ، وقد طالِبَهُمْ ، فانتقم من أعدائه المشركين واليهود ثُمَّ مَنَّ عَدَاهُمْ مِنَ الْأُمَمِ .

وهذا لم يكن لنَبِيِّ غَيْرِهِ ﷺ ، وعيسى عليه السَّلام لم ينتقم اللَّه من أعدائه بل كان أعداؤه في مكان المنتصر فأرادوا قتله إِلَّا أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا أَنْجَاهَ مِنْهُمْ ، وفي زعم النَّصَارَى أَنَّهُمْ قَبَضُوا عَلَيْهِ وَأَهَانُوهُ وَصَلَبُوهُ^(١) .

البشارة الثانية :

جاء في « سِفْرِ التَّثْنِيَةِ » (٣٣ / ١) : « وهذه هي البركة الَّتِي بَارَكَ بِهَا مُوسَى رَجُلَ اللَّهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَبْلَ مَوْتِهِ فَقَالَ : جَاءَ الرَّبُّ مِنْ سَيْنَاءَ وَأَشْرَقَ لَهُمْ مِنْ سَعِيرٍ وَتَلَأَلَأَ مِنْ جَبَلِ فَارَانَ وَأَتَى مِنْ رِبَوَاتِ الْقُدُسِ وَعَنْ يَمِينِهِ نَارٌ شَرِيعَةٌ لَهُمْ » .

فمَجِيءُ الرَّبِّ مِنْ سَيْنَاءَ مَعْنَاهُ إعْطَاءُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ التَّوْرَةَ .

وقوله : « أَشْرَقَ مِنْ سَعِيرٍ » التبشير بالمسيح عليه السَّلام ؛ لِأَنَّ « سَاعِيرَ » جَبَلٌ فِي أَرْضِ يَهُوذَا فِي فِلَسْطِينَ^(٢) .

(١) أنظر : إظهار الحق (٤ / ١١١٦ ، البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل ١ / ٢١٨) .

(٢) أنظر : قاموس الكتاب المقدس ص ٤٦٧ .

وقوله : « وتلاً من جبل فاران » : المراد به التبشير بالنبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ ؛ لأنَّ « فاران » جبل من جبال مَكَّة ، وقد سَمَّوه بكتابهم بهذا الاسم .

فقالوا عن إسماعيل عليه السَّلام في « سِفَر التَّكوين » (٢١ / ٢١) : « سكن بركة فاران وأخذت له أمُّه امرأة من أرض مصر » وإسماعيل عليه السَّلام لم يسكن إلَّا مَكَّة^(١) .

البشارة الثالثة :

جاء في « سِفَر حجي » - وهو أحد أنبيائهم - من العهد القديم (٧ / ٢) أن حجاي أخبر بني إسرائيل بعد تدمير الهيكل وسيبهم إلى بابل وعودتهم مرة أخرى بما قال الله له معزِّيًا لهم : « لأنَّه هكذا قال ربُّ الجنود : هي مرة بعد قليل فأزلزل السَّمُوات ، والأرض ، والبحر ، واليابسة ، وأزلزل كُلَّ الأُمَمِ ، ويأتي مشتهى كُلِّ الأُمَمِ ، فأملأ هذا البيت مجدًا ، قال رب الجنود : ولي الذهب يقول رب الجنود : مجد هذا البيت الأخير يكون أعظم من مجد الأوَّل ، قال رب الجنود : وفي هذا المكان أعطي السَّلام يقول رب الجنود .. »

فقوله هنا : « مشتهى كُلِّ الأُمَمِ » ترجمة بالمعنى لكلمة « حمدا » بالعبري ، كما يقول « البروفسور عبد الأحد داود » والتي لازالت مكتوبة بالعبري بهذا اللفظ والتي تعني المشتهى ، والشَّهِيَّة ، والشَّائق ، وأنَّ هذه الكلمة « حمدا » بالعبري يوازيها بالعربي « أحمد » فتكون نصًّا صريحًا .

وكذلك قوله بعد : « وفي هذا المكان أعطي السَّلام » والسَّلام والإسلام

(١) انظر : إظهار الحق (٤ / ١١٣٤) ، البشارات بين الإسلام (١ / ٢٦٠) .

شيء واحد ، وقد جاء السّلام إلى بيت المقدس برحلة النبي عليه الصّلاة والسّلام إليه في الإسراء ثم بفتحه في عهد عمر رضي الله عنه^(١).

ثم إن ما تعلّق بعد ذلك من الأحداث بمجيء « حمدا » لا تنطبق إلّا على نبيّ الإسلام محمد عليه أفضل الصّلاة والتّسليم ، فبعد خراب بيت المقدس ما عاد له المجد أعظم ممّا كان إلّا على يد المسلمين ، وما أحدثه الإسلام في الأرض بأن زلزل الدّول وأهلك الله جلّ وعلا بالمسلمين أهل الذّهب القياصرة وأهل الفضة ، الفرس وصارت أموالهم تنفق في سبيل الله ، كلّ هذا لم يفعله أحد من اليهود ولم يفعله المسيح عليه السّلام ، ولم يتحقّق إلّا على يد نبيّ الإسلام محمّد عليه الصّلاة والسّلام وأصحابه رضوان الله عليهم وأتباعهم .

البشارة الرّابعة :

« ورد في « إنجيل يوحنا » (١٦ / ٧) : « لكنّي أقول لكم الحقّ أنه من الخير لكم أن أنطلق ، لأنّه إن لم أنطلق لا يأتيكم « المعزى » ولكن إن ذهبت أرسله لكم ، ومتى جاء ذاك يبكى العالم على خطية ، وعلى بر ، وعلى دينونة ... » ثم قال : « إنّ لي أمورًا كثيرة أيضًا لأقول لكم ، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن ، وأمّا متى جاء ذاك روح الحق ، فهو يرشدكم إلى جميع الحقّ ، لأنّه لا يتكلّم من نفسه بل كلّ ما يسمع يتكلّم به ، ويخبركم بأمور آتية ذاك يمجّدني لأنّه يأخذ ممالي ويخبركم » .

فقوله « المعزى » : المراد به الذي أجد به عزاء ، وهذا لا ينطبق إلّا على النّبيّ

(١) محمد في الكتاب المقدس ص ٥٠ - ٥١ ، وصاحب الكتاب البروفسور عبد الأحد داود كان من كبار القسس لطائفة الروم الكاثوليك الكلدانين قبل إسلامه .

ﷺ حيث هو الذي يجد عيسى عليه السلام به العزاء لأنه يبين الحق فيه ويظهر الله على يديه الذين الذي لم يتمكن المسيح عليه السلام من إظهاره .
ثم إن الذي ذكر مكان هذا اللفظة وهي (المعزى) في الترجمات الأخرى هي لفظة (الفارقليط) وقد بدله المترجمون في النسخ العريضة إلى (المعزى) لأن معنى (الفارقليط) هو المعزى ، ولكن الذي يئنه « الشيخ رحمة الله الهندي » وغيره أن (الفارقليط) هو : تحريف لكلمة (بيركلييت) التي تعني محمد أو أحمد ، ولحسد النصارى وبغيهم حرّفوا هذه الكلمة التي هي نص في اسم النبي ﷺ في لغة اليونان ، مع العلم أن النص اليوناني للإنجيل يوحنا أقل ما يقال فيه أنه ترجمة لما نطق به المسيح لأن المسيح عليه السلام كان يتكلم الأرامية وليس اليونانية كما أن الواقع أن (المعزى) لا ينطبق إلا على النبي ﷺ لأنه لا معزى بعد المسيح إلا النبي محمد ﷺ (١) .

وبهذا يتضح أن الله أقام الحجة على اليهود والنصارى بما بين أيديهم ويقرأونه ويرونه لو كانوا يبصرون . والله هو الهادي إلى سواء السبيل .



(١) النصيحة الإيماني في فضيحة الملة النصرانية (١٣٨ - ١٤٥) ، إظهار الحق (٤ / ١١٨٥) ،
محمد في الكتاب المقدس ص ٢١٩ .

انخاتمة

الخاتمة

هذا ماتيسّر جمعه في هذه الدراسة الموجزة .
وفي الختام . أسأل الله الكريم ربّ العرش العظيم أن يأخذ بيد المسلمين
ويردهم إلى دينهم ردًا جميلًا ، حتّى يقوموا بواجبهم تجاه جحافل البشريّة
الضّائعة الحائرة ، التي يسوقها الشّيطان وحزبه من اليهود ، والنّصارى ،
والملاحدة العلمانيّين والشّيعويّين والقوميّين ، وغيرهم إلى جحيم الدّنيا وجحيم
الآخرة ، فينقذوها من مهاوي الضّلال والهلكة .

كما نسأله أن يستعملنا جلّ وعلا في طاعته ، وأن يجعل لنا شرف نصرة
دينه وإعلاء كلمته وإعزاز أُمّة نبيه محمّد عليه أفضل الصّلاة والسّلام ، وأن
يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم ، إنّه سميع قريب مجيب .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين ، سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون
وسلام على المرسلين والحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على نبيّنا محمد وآله
وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا .

وفرغ منه أذان فجر يوم الأربعاء ١٢ / ذي الحجة / ١٤١٣ هـ بالمدينة النّبويّة
على ساكنها أفضل الصّلاة والسّلام .

وكتبه : سعود بن عبد العزيز الخلف

غفر الله له ولوالديه وأهله وذريته

ولإخوانه ولمشايقه وللمسلمين

فهرس المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم .
- ٢- أبحاث فى الفكر اليهودي : د / حسن ظاظا ، دار القلم ، دمشق ، ط الأولى ١٤٠٧ هـ .
- ٣- أخبار بطاركة كرسي المشرق : من كتاب المجدل ماري سليمان - بدون تاريخ أو طبعة .
- ٤- اختلافات فى تراجم الكتاب المقدس : اللواء / أحمد عبد الوهاب ، الناشر : مكتبة وهبة . القاهرة . ط الأولى ١٤٠٧ هـ .
- ٥- الأديان فى القرآن : د / محمود بن شريف ، مكتبات عكاظ للنشر ، ط الخامسة ١٤٠٤ هـ .
- ٦- الأديان والفرق المذاهب والمعاصرة : الشيخ عبد القادر شيبه الحمد ، من مطبوعات الجامعة الإسلامية .
- ٧- الأسفار المقدسة قبل الإسلام : د / صابر طعيمة ، عالم الكتب ، ط الأولى ١٤٠٦ هـ .
- ٨- أصول التنصير فى الخليج العربي : هـ . كونوى زيقلر ، ترجمة مازن مطبقانى ، ط الأولى ١٤١٠ هـ .
- ٩- إظهار الحق : الشيخ رحمة الله بن خليل الكيرنوى الهندى ، تحقيق د / محمد أحمد ملكاوى ، دار الحديث ، القاهرة .
- ١٠- الإنجيل برنابا : ترجمة خليل سعادة ، نشر . محمد رشيد رضا .
- ١١- الإنسان فى ظل الأديان : د / عمارة نجيب ، مكتبة المعارف ، الرياض ١٤٠٠ هـ .
- ١٢- الإنسان والأديان : د / محمد كمال جعفر ، دار الثقافة ، قطر ، ط الأولى ١٤٠٦ هـ .
- ١٣- أهم عوامل انحراف النصرانية : د / إبراهيم خلف التركى ، رسالة ماجستير فى الجامعة الإسلامية ، مطبوعة على الآلة الكاتبة .
- ١٤- البداية والنهاية : الحافظ ابن كثير ، الناشر : مكتبة الفلاح ، الرياض ، مطبعة الفجالة الجديدة ، القاهرة .
- ١٥- البشارة بنبى الإسلام فى التوراة والإنجيل : د / أحمد حجازى السقا ، دار الجيل ، بيروت ، ط الأولى ١٤٠٩ هـ .
- ١٦- بروتوكولات حكماء صهيون : ترجمة . محمد خليفة التونسى ، دار الكتاب العربي ، ط السابعة ١٤٠٤ هـ .
- ١٧- بنو إسرائيل فى القرآن الكريم : د / صابر طعيمة ، عالم الكتب ط الأولى ١٤٠٤ هـ .
- ١٨- تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى : هـ . فيشر ، ترجمة محمد زيادة وزميله ، دار المعارف ، مصر ١٩٥٠ م .
- ١٩- تاريخ أوروبا للعصور الوسطى : د / الباز العرينى ، دار النهضة العربية ، بيروت .

- ٢٠- تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم : محمد عزة دروزة ، المكتبة العصرية بيروت ط جديدة ١٣٨٩ هـ .
- ٢١- تاريخ الطبرى : طبعة دار المعارف ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .
- ٢٢- تاريخ الفكر المسيحى : د / القس . حنا جرجس الحضرى ، دار الثقافة المسيحية ، دار الطباعة القومية .
- ٢٣- تاريخ الكنيسة : يوساييوس القيصري - ترجمة القمص مرقس داود - القاهرة الحديثة للطباعة - مكتبة المحبة .
- ٢٤- تاريخ الكنيسة : د / القس جون لوريمر ، ترجمة عزرا مرجان دار الثقافة المسيحية ، دار الطباعة القومية .
- ٢٥- تاريخ مختصر الدول . غريغوريوس الملطي - المعروف بابن العبري - المطبعة الكاثوليكية في بيروت - ط الثانية ١٩٥٩ م .
- ٢٦- تفسير ابن كثير : الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير . مكتبة المنار ١٤١٠ هـ .
- ٢٧- تفسير ابن جرير الطبرى : مكتبة ومطبعة البابى الحلبي ، ط الثانية ١٣٨٨ هـ .
- ٢٨- تفسير العهد الجديد : دار الثقافة المسيحية ، مطبعة دار نوبار ، القاهرة ، الطبعة الثانية .
- ٢٩- التفكير الدينى فى العالم قبل الإسلام : د / اورانج كاي رحمان داتو ، ترجمة د / رؤوف شلى دار الثقافة - الدوحة .
- ٣٠- التوراة السامرية : ترجمة أبو الحسن إسحاق الصورى ، نشر د / أحمد حجازى السقا ، طبع دار الكتاب المقدس .
- ٣١- حقائق أساسية فى الإيمان المسيحى : القس فايز فارس ، دار الثقافة للمسيحية ، مطبعة القاهرة الجديدة .
- ٣٢- الخطيئة والكفارة : عبد القادى - بدون تاريخ أو مطبعة ، وهو من الكتب التي يوزعها المنصرون .
- ٣٣- دراسات فى العبادات المسيحية : د / محمود على ، حماية بدون تاريخ .
- ٣٤- دراسات فى الكتاب المقدس : د / محمود على حماية ، بدون تاريخ .
- ٣٥- دستور الكنيسة الإنجيلية بمصر : صدر عن دار الثقافة المسيحية ، طبع مطبعة دار نوبار .
- ٣٦- الدين : د / محمد عبد الله دراز ، دار القلم ، الكويت ، ١٤٠٠ هـ .
- ٣٧- السامريون واليهود : د / سيد قراج راشد ، دار المريح للنشر ، الرياض ، ١٤٠٧ هـ .
- ٣٨- الشخصية اليهودية : د / صلاح عبد الفتاح الخالدى ، دار القلم ، دمشق ، ط الأولى ١٤٠٧ هـ .
- ٣٩- صحيح مسلم : الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج ، بعناية محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية ، ط الأولى ١٣٧٤ هـ .
- ٤٠- العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية : محمد طاهر التتير ، نشر محمد إبراهيم الشيباني مكتبة ابن

- تيمية ، الكويت ط الأولى ١٤٠٨ هـ .
- ٤١- العهد الجديد : دار الكتاب المقدس ، القاهرة ١٩٨٢ م .
- ٤٢- العهد القديم : دار الكتاب المقدس ، القاهرة ١٩٨٢ م .
- ٤٣- فتح الباري شرح صحيح البخارى : الحافظ ابن حجر العسقلانى ، نشر رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء ، الرياض .
- ٤٤- فضح التلمود : الآب . آى . بى . براناييس ، إعداد / زهدى الفاتح ، دار النفائس ، ط الثانية ١٤٠٥ هـ .
- ٤٥- الفكر الدينى اليهودي: د / حسن ظاظا ، دار القلم ، دمشق ، ط الثانية ١٤٠٧ هـ .
- ٤٦- قاموس الكتاب المقدس : نخبة من الأساتذة النصارى ، دار الثقافة المسيحية ، ط الثانية .
- ٤٧- القاموس المحيط : مجد الدين محمد الفيروز آبادى ، مؤسسة الرسالة ، ط الثانية ١٤٠٧ هـ .
- ٤٨- القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم : مورييس بوكاى ، دار المعارف بمصر .
- ٤٩- كفارة المسيح : عوض سمعان ، دار الطباعة القومية بالفعالة .
- ٥٠- الكنز المرصود فى قواعد التلمود : د / روهلنج ، ترجمة يوسف نصر الله ، دار القلم ، ط الأولى ١٤٠٨ هـ .
- ٥١- كنوز التلمود : المحرر / س ليفى ، ترجمة محمد خليفة التونسي ، دار البيان ، الكويت .
- ٥٢- « الله » جل جلاله : عباس محمود العقاد ، المكتبة العصرية .
- ٥٣- لسان العرب : ابن منظور ، دار المعارف ، مصر .
- ٥٤- ما هى النصرانية : محمد تقى العثمانى ، تعريب نور عالم الندوى ، مطبعة دار العلوم كراتش ، ط ١٤٠٣ هـ .
- ٥٥- مجمع الشرح الكنسى : جمع وترجمة وتنسيق - حنايا الياس كساب .
- ٥٦- محاضرات فى النصرانية : محمد أبو زهرة - مطبعة المدني - مصر .
- ٥٧- محمد ﷺ فى الكتاب المقدس : البروفسور / عبد الأحد داود ، ترجمة : فهمى شما من مطبوعات المحاكم الشرعية بـ قطر ، ط الأولى ١٤٠٥ هـ .
- ٥٨- المدخل إلى العهد الجديد : القس / فهميم عزيز . إصدار دار الثقافة المسيحية . مطبعة دار الجيل .
- ٥٩- المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم : د / محمد البار ، دار القلم ، دمشق ، ط الأولى ١٤١٠ هـ .
- ٦٠- المفردات فى غريب القرآن : الراغب الأصفهاني ، دار المعرفة ، بيروت .
- ٦١- مسند الإمام أحمد بن حنبل : نشر دار صادر .
- ٦٢- المسيح فى مصادر العقائد المسيحية : اللواء / أحمد عبد الوهاب ، الناشر . مكتبة وهبى ، القاهرة ،

ط الأولى ١٣٩٨ هـ .

- ٦٣- المسيح فى القرآن : عبد الكريم الخطيب ، دار المعرفة ، بيروت ، ط الثانية ١٣٩٦ هـ .
- ٦٤- المسيحية : د / أحمد شلبى ، مكتبة النهضة المصرية ، ط الثامنة ١٩٨٤ م .
- ٦٥- المسيحية الأصلية : ج . ر . و . ستوت ، تعريب زيد زخارى ، دار منشورات النصير .
- ٦٦- المسيحية . نشأتها وتطورها : د / شارل جنير ، تقديم د / عبد الحليم محمود ، دار المعارف ، مصر .
- ٦٧- معاول الهدم والتدمير فى النصرانية والتبشير : إبراهيم الجبهان ، دار المجتمع ، ط الخامسة ١٤٠٩ هـ .
- ٦٨- الملوكوت : القمص . سيداروس ، دار العالم العربى ، ط الأولى ١٩٧٩ م .
- ٦٩- ملامح عن النشاط التنصيرى فى الوطن العربى : د / إبراهيم عكاشة على ، منشورات مركز البحوث فى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٧ هـ .
- ٧٠- موسوعة الفلسفة : د / عبد الرحمن بدوى ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط الأولى ١٩٨٤ م .
- ٧١- الموسوعة الفلسفية : د / عبد المنعم الحفنى ، دار بن زيدون ، ط الأولى .
- ٧٢- النصرانية من التوحيد إلى التثليث : د / محمد أحمد الحاج ، دار القلم دمشق ، ط الأولى ١٤١٣ هـ .
- ٧٣- النصرانية والإسلام : محمد عزت الطهطاوى ، مكتبة النور ، مصر ، ط الثانية ١٤٠٧ هـ .
- ٧٤- وثائق المجمع الثانى للفاثيكان : الطبعة الثانية لعام ١٩٧٩ م .
- ٧٥- (يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء) : د / رؤوف شلبى ، دار الاعتصام ، ط الثانية ١٤٠٠ هـ .
- ٧٦- يهود اليوم ليسوا يهودًا : بنيامين فريد يمان ، إعداد : زهدي القالح - دار النفائس ، ط الثانية ١٤٠٣ هـ .
- ٧٧- اليهودية واليهود : د / على وافى ، دار نهضة مصر .
- ٧٨- اليهودية : أ د / أحمد شلبى ، مكتبة النهضة المصرية ، ط السابعة ١٩٨٤ م .
- ٧٩- اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام : د / فرج الله عبد البارى أبو عطا الله دار الوقاء ، المنصورة ، ط الثانية ١٤١٢ هـ .



فهرس الموضوعات

٣ المقدمة
٧ مدخل إلى دراسة الأديان
٩ أولاً : تعريف الدين
١٢ ثانياً : تقسيم الأديان
١٣ ثالثاً : باعث التدين
٢١ رابعاً : نشأة علم الأديان
٢٤ خامساً : بيان أن التوحيد سبق الشرك
٣١ للإب الأول : اليهودية
٣٣ الفصل الأول : تعريف يهود
٣٧ الفصل الثاني : مجمل تاريخ اليهود
٥٥ مسألة ادعاء اليهود أن لهم حقاً تاريخياً ودينياً في فلسطين
٥٧ مسألة كذب اليهود المعاصرين في ادعائهم أنهم من نسل بني إسرائيل
٦١ الفصل الثالث : مصادر اليهود
٦٤ المبحث الأول : التوراة والكتب الملحقة بها
٦٥ المطلب الأول : تعريف التوراة
٦٩ المطلب الثاني : تاريخ التوراة
٨٣ المطلب الثالث : تحريف التوراة
٨٤ الأمثلة على التحريف
٩٠ المطلب الرابع : الذات الإلهية في التوراة المحرفة
٩٤ المطلب الخامس : الأنبياء عليهم السلام في التوراة المحرفة
٩٧ المطلب السادس : اليوم الآخر لدى اليهود
١٠٠ المبحث الثاني : التلمود
١٠٥ المبحث الثالث : البروتوكولات
١١١ الفصل الرابع : أخلاق اليهود من خلال القرآن الكريم

١١٧	الباب الثاني : النصرانية
١١٩	الفصل الأول : تعريف كلمة نصرانية
١٢٣	الفصل الثاني : نشأتها وطبيعتها
١٣٤	المبحث الأول : الكتاب المقدس
١٣١	الفصل الثالث : مصادر النصرانية
١٣٥	الأنجيل
١٣٦	المطلب الأول : إنجيل المسيح
١٣٨	المطلب الثاني : الأنجيل الأربعة
١٣٩	تاريخ الأنجيل الأربعة إجمالاً
١٥١	تاريخ الأنجيل الأربعة تفصيلاً
١٥٩	الأنجيل الأربعة متما وما فيها من اختلافات وأغلاط
١٧٢	المطلب الثالث : إنجيل برنابا
١٧٧	المبحث الثاني : المجامع النصرانية
١٧٨	المطلب الأول : تعريفها
١٧٩	المطلب الثاني : أهم المجامع السكونية
١٨٩	الفصل الرابع : عقيدة النصارى
١٩٣	المبحث الأول : التثليث
١٩٤	المطلب الأول : تعريفه ومرادهم به
١٩٩	المطلب الثاني : استدلالات النصارى على التثليث
٢٠٠	المطلب الثالث : إبطال ونقض ما استدلوا به على التثليث
٢٠٢	المطلب الرابع : أدلة ثبوت الوجدانية وإبطال التثليث
٢٠٤	المطلب الخامس : الأقانيم الثلاثة
٢٠٥	الأقنوم الأول : الأب
٢١٠	الأقنوم الثاني : الابن
٢١٥	الأقنوم الثالث : الروح القدس
٢١٨	المطلب السادس : الاتحاد (التجسد)
٢٢٥	المبحث الثاني : الصلب والفداء

٢٢٧	المطلب الأول : الصلب
٢٣٤	المطلب الثاني : الفداء
٢٤٦	المبحث الثالث : محاسبة المسيح الناس
٢٤٧	المبحث الرابع : قولهم في الجنة والنار
٢٥١	الفصل الخامس : أسباب وعوامل انحراف النصرانية
٢٥٣	أ - الاضطهادات
٢٥٤	ب - ضياع الإنجيل
٢٥٤	ج - بولس (شاؤول اليهودي)
٢٥٧	د - التأثير بالوثنيات والفلسفات الوثنية
٢٦٢	هـ - تدخل الامبراطور قسطنطين
٢٦٣	و - المجامع النصرانية
٢٦٥	الفصل السادس : بعض الشعائر والطقوس عند النصارى
٢٦٨	أولاً : من العبادات :
٢٦٨	أ - الصلاة
٢٦٨	ب - الصوم
٢٧٠	ثانياً : الطقوس عند النصارى
٢٧٠	أ - التعميد
٢٧٠	ب - العشاء الرباني
٢٧١	ج - الاعتراف للقسس
٢٧١	د - الزواج
٢٧٢	هـ - حمل الصليب
٢٧٣	الفصل السابع : أهم الفرق النصرانية المعاصرة
٢٧٦	الطائفة الأولى : الكاثوليك
٢٧٧	الطائفة الثانية : الأرثوذكس
٢٧٨	الطائفة الثالثة : البروتستانت
٢٧٩	الفصل الثامن : التنصير
٢٨١	وسائله
٢٨٢	أهداف التنصير

٢٨٩ الفصل التاسع : البشارة بالنبي محمد ﷺ في الكتاب المقدس
٢٩١ البشارة الأولى
٢٩٣ البشارة الثانية
٢٩٤ البشارة الثالثة
٢٩٥ البشارة الرابعة
٢٩٧ <u>الخاتمة</u>
٣٠١ <u>المراجع</u>
٣٠٥ فهرس الموضوعات

